وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٥١)

REAGAN
THE MAN, THE PRESIDENT

by
HEDRICK SMITH
ADAM CLYMER
LEONARD SILK
ROBERT LINDSEY
RICHARD BURT
Correspondents of
The New York Times

تأليف
مراسلى صحيفة
نيويورك تايمز
هيدريك سميث
آدم كليمر
ليونارد سيلك
روبرت ليندسى
ريتشارد بيرت

ريجان الرجل.. الرئيس

وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٥١)

ريجان الرجل.. الرئيس

تأليف
مراسلى صحيفة نيويورك تايمز
هيدريك سميث ليونارد سيلك
آدم كلايمر روبرت ليندسى
ريتشارد بيرت

كتاب

ريجان الرجل . . . الرئيس

سنة النشر : ١٩٨١

دار النشر / مؤسسة ماكميلان للنشر

- أول مؤلف يصدر عن شخصية الرئيس الامريكى ريجان ، ويكتبه مجموعة من المؤلفين يتناول كل واحد منهم جانبا من الكتاب .
- يتكون الكتاب من مقدمة وتسعة فصول .
- يتحدث (هدريك سميث) فى مقدمة الكتاب عن نضال ريجان وتشدده ويقول عنه انه أول محافظ يفوز برئاسة البيت الأبيض منذ هزم (د . روزفلت) (هربرت هرمز) عام ١٩٣٢ .
- وفى الفصل الأول من الكتاب يتكلم (ادم كليمر) عن مولد ريجان ، ويعتبره (نجما) بزغ الى الحياة .
- وفى الفصل الثانى يتناول (روبرت لندس) جهود (ريجان) لخلق دور لنفسه ، ويذكر انه (ريجان) نجم سينمائى وسيم ، هاجر من وسط امريكا ، مثل الملايين الأخرين من أهالى كاليفورنيا الذين جاءوا الى الغرب ابان الثلاثينيات للبحث عن مستقبلهم ، وحملوا معهم القيم المحافظة السائدة فى المدن الصغرى فى وسط أمريكا .
- وفى الفصل الثالث يعتبر (روبرت لندس) فترة حكم ريجان لولاية كاليفورنيا بمثابة (بروفة) لحكم ورئاسة الولايات المتحدة الأمريكية .
- وفى الفصل الرابع يأتى دور الاصلاح الأقتصادى فيكتب (ليونارد سيلك) عن (اقتصاديات العرض) ويقصد بها : خفض الضرائب ، والقضاء على البرامج الحكومية باستثناء برامجها الخاصة بالمجال الدفاعى – وخفض اللوائح الحكومية ، واطلاق طاقات الأعمال الخاصة والفردية .
- ويتناول (ليونارد سيلك) فى الفصل الخامس من الكتاب منهاج ريجان وموقفة من التجارة الحرة ، كوسيلة لتوفير فرص اكبر للمشروعات التجارية الأمريكية فى الخارج وتحقيق مزايا للمستهلكين فى الداخل ، وكبح جماح التضخم .

- وعن (الاسلحة والانسان) يكتب (ريتشارد بيرت) الفصل السادس من الكتاب ويقرر أن خبراء ريجان فى الشئون الدفاعية ، تبنوا الاستراتيجية الحربية المسماة بـ (استراتيجية الحرب ونصف الحرب) التى انتهجها ريتشارد نيكسون منذ عقد مضى وواصلها جيمى كارتر ، وتقضى هذه الاستراتيجية بانه ينبغى على الولايات المتحدة أن تمتلك قوات كافية ، بحيث يتسنى لها أن تخوض حربا واسعة النطاق ضد الاتحاد السوفييتى فى أوربا ، فى الوقت الذى تتوافر فيه لديها قوات اضافية لخوض حرب على نطاق اصغر - مثل حرب الأدغال - فى مكان ما ، بالعالم الثالث :
- وفى الفصل السابع يتحدث (هيدريك سميث) عن (عالم ريجان) ويشبه بعالم الرئيس السوفييتى (بريجنيف) ويقول : ان (بريجينيف) يعد شخصا ودودا من الناحية الشخصية ، وصانع الاجماع المتجانس فى الرأى والقافز الى السلطة فى الأقاليم قبل ان يصل الى الكرملين . والمشرف على أكبر عملية بناء ناجحة وحازقة للقوة المسلحة فى التاريخ الروسى . . وبالمثل (عالم ريجان) فريجان سياسى دمث الخلق ولطيف العشرة تمتد جدوره الى الولايات الواقعة فى وسط البلاد وقد شق طريقه الى السلطة من (كاليفورنيا) البعيدة وهو (ريجان) يعلن كذلك انه سيكرس جهودة من أجل تحقيق قوة عسكرية امريكية جديدة وضخمة من شأنها « أن تستعيد هامش الأمن » للعالم الحر .
- اما الفصل الخامس فيتناول فيه (ادام كليمر) المعركة الانتخابية النهائية ، ومراحلها المختلفة بدءا من الأنتخابات على مستوى الولايات الى الانتخابات العامة . ويسرد بعض المناورات ، الأنتخابية والمواقف المفاجئة فى اصوات الناخبين . وتصريحات (ريجان) اثناء الحملة الانتخابية .
- أما الفصل التاسع فهو أهم الفصول ، من حيث انه يتناول ذهاب ريجان الى واشنطن وتربعة على كرسى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية وفى هذا الفصل يتناول (هيدريك سميث) ملامح خطوط سياسة ريجان الخارجية ، وانماط اصلاح السياسة الداخلية للولايات ، المتحدة الأمريكية .

كما يتحدث المؤلف عن شخصية ريجان (البرا جمانية) المحتمل ظهورها اثناء رئاسته ، وعن العوامل والشخصيات الى يتنبأ المراقبون بأنها قد تشكل وتؤثر فى قراراته السياسية : الخارجية والداخلية .

مقدمة

فرصة تاريخية

بقلم : هيدريك سميث

لقد وصلنا الى لحظة مثيرة ورائعة تماما فى التاريخ السياسى الأمريكى فقد وصل الى الرئاسة ، رجل يبلغ تسعة وستين عاما ، أمضى معظم سنى حياته العملية فى ممارسة مهنة أخرى ، وفاز بفرصة قيادة ثورة سياسية فى البلاد وبعبارة أكثر دقة ، هناك حركة اصلاحية سياسية محافظة تسعى لاعادة توجيه دور الحكومة فى الحياة الأمريكية ، وربما تسعى الى اعادة تشكيل الساحة السياسية القومية بقية القرن الحالى .

ذلك أن رونالد ويلسون ريجان يعد مناضلا متشددا ، وأول محافظ له مهمة تبشيرية ، يفوز برئاسة البيت الأبيض منذ هزم فرانكلين د . روزفلت هربرت صوفر عام ١٩٣٢ ، وشن ثورة حقيقية من أجل النشاط الحكومى وسيطرة الحزب الديمقراطى التى استمرت حوالى خمسين عاما . والا يأتب مصلح آخر يبشر بانجيل يدعو الى أن الحكومة ليست الحل ، وأنما هى جزء من المشكلة ، ويعد بعصر من البعث يركز على حكومة أقل فعالية ، ويشيع نفس الثقة بالنفس التى تتسم بالمرح كتلك التى أشاعها روزفلت فى وجه السخرية واليأس لقومى .

ان التحدى جسيم . اذ يتولى لأون لد ريجان مهام منصبه فى وقت تكاد تنضب فيه ينابيع الثقة الشعبية ، وتتضح فيه الرغبة ، فى طول البلاد وعرضها ، فى أن تستعيد أمريكا السيطرة على مصيرها . فمنذ عقد مضى ، انتزفت محنة فيتنام ، التى كان يبدو أنه لا نهاية لها ، قوة الأمة وروحها المعنوية ، وخلفت وراءها شعورا معوقا بأن شيئا ما قد شابه خطأ فادح . وقد زاد احتجاز الرهائن الأمريكيين فى ايران من وطأة الشعور بألم المهانة القومية . فقد أصبحت الاثنان وخمسين رهينا ، المحتجزين بسبب الصراع الداخلى البيزانطى فى ايران ، رمزا محددا لشعور أمريكا الدائم بالعجز . وقد كان لمحاولة انقاذ الرهائن فى شهر أغسطس الماضى (١٩٨٠) ـ التى فشلت بسبب انهيار التكنولوجيا الأمريكية ، التى تفاخر بها ، فى الصحراء الايرانية اثر مدمر على الذات القومية .

اما على الصعيد الداخلى ، فان المصاعب الاقتصادية التى تعانى منها الأمة ، تبدو وطأتها تتجاوز موهبة المفكرين على تشخيصها تشخيصا سليما ، أو قدرة صانعى السياسة على ايجاد حلول لها . فقد خاطر ثلاثة رؤساء على الدخول فى معركة ضد وحش ذى رأسين توأمين هما التضخم والبطالة ، غير أن هذا (التنين) قد التهمهم فى النهاية . وليس أدل على ذلك من أن الصناعة الأمريكية « الطاعنة » فى السن تخسر أمام الصناعات المنافسة الاجنبية . كما أن تزايد الأعتماد على البترول المستورد يذكرنا بشكل دائم بحدود موارد بلادنا التى كانت تبدو ذات يوم وطأتها موارد لاتنصب ، ومن ثم المكانية تعرضها للاصابة فى ضوء فعالية وقة القوى الأجنبية . وقد يضحك الأمريكيون وهم يلقون النكات على أية الله ، وشراء اجهزة تليفزيون « سونى » وسيارات « تيوتا » اليابانية بينما تتزايد نسبة البطالة فى ولاية ديترويت الأمريكية ، أو يسخرون من الأجانب الذين يشترون بنوكا أمريكية والمزارع الغنية فى أمريكا ، الا أن ضحكهم وسخريتهم هذه سرعان مايزولا .

وفى أعقاب حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت ، كانت سلطات الرئاسة تعانى من حالة انحسار . فقد قوضت ووترجيت الثقة الشعبية فى السياسة والسياسيين . وقد فاق حزم الكونجرس الحزم الأجنبى فطوال ثمان سنوات من السنوات الأثنتى عشرة الماضية تجمد نشاط الحكومة بسبب مراقبة الديمقراطيين للكونجرس ، ومراقبة الجمهوريين للبيت الأبيض . حتى انه عندما سيطر الديمقراطيون على الكونجرس والبيت الأبيض فى ظل رئاسة جيمى كارتر ، كانت السلطة مبعثرة لدرجة أن المصالح الخاصة حققت نجاحا غير متوقع بسبب موقفها الموحد والمعرقل ، نظرا لأن النظام كان يفتقر الى حزب حاكم له خط موجه يتسم بالتماسك والتعميم والنظام . لقد كان لدى جيمى كارتر طموحات بشأن تحقيق رئاسة نشطة ، بيد أنه برهن على أنه زعيم عديم الخبرة ، وبعيد عن الحنكة السياسية ، ويتصف بالتردد بحيث لم يستطع خلق ائتلاف حكومى لقد كانت السبعينيات تتطلب العظمة غير أنها أفرخت شخصا متوسط القدرة يذكرنا بزعماء القرن التاسع عشر كزخارى تيلور وميلاد رفيلمور ، وفرانكين بيرس ، وجيمس بوكنان .

والان وفى أطار التفاؤل الذى يتصف به الرئيس الجديد المنتخب ، نجد أن مساعدى ريجان يزعمون أن لديهم القدرة على التغلب على الأضطراب القومى ، وان يضعوا منهجا جديد وايجابيا لممارسة السلطة . ولأن الجمهوريين حصلوا على اغلبية غير متوقعة فى مجلس الشيوخ وثلاثة وثلاثين مقعدا جديدا فى مجلس النواب ، الى جانب فوز ريجان الساحق فى انتخابات

الرئاسة نراهم يقولون أنهم حصلوا على تفويض من الشعب للشروع فى تجربة جريئة فى الاتجاه المحافظ ـ وهى ، اجراء تخفيضات كبيرة فى الضرائب ، وزيادة الأنفاق الدفاعى ، وتحد حقيقى للوائح والتشريعات الفيدرالية وخفض القيود البيئية المفروضة على انتاج الطاقة ، وخفض النشاط الحكومى ومجاله ، واستعادة نشاط المشروع الخاص وأهميته .

ويعتقد زعماء الحزب الجمهورى ، مثل بيل بروك الرئيس القومى للحزب ، أنه تم أخيرا وبعد وقت طويل وضع نهاية لعهد الحزب الديمقراطى ويرون أن لديهم القدرة اللازمة لاعادة تنظيم سياسى جوهرى يجعل الجمهوريين الحزب المسيطر فى امريكا خلال السنوات العديدة القادمة ، فالى جانب القاعدة التقليدية للجمهوريين فى الغرب وبين المزارعين البروتستانت ، وصغار رجال الأعمال ، وسكان الضواحى الموسرين ، ضموا اليهم فيالق جديدة من أهالى الجنوب المستائين والكاثوليك واليهود والعمال ذوى الياقات الزرقاء من سكان المدن العرقيين . ويتحدث المنتمون الى الجناح اليمينى فى الكونجرس ، بثقة ، عن المد المحافظ الذى اكتسح فى طريقه ديمقراطيين ليبراليين بارزين مثل السناتور جورج مالجفون من داكوتا الشمالية ، والسناتور فرانك تشيريش من ولاية اداهو ، والسناتور جون طالفر من ايوا ، والسناتور بيرش بايها من انديانا ، وهم من انصار الدور النشط للحكومة ، والليبرالية الدولية فى الكونجرس . ومن ثم ، ازدهرت سوق الأوراق المالية على نحو كبير .

ورغم ذلك لم تتبدد الشكوك بعد ، ذلك ان الجمهوريين عندما فاز دوايت ايزنهاور بالرئاسة عام ١٩٥٢ بعد عشرين عاما من الحكم الديمقراطيين ، اعتقدوا أنهم اسقطوا ائتلاف الاتفاق التجارى القومى (النيوديل) الذى صاغة روزفلت ، وانه يبشرون بفترة سياسية جديدة ثم اعتقد ريتشارد نيكسون فى عام ١٩٦٨ ان تولية السلطة يرمز الى نقطة تحول بالنسبة للحزب الجمهورى . بيد انه فى كلتا الحالتين لم يحدث اى خط فاصل سياسى ، فقد عاد الديمقراطيون وسياساتهم بعد ذلك ، ومضت الأمة فى طريقها دون ان يحدث اى انعطاف تاريخى .

وفى الوقت الحاضر ، وبرغم قوة الفتوحات الجديدة للجمهوريين نجد أن انتخابات عام ١٩٨٠ لا تبدو كانتصار ايديولوجى كاسح لا يمكن تغييره بقدر ما تبدو اقتراع احتجاج جماعى ضد الوضع الراهن وانفجارا لاحباط الناخب من الادارة السابقة ، وهو الانفجار الذى يمكن ان يتحول ضد الجمهوريين بعد اربع سنوات اذا لم ينجزوا ما يحقق رضاء الناخبين عليهم .

وقد فطن الى ذلك بيل بروك رئيس الحزب الجمهورى عندما قال لقد جئنا معا بعناصر ائتلاف جديدة . وان دعم هذا الائتلاف يعتمد على ادائنا فى السلطة . وان علينا أن نعمل بشىء من السرعة كى نتصدى للمشكلات التى اقترع الشعب من اجل ايجاد حل لها وهى : البطالة التضخم » .

ومما لا شك فيه أن ابعاد انتصار ريجان فى نوفمبر ١٩٨٠ سيجعل الكونجرس الجديد اكثر مرونة ، بيد أن ذلك لن يخنق المعارضة . ولقد اعلن أحد الديمقراطيين الليبراليين الذين نجوا من الأكتساح الجمهورى ، وهو السناتور جارى هارت من كولاراد وتحديه السافر للسياسة الاقتصادية للزعامة الجديدة . فقد صرح هارت قائلا : « أننى اعطى ادارة ريجان فترة تتراوح من ثمانية عشرة الى أربع وعشرين شهرا حتى تثبت خلالها أنه لايوجد لديها اية اجابة للمشاكل الاقتصادية .

والواقع أن ثمة تناقضا ظاهريا يكمن فى هذا الوضع الجديد وهو انه مع سيطرة الجمهوريين على مجلس الشيوخ ، ربما يكون ريجان قد حقق فوزا كبيرا . ومن ثم لا يمكن أن يلقى اللوم على الديمقراطيين لفشله ، وربما يتحرك الجمهوريون ببطء كبير للحد من الخلاف فى الرأى الذى تثيره المعارضة . وربما يكونون كذلك غير معتادين على تحمل مسئوليات ممارسة السلطة بحيث لايمكنهم أن يتظافروا معا بتأييد المشروع الكبير لريجان . ولذلك ، ربما يجد الرئيس الجديد ان اهدافه الأساسية تتعرض للنقد من جانب المعتدلين والليبراليين الذين يقاومون تركيزة على الشئون الدفاعية وخفض الميزانية ، ومن جانب الأجنحة اليمينية التى تريد الانحراف عن هذه المسائل باثارة قضايا اخرى مثل الاجهاض والصلوات فى المدارس .

ولقد أثار ريجان بتبشيره بسياسات الأمل ، توقعات كبيرة فى المجتمع . وقد وضع معايير سيجد صعوبة فى الوفاء بها وتحقيقها . ولقد قال للناخبيين : ان كل شىء سيكون على ما يرام ، وأنهم سيدفعون ضرائب أقل لمدة ثلاث سنوات متتالية ، وأن برنامجه سيوفر فرص العمالة للعاطلين ، وأن الأمة ستتمتع مرة أخرى بوفرة فى الطاقة ، وميزانيات متوازنة ، وحكومة أقل فعالية ، ودعم لدفاعاتها ، وكبح جماح التضخم المتفشى ـ كل ذلك دون أن يقدم الشعب الأمريكى أية تضحيات .

والواقع أن مساعى ريجان وجهوده لتحقيق ذلك تتطلب وقتا .بيد أن الشعب قد نفذ صبره . ولذا سوف يحدث الأختيار الأول الحاسم لزعامته ، بسرعة .

فمنذ أربع سنوات خلت ، بذر جيمى كارتر بذور العديد من أوجـه الفشـل وخيبة الأمل خلال الأيام المائة الأولى من تولى ادارته السلطة . فقـد مـارس السلطة باعتباره غريبا ، فبدلا من أن يشرع على الفور فى صياغة ائتلاف حاكم مع الأعضاء الديمقراطيين فى الكونجرس ، أثار استياء الكونجـرس باصراره الأخلاقى على خوض معركتهالأولى حول مشروعات المياه ، الأمـر الذى دفـع الأعضاء الأقوياء فى الكونجرس الى الاعتراض عليها .

كما تجاهل المشكلات المحتملة الخاصة بالعقارات والتى يمكن ان تثار ضد حديقة بيرت لانس . ولذلك اضطر لانس ، فيما بعد الى تقديم استقالته ، الأمر الذى أنمى امكانية تصديق اتجاهات كارتر الاخلاقية الرفيعة .

وقـد شرع كارتر فى أنتهـاج سـياسات اقتصـادية أدت الى اذكاء نيران التضخم التى التهمته هو فى النهاية من الناحية السياسية . وحاول اجراء تغير مفاجىء فى اتجاه محادثات السلام مع الروس الأمر الذى اسـتغرق منه وقتا ثمينا مما أدى فى النهاية الى أرجاء التوصل الى اتفاق بشأن الأسلحة بسـبب تجاوز الوقت الذى كان يمكن لمجلس الشـيوخ أن يوافـق فيه على الاتفـاق . كما بالغ كارتر فى اضفاء الشعبية على الرئاسة مما أفقده هالة الزعامة .

ولذلك ، فان الأيام المائة الأولى للادارة الجديدة ، ستكون أختبار لريجـان أيضا ، وستقدم مؤشرات حاسمة على جدية أهـدافة ومـرونته ، وصـلابته ، وتقديرة للأمور ، وتوازنه ، ولمساتة السياسية .

هل يستطيع ، مثلا ، أن يصل الى الديمقـراطيين والجمهـوريين المعتدلين نطاق ائتلافه الحاكم ، أم سيجد نفسه ملزمـا بالولاء للنجـاح اليمينى ، هـل سيعمد من الناحية العملية (البراجماتية) الى الأعتدال فى تصريحاته وبرامج أم سيواصل القاء تصريحاته المتشددة كتلك التى ألقها طوال العام الماضى هل سيثقل ، مثل كارتر ، كاهل الكونجـرس بالمشروعات الجـديده بسـبب فـورة حماسه الأولى ، ومن ثم ترتبك أهدافه الأساسية هل سيغريه اليمين الجـديد بخوض معارك من شأنها اضعاف موقفه مثل الصـلوات فى المدارس وعقـوبة الاعدام ، والأجهاض ، مما يصرفه عن التصـدى لأولويات رئاسـته فى مجـال السياسة الأقتصادية الخارجية ؟ هل سيؤدى تشدد الروس أو مواقفه المتشددة الأولى الى الحكم بالفشل على مباحثات الحد من الأسلحة ؟ هل سـيندفع دون استعداد الى التورط فى صراع اقليمى فى الخارج ؟ هل يمكنه أن يضع برنامجا فعالا لمكافحة التضخم وأن ينفذه بحيث يكسب ثقة الشعب ببرامجه .

وباختصار ، أن ريجان الأن ، قد فاز بفرصة لاثبات أن الاتجاه المحـافظ قادر على العمل ، فما هى نوع الزعامة التى سيقدمها ؟ هل سيكون فى مقدوره أن يرفع مستوى المعيشة ويعلى شأن الذات القديمة بما يكفى خلال السـنوات الأربع القادمة بحيث لا يجرؤ أى ديمقراطى خلال مناقشات الحملة الأنتخابية للرئاسة عام ١٩٨٤ على أن يطرح على الناخبين سؤلا طرحه ريجان على نحو فعال ضد الرئيس كارتر : هل أنتم الأن فى وضع أفضل مما كنتم عليه منذ أربع سنوات خلت .

أن التحدى الذى يواجه ريجان الأن يتمثل فى ضمان أنه عندما يطرح هـذا السؤال فى المرة القادمة تكون الأجابة علية هى : نعم .

مولد نجم

بقلم : آدم كليمر

وطأت قدمى رونالد ريجان المسرح السياسى القومى فى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٤ عندما القى خطبة فى التليفزيون ، لمدة نصف ساعة تأييد لـ (بارى جولد ووتر) المرشح الجمهورى للرئاسة . غير أن الخطبة لم تثر الكثير من الأهتمام الجاد وقد حدث هذا قبل وقت طويل من قيام الصحف باجراء تغطية اخبارية جـادة لدور التليفـزيون فى السـياسة . ولذلك لم تنشر صـحيفة نيويورك تايمـز ولا صحيفة « لوس انجلوس تايمز » أى خبر عن هـذه الخـطبة . كمـا لم يشر اليها تيودور هـ . هوايت فى كتاب « صنع الرئيس » الصـادر عام ١٩٦٤ . غير أن هذا التجاهل الجماعى لا يثير الدهشة نظرا لأن الخطبة كانت عامـلا غير فعال فى سياسات تلك السنة . فلم تسفر عن الحيلولة دون إلحاق الكارثة بجولد ووتر ، وهى كارثة تركت حلفاءه الأيديولوجيين فى حالة دفاع لسنوات عديدة .

ورغم ذلك ، صوت أكثر من ٢٧ مليون أمريكى ، لصـالح جـولد ووتر عام ١٩٦٤ ، وأن نسبة كبيرة منهم استمعوا الى ريجان وشـاهدوه على شـاشة التليفزيون . ولقد عبرت خطبته بفصاحة ، عن الأمال التى خبت بعد ذلك بسبب هزيمة جولد ووتر . ولذلك ، وبدلا من أن يعترى اليأس هؤلاء الناخبين عندمـا جاء يوم الأنتخابات بعد أسبوع من القاء الخطبة ظلوا متمسكين بالسـياسات التى أيد من أجلها الكثيرون منهم جولد ووتر . وقام عدد كبير منهم ، بعـد ذلك بأحد عشر عاما ، ثم بستة عشر عام ، بتولى المقار الأنتخابية فى حملة ريجـان من أجل الرئاسـة ، مثل ديانا ايفتز من بورتلاند بولاية اوريجون . وكان يقـول للصحفيين أنهم يؤيدون ريجان لانه يتحدث ببساطة عن الشعور العام . وتعـد خطبه ريجان التى ألقاها عام ١٩٦٤ بالنسبة لديانا وللملايين غيرها ، المعادل السياسى لأشهر لحظات ظهوره على شاشة السينما .

والواقع أن خطبة عام ١٩٦٤ لم تتضمن اية اشادة بجـولة ووتر أو ادانة لمنافسة الرئيس ليندون جـونسون ، وأنمـا كانت تناقش قضـية الاتجـاه المحافظ . وكانت تنطوى على خط سياسى واحد أساسى اسـتمع اليه جمهـور ريجان جيدا خلال حملته الأنتخابية عام ١٩٨٠ وهو :

« ان الحكومة هى أقرب الأشياء الى الحياة الأبدية التى نشاهدها على الأرض » . وكانت تفيض بالأمثلة عن غباء البيروقراطية مثل قوله : يوجد الأن مليونان ونصف مليون موظف فيدرالى ولا أحد يعرف ماذا يفعلون غير أن احد اعضاء الكونجرس اكتشف مايقوم به أحد هؤلاء الموظفين . أن هذا الموظف يجلس على مكتبه فى واشنطن . وتأتى اليه الوثائق كل صباح . فيقرأها ويوقع عليها . ويحولها الى الجهة المختصة . وذات يوم وصلت اليه وثيقة لم يكن من المفروض أن يطلع عليها . غير أنه قرأها . ووقع عليها وحولها الى الجهة المختصة . وبعد أربع وعشرين ساعة عادت الى مكتبة ومرفق بها مذكرة مكتوب عليها : « لم يكن من المفروض أن تقرأ هذه الوثيقة اشطب توقيعك ، ووقع على الشطب » .

ان هذا الأسلوب المفعم بالحكايات والنوادر ، كان اسلوبا مؤثرا بشكل نكى على الناخبين ، وعلى مجموعة تشترك فى مأدبة ــ على الرغم من أن الصحفيين كانوا يثبتون من حين الى أخر أن هذه الأمثلة ليست سوى أمثلة زائفة ، كما يختلفون احيانا مع الأحصائيات التى يستشهد بها ريجان . غير ان هذا الاسلوب يعد جزءا اساسيا بالقطع من مقدرة ريجان على تبسيط المشاكل .

بيد ان القوة الكبرى لخطبته كانت تكمن فى نغمتها الملهمة فقد عادل مابين نضال المحافظين ضد البيروقراطية والصراع الدولى ضد الشيوعية ، وقال انه على صعيد الوطن « لا المدافع صامتة فى هذه الحرب ، وان الحدود تسقط بينما نفضل التزام جانب الحياد فى حين انه يتعين علينا أن نكون محاربين » .

ويضيف ريجان : « منذ مدة ليست طويلة ، كان اثنان من اصدقائى يتحدثان مع لاجىء كوبى . كان من أحد رجال الأعمال الذين هربوا من كاسترو . وبينما كان هذا اللاجىء يحكى تجاربه الرهيبة ، ألتفت أحد أصدقائى الى الأخر قائلا : « أننا لانعرف الى أى مدى نحن محظوظون ؟ » عندئذ توقف الكوبى عن سرد حكايته قائلا : « الى اى مدى أنتم محظوظون ؟ » لقد وجدت مكانا اهرب اليه . « وفى تلك الجملة أوجز الكوبى القصة كلها . فلو فقدت الحرية هنا ، فلن نجد مكانا اخر نهرب اليه » .

وبعد سبع وعشرين دقيقة من خطبته ، وبعد أن لمس برفق السياسة الخارجية ــ وان كان قد عدد أوجه الفشل الداخلى للحكومة الفيدرالية بدءا من وكالة التليفزيون ومرورا بالضمان الاجتماعى وبرامج الاسكان الفيدرالى حتى السياسة الضريبية ــ قال للمشاهدين : « اننا على موعد مع القدر . ففى

وسعنا أن نحافظ من أجل اطفالنا على هذا الأمل الاخير الطيب للانسان على الأرض ، أو يمكننا أن نحكم عليهم بأن يبدأوا الخطوة الأولى نحو الف سنة من الظلام . واذا مافشلنا ، فلتدع اطفالنا وأحفادنا على الأقل يقولون : أننا كنا جديرين بهذه اللحظة القصيرة ، وأننا بذلنا كل ما فى وسعنا » .

غير انه اذا كانت هذه الخطبة قد بينت أوجه القوة التى من شأنها أن تمكن ريجان من أن يبدأ حياة سياسية ، فأنها تعكس كذلك بعض أوجه الضعف . وليس ادل على ذلك ، من أن بعض المسئولين عن الحملة الأنتخابية لجولد ووتر قد حاولوا منع ريجان من القاء خطبته على شاشة التليفزيون القومى ، بالرغم من أن اذاعتها الأولى فى كاليفورنيا قد حققت نجاحا كبيرا فى جمع التبرعات لصالح حملة جولد ووتر . وكان اعتراضهم على احدى الفقرات الواردة فى الخطبة والتى كان فيها جرحا مؤلما بالفعل للحملة الأنتخابية لجولد ووتر وهو موضوع الضمان الاجتماعى ذلك انه تحدث بطريقة مقبولة تماما عن الشكاوى الخاصة بالاسلامة المالية لنظام الضمان الاجتماعى ، ثم واصل حديثة مستخدما كلمات كان يمكن ان تستخدم ضده خلال حملته الأنتخابية عام ١٩٨٠ . فقد تساءل : « الا يمكننا أن ندخل فى نظام الضمان الاجتماعى بعض الخصائص التطوعية بحيث يسمح للذين يمكنهم أن يدبروا أسباب حياة أفضل لأنفسهم أن يفعلوا ذلك ؟ وبالمناسبة ، يتعين أن نسمح كذلك للمشتركين فى الضمان الاجتماعى ان يذكروا اسماء الذين يستفيدون من هذا النظام الأمر الذى يمكنهم أن يفعلوه فى ظل البرنامج الحالى » .

والواقع أن هذا الاصرار على السعى على الصعيد السياسى من أجل القضايا الخاسرة قد بلغ ذروته الدرامية فى صيف ١٩٨٠ عندما لم يستسلم ريجان بشأن موضوع تايوان ، وهو قضية ميته ، فلم يهدأ له بال حتى اصدر حكمة بشأن قضية حية وليس بشأن الوضع الراهن للجزيرة . ولقد دعا هذا احد اصدقائه السياسيين القدامى الى التأمل فى هذا الموضع ، وذلك بأن تذكر انه كان لديه ذات يوم كلب يسمى سام ، وان هذا الكلب لم يستطع ان يتدرب على صيد حيوان شائك من القوارض يسمى « الشيهم » ، بالرغم من المرات العديدة التى جاء فيها وهو يعوى حتى تخرج الأشواك من انفه . وبعدئذ يقول هذا الصديق ان ريجان عندما يكون افكارا ثابته عن قضية ، مثل الضمان الاجتماعى عام ١٩٦٤ أو تايوان عام ١٩٨٠ يكون عنيدا جدا ، ويدس انفه ، مثل سام فى طريق الحيوانات الشائكة » .

وقد فشل مساعدى السناتور جـولد ووتر ، والسـناتور نفسـه ، فى اثناء ريجان عن الغاء خطبته . وقد اذاعهـا جهـاز التليفـزيون الخـاص بالحملة الانتخابية على الهواء مرتين جمع خلالهما تبرعات مالية قدرت بحوالى مليون دولار . غير ان احدا لم يعرف على وجه الدقة مقـدار التبرعات المالية التى تم جمعها . ويقول ف . كليفتون هوايت احـد المسـئولين عن تشـغيل جهـاز التليفزيون الخاص بالحملة فى ذاك العام : « لقد كان الناس يطلبون منى نسخا مطبوعة من الخطبة ثم يبيعونها فى الولاية . وقد حدث ذلك ثلاث أو أربع مـرات فى دنفر » . والواقع انه كان يتم جمع التبرعات فى كل مرة تذاع فيها الخطبة فى أحدى الولايات » .

ولقد اوضح ريجان ـ الذى كان قد انتحى جانبا ـ انه يسـعى للحصـول على منصب ، وذلك عندما كان عضوا فى الحزب الديمقراطى خلال الأربعينات ، ثم بالنسبة لحزبه الجمهورى الجديد فى عام ١٩٦٢ و ١٩٦٤ (لقد ترك ريجان الحزب الديمقراطى عام ١٩٦٢ وانضم الى الحزب الجمهورى) ـ انه يتوقـع ان يكون له دور فعال فى سياسات الجمهـوريين . ومـن ثم بدء فى اليوم التالى للانتخابات فى شـن هجـوم على الجمهـوريين الذين تخلوا عن جـولد ووتر واستشهد فى ذلك بتصريح لسـناتور ولاية اريزونا قـال فيه : « لايمـكنكم ان تفوزوا فى الانتخابات بينما تقاتلون حزبكم » . بيد ان هذا التعليق كان يتسـم بالاعتدال بالمقارنة لما قاله ريجان بعد اسبوع أمام شباب الحزب الجمهورى فى لوس انجلوس : « لانعتزم تسليم الحزب الجمهورى للخونة فى معركة انتهـت . ثم سخر من الجمهوريين الذين لم يؤيدون جولد ووتر بقوله : « أننا لن نسـمح بعد ذلك بأن ينضم للحـزب أولئك المرشـحون الذين تعهـدوا بممـارسة نفس الأهداف الاشتراكية التى تسخدمها المعارضة . »

وقد أعتقد بعض اصدقائه انهم يعرفون أين يجدون المرشح الذى لاتوجد له اية ميول تجاه الأهداف الاشتراكية . ويضيف (هولمز تاتل) ، احد المقـاولون وتجار السيارات الذى عرف ريجـان منذ ثمـانية عشر عامـا ، تفـكير هؤلاء الأصدقاء بقوله : « بعـد تلك الهـزيمة المروعة عام ١٩٦٤ ، كنا ندرك انه يتعين علينا أن نفعل شيئا ما . وجلسنا نلعق جراحنا لبعض الوقت ، غير أننا ادركنا أن ريجان قد قبل بالفعل ان يدخل ساحة السياسة بعد القاء خطبته : « ومن ثم توجه (تاتل) واخرون الى ريجان فى مستهل عام ١٩٦٥ وحثوه على ترشـيح نفسه لمنصب حاكم كاليفورنيا .

ولم يكف (تاتل) واخرون - مثل (هنرى سلفاتورى) احد العاملين فى مجال التنقيب عن البترول - عن حث ريجان على ترشيح نفسه . وكان نجاح ممثل السينما (جورج مورفى) صديق ريجان فى انتخابات مجلس الشيوخ ذاك العام يعد مؤشرا واضحا على ان كونه ممثل سينما سابقا لايعد سببا يجعله غير مؤهل لأن يرشح نفسه لمنصب حاكم كاليفورنيا . وهو الأمر الذى آثار امتعاض خصومة عندما سخرو فى حملتهم الأنتخابية من ادواره السينمائية فى عام١٩٦٦ . غير ان ريجان تردد مرة أخرى . ولكن (تاتل) توجه ، الى منزل ريجان مرة اخرى مستخدما (تكتيكا) جديدا . فلم يطلب منه ان يرشح نفسه ، وانما سأله أن يسمح لتاتل وأخرين ان يستكشفوا احتمالات ترشيحه .

ووافق ريجان على ذلك ، ربما دون أن يقرر ترشيخ نفسه لمنصب حاكم كاليفورنيا ، ورسخ بذلك اسلوبه فى اتخاذ القرارات السياسية عن طريق التحرك المبكر من جانب الأخرين . وكان هذا اسلوبه كذلك فى عام ١٩٦٨ و ١٩٧٦ . وكان ان بدأت جماعة اصدقاء رونالد ريجان التى انشأها (بل روبرتس) و (ستيوارت سبنسر) - قطبا كاليفورنيا ، فى ادارة النشاط السياسى والانتخابى - فى حشد التأييد لريجان . ثم قرر ريجان ان يرشح نفسه فى سبتمبر ١٩٦٥ بعد ان اكد لهما أنه لن يخوض حملة انتخابية ايديولوجية .

ومما أثار الدهشة ، أنها كانت حملة انتخابية سهلة ، سواء فى مرحلة الانتخابات التمهيدية أو العامة . ولقد كان الديمقراطيون يشعرون بثقة مفرطه فى أنفسهم ، بينما كان أهالى كاليفورنيا قد سئموا (ادموندج « بات » براون) بعد ان شغل منصب حاكم الولاية لمدة ثمان سنوات . لم يعبىء ريجان بمسألة كونه ممثل سينما واحاط حملته الأنتخابية بممثلين مثل (اندى ديفين) و (شوك كونر) و (ادجاربرجن) واتسع نطاق هيئة الحملة الأنتخابية لريجان دون ان يثير ذلك سوى قدر ضئيل من القلق بشأن النواحى المالية . وانتصر ريجان فى الانتخابات التمهيدية التى اتسمت بالاعتدال النسبى ، على جورج كريستوفر العمدة السابق لسان فرانسيسكو بأغلبية ساحقة .

وفى عام ١٩٨٠ ، وعندما كان المرشح للرئاسة فى التاسعة والتسين من عمره كان الصحفيون يسخرون ، من حين الى اخر ، من ايقاعه البطىء فى حملته الأنتخابية ، ولكن حتى فى عام ١٩٦٦ عندما كان فى الخامسة والخمسين من عمره كان يتمكن احيانا من أخذ غفوة من النوم فى الظهيرة . ومع ذلك ، لايوجد فى نجاح الحملة الأنتخابية لريجان مايثير الانتباه سوى فشل هجمات

الديمقراطيين عليه . فقد اعتقـدوا ان فى وسـعهم ان يصـيموه بأنه متطـرف بقولهم : انه الرئيس الصورى لجمعية جون بيرش . واعتمـدوا على مـاضية السينمائى لينالوا منه . ولكنهم لم يفلحـوا فى ذلك . واعتمـدوا على ان يقـول ريجان شيئا ما يكون بمثابة حماقة مدمرة بالنسبة له . ولكنه لم يقل ذلك . وقد ادت نفس التوقعات الى ان يفشل جيمي كارتر بعد ذلك باربعة عشر عاما .

لقد فاز ريجان بمنصب حاكم كاليفورنيا بحصوله على ٩٩٣,٧٣٩ صوتا . ولم يمض وقت طويل حتى كان اصـدقائه يفـكرون فى تحقيق انتصـار اكبر . ويعترف (تاتل) بأن البيت الأبيض كان يجول بخـاطرهم حتى قبل ان يصـل ريجان الى سكرامنتو (عاصمة ولاية كاليفورنيا) . ويتذكر تاتل وهو جالس فى مكتبه المتواضع فى لوس انجلوس على مقربة من متجر لبيع السـيارات « اننى لم اجعل الرجل الوسيم يعرف أننا قد اخترنا مرشحا قويا لحاكم كاليفورنيا ، وانه اذا نجح فى اداء عمله على نحـو طيب فسـوف يكون دعامـة لانتخـابات الرئاسة » وكانوا يتحدثون عن كيفية تحقيق هذه المهمة العسيرة فى وقت مبكر قبل فبراير ١٩٦٧ ، وكان واضحا كثيرا كيفية ارتباط ريجـان نفسـه بعملية الترشيح للرئاسة عام ١٩٦٨ . ويقول وليام فرنش سميث وهو محـام فى لوس انجلوس ومن اصدقاء ريجان المقربين « عندما انتقل ريجـان الى سـكرامنتو عام ١٩٦٧ ، بدأت الصحافة تتحدث عنه على انه من المرجح ان يكون المرشـح للرئاسة فى المستقبل بيد انه مـن المؤكد ان ريجـان فى ذلك الوقـت لم يجـول بخاطره شيئا من هذا . فقد كان مشـغولا للغـاية بالوظيفـة التى بدأ العمـل فيها » .

ويتذكر سميث انه لم يكن يستحوذ على ريجان الطموح من اجل الرئاسـة بقدر ماكان سعيدا بأول وظيفة عامة يحصل عليها . بينما كان كتاب المقـالات والجناح المحافظ من الحزب الجمهـورى يتحـدثون عنه باعتباره الشـخص المرجح لأن يرشح للرئاسة . ويلاحظ سـميث : « انه كان امـرا ينطـوى على الأطراء ان تكون مطلوبا لأن تصبح رئيسا للولايات المتحدة » .

وكان ريجان ، الذى تعهد بأن يقضى فترة توليه منصب حـاكم كاليفـورنيا ومدتها أربع سنوات ، كان يشعر بالخجل للجهود التى بذلها الآخرون من أجل مساعدته . غير ان ريجـان قـال بعـد ذلك فى منتصـف ابريل ١٩٦٨ : « انه لايمكننى ان افعل الكثير تجـاه ذلك » . وكان الأمـر ينطـوى على الكثير مـن عوامل اثارة الضحك فى المسرح السياسى القومى . وكان فى وسعه ان يوقفـه . ولكنه لم يفعل . ذلك انه فى اواخر عام ١٩٦٧ ترك (توم ريد) ـ وهو واحد من أقرب مساعديه ـ هيئة مكتب الحاكم ليعمل فى حملة الترشـيح للرئاسـة عام

١٩٦٨ . واستاجر (توم) احد المشتغلين بصناعة الافلام السينمائية كى يعد المواد الدعائية اللازمة لشخص لايرشح نفسه . وقد راجع (لين نوفزيجار) السكرتير الصحفى لريجان ، هذه المواد الدعائية ، بينما تظاهر ريجان بعدم درايته بذلك فلم يلق نظرة على هذه المواد الى ان دفعة حب الاستطلاع قبل الانتخابات التمهيدية فى اوريجان فى مايو من تلك السنة الى ان يعرف ما فيها .

غير ان الخطوة لأساسية التى اتخذها سالفا (تورى) و (تاتل) واخرون – وهى الخطوة التى اضفت على الجهد المبذول ثقة مهنية – هى استئجارهم لـ (كليف هوايت) وكان دوره من الناحية الفنية هو دور « المستشار لوفد كاليفورنيا » . وكان هذا الوفد قد تعهد بأن يكون ريجان طفلهم المدلل « ولكن احدا منهم لم يتحرك فى الولاية ليشجعه فى الحملة الانتخابية . وكان من الواضح ان هوايت يعمل على جعله مرشحا حقيقيا ، على الرغم من أن هذا العمل كان أكثر صعوبة مما قام به فى وقت مبكر – قبل عام ١٩٦٤ – من أجل ترشيح (جولد ووتر) حيث قام بجولة بين عواصم الولايات المختلفة . .

وكان (هوايت) يتطلع بدهشة الى ذلك المجهود الذى لم يكلل بالنجاح فى النهاية . وكانت العقبة الاساسية الماثلة أمامة هى عدم القدرة على تقديم ريجان للمؤيدين المحتملين باعتباره مرشحا حقيقيا وحيا . « وكان أهالى كاليفورنيا يظنون ان اى فرد انتخبوه حاكما قد نال بالفعل اعلى مراتب الشرف فى البلاد ، ومن ثم كان يوجد قدر كبير من التوتر بشأن رد فعل كاليفورنيا اذا رشح نفسه لمنصب الرئيس ولذلك كان (هوايت) يعتقد ان ريجان يسلك سبيلا صعبا بحيث يتسنى له ان يقدمه للناخبين كمرشح .

وكان ثمة عقبة اكبر من ذلك ، وهى ان هوايت كان يواجه المؤيدين لريتشارد نيكسون . فاذا كان ريجان قد جمع تبرعات لأجهزة الحزب الجمهورى تبلغ ١,٥ مليون دولار فى عام ١٩٦٧ ، فان نيكسون قد جمع للحز اضعاف ذلك المبلغ خلال مايزيد على عشر سنوات . ففى عام ١٩٦٦ قام نيكسون برحلات مستمرة تقريبا لمساعدة المرشحين الجمهوريين فى انتخابات الكونجرس ، ويعزو الكثيرون منهم لنيكسون الفضل فى نجاحهم . بل انه حتى فى الجنوب وهى المنطقة التى يوجد لريجان قوة كبرى فيها ، كان لنيكسون علاقات طيبة وشعبية فيها . ومن ثم كانت حملة نيكسون الانتخابية تستأثر بتأييد المندوبين ، بينما كان فريق ريجان لايزال يصنع الخطط . وليس ادل على ذلك من انه فى احدى الولايات ، وهى اوريجان حيث بذل (توم ريد)

وزملاؤه جهدا كبيرا ، فاز نيلسون روكفللر فى الانتخــابات التمهيدية بشــعار « لقد اهتم بما يكفى وجاء الى الولاية » . وكان ريجان لم يرشح نفســه بعــد ، ولم يجتز الحدود الشمالية لكاليفورنيا . ولكنه حصل على ٢٣٪ من الأصوات . (وكان قد سجل فى الاقتراع لأن ســكرتير الولاية أمــر بذلك بمقتضى قــانون الولاية الذى يحتم تسجيل المرشحين المحتملين الجادين) .

وقد ادى هذا المستوى من الحديث السياسى المتزايد ، بوضوح الى انعقــاد مؤتمر الحزب الجمهورى ذاته فى ميامــى بيتش ، حيث اعلن ريجــان رســميا ترشيح نفسه . وخاض معركة سيئة مع انصــار نيكســون . وكان فى امــكان مؤيدى ريجان ان يخوضوا هذه المعــركة بمســاعدة تحــالفات ســياسية غير مواتية بصفة جوهرية ، وذلك بأن يتوصلوا الى ترتيب فعال مــع تنظيم الحملة الانتخابية لـ (روكفللر) حول تبادل المعلومات بشأن المندوبين الانتخابين وكان مرشحهم يود ، بالطبع ، ان يرى نيكسون وقد توقف قبل ان يتسنى له الأمل فى ان يفوز بترشيح مؤتمر الحزب .

وكان كل ما استطاع هوايت ان يحققه خلال سبعة اشهر ، عصــيبة مــن العمل مع المندوبين ، هو الحصــول على عدد لابأس به مــن التعهــدات بتأييد ريجان خلال الجولة الثانية من الانتخابات . (كل اربع سنوات تنشر الصحافة السياسية زكريات أو اساطير المؤتمرات الحزبية المتعــددة الاقتراعات ، ولكن المرة الأخيرة التى اجــرى فيهــا الديمقــراطيون اكثر مــــن اقتراع لاختيار مرشحهم للرئاسة كانت فى عام ١٩٥٢ ، كمــا أن الجمهــوريين لم يتجــاوزوا الاقتراع الأول منذ ذاك العام) وهذا ماكان يثير قلق القوى المؤيدة لنيكسون . وكان ذلك يرجع جزئيا الى انهم كانوا يشــعرون بأن الاتفــاقات مــع زعمــاء الحزب فى الجنوب قد كفلت لهم ضمانات بشأن تأييد المندوبين ، غير ان بعض اصدقائهم وجدوا أن هذا الأمر من الصعب ان يصدق بالنســبة لنائب الرئيس السابق . وقــد اذاعت محــطة تليفــزيون س . بى . اس ليلة الاثنين ، اى قبل يومين من الأقتراع الأول الحاسم ، أول تقرير جــاد لاتجــاهات المندوبين منذ اعلن ريجان رسميا ظهر هذا اليوم ترشيح نفسه . وذكرت المحطة التليفزيونية ان نيكسون سوف يفوز بـ ٦٢٦ صوتا ، اى بأقل مــن ٤١ صــوتا مــن الفــوز بالأغلبية . بينما يحصل روكفلر على ٢٤٣ صوتا مقابل حصــول ريجــان على ١٩٢ صوتا .

وقد حــاول ريجــان كســب تأييد المندوبين ، غير انه وجــد ان المؤيدين المحتملين مثل (السناتور ستروم ثورموند) من (كارولينا) الشمالية ، وحتى (جول ووتر) ، كانوا يساندون نيكسون . وكانوا قد حصــلوا على التزامــات

مقابل تأييدهم نيكسون ، وخاصة (ثورموند) الذى كان قـادرا على ان يقـدم نفسه ، كما لوكان لديه حق الاعتراض (الفيتو) على من يختاره نيكسون نائبا للرئيس . ولذلك فاز نيكسون بالأغلبية فى الاقتراع الأول بفارق خمس وعشرين صوتا فقط .

وقد تذكر (كليف هوايت) ، الذى كان مسـتشارا مخلصـا لريجـان عام ١٩٨٠ ، وهو جالس ذات يوم فى مقر الحملة الانتخابية فى (ارلنجتون) الجهود التى بذلها عام ١٩٦٨ . وقد استعاد الى ذاكرته شيئين بصفة خاصة . أولهمـا فى عام ١٩٦٨ ، عندما دخل هوايت مكتب الحاكم ليقدم تقريرا عن سير الأمور فكان ريجان يقول فى كل مرة : « لقد قررت ان اعود الى المزرعة . »

وثانيهما ، الانطباع الذى كان سائدا انذاك وهو ان « رونالد ريجـان كان ينظر الى الوظيفة العامة باعتبارها خدمة عامة . وكان يتخـذ مـوقف اسـتاذ المدرسة الثانوية الأمر الذى يوحى لك بأنه يتعين عليك ان تفعل ماهو متوقـع منك ان تفعله ، غير انه من غير المفترض ان تصوت من اجل نفسك . »

غير ان ريجان عام ١٩٦٨ الخجول الذى لايشعربثقة فى نفسـه على نحـو يدعو الى الضحك فيما يتعلق بتطلعـه الى اعلى منصـب فى البلاد ، والذى كان يحجم عن ان يدفع نفسه الى الأمام بشـدة ، لم يكن هـو نفسـه ريجـان عام ١٩٧٦ . ذلك انه بعد ان امضى اكثر من ست سـنوات فى سـكرامنتو (وكانت الأغلبية التى حصل عليهـا ليفـوز بفترة ثانية لحـكم الولاية . لم تكن كبيرة ، ولكنها كانت مريحة) شعر بارتياح لانه قام بعمل طيب بالنسبة لادارة حكومة اكبر ولاية فى البلاد (بل ان نقاده يتفقون على انه لم يكن حـاكما سـيئا على نحو ماكان ينذر بأن يكون) . ومن ثم ، اقتحـم ريجـان عام ١٩٧٦ بمـوقف مختلف للغاية .

فأولا ، كان ريجان يتوقع ان يكمل ريتشارد نيكسون مـدة رئاسـتة ولذلك خطط لتحدى كافة الاشخاص الجدد الذين قـد يتقـدمون لترشـيح انفسـهم للرئاسة ، وخاصة (سبيرو اجينبو) نائب الرئيس . غير ان شيئا غريبا حـدث فى هذا الطريق الى البيت الأبيض : فقد استقال مستر نيكسون مـن الرئاسـة قبل ان يوجه اليه الاتهام (بسبب فضيحة ووترجيت) . وهكذا وجـد ريجـان فجأة امامة رئيسا جمهوريا (هـو جيرالد فـورد الذى كان نائبا لنيكسـون) مؤهلا لأن ينتخب فترة ثانية .

وكان هذا الأمر مختلفا عمـا خـطط له ريجـان . فقـد كان لديه بعض التحفظات الجاده حول الترشيح للرئاسة ضد رئيس يشغل المنصب من اعضاء

حزبه . فقد احجم ريجان عن انتهاك « الوصية الحادية عشرة من وصايا الحزب – وهى شعار سياسات الجمهوريين فى كاليفورنيا وقد اعلنها رسميا جاى لورد باركنسون الرئيس السابق للحزب الجمهورى فى الولاية ، وقد خدمت ريجان خدمة جليلة فى جعل الهجمات التى شنها عليه جورج كريستوفر عام ١٩٦٦ ووصفه فيها بأنه عديم الخبرة ، لاتنال منه . وتقضى هذه الوصية بأنه يتعين عليك الا تتحدث بسؤ عن الجمهوريين الاخرين » .

ويعد ريجان جمهوريا له مبادىء ثابتة ، لا يطرأ اى تغير جوهرى على فلسفتها السياسية ، وان كانت تتعرض لتبدلات ضئيله من حيث التأكيد عليها ، لكنه لم يكن سياسيا تقليديا . ويرى وليام فرلش سميث ان ريجان « لم يفتقر الى احترام التقاليد » على الرغم من ان منافسته لجيرالد فورد فى الحصول على ترشيح الحزب للرئاسة عام ١٩٧٦ كانت تنم بوضوح عن الافتقار الى التقاليد . غير ان سميث لم يختلف مع تقدير ب . سيرزم وهو مدير الحملة الانتخابية لريجان حتى فبراير ١٩٨٠ . ويقول سيرز « انه اذا ماجئته بفكرة مختلفة ، فلن يقول لك الأمور لاتسير هكذا . وانما سيطلب منك ان تشرح له فكرتك واذا ماكتت مقنعة فسوف يوافق عليها .

والواقع ان قرار ريجان بترشيح نفسه عام ١٩٧٥ ، على الرغم من ان فورد كان يشغل منصب الرئيس ، لم يكن مختلفا عن قراره بالترشيح لمنصب حاكم كاليفورنيا عام ١٩٦٥ . فقد وافق ريجان بعد مناقشات مستفيضة على تشكيل « لجنة استطلاعية » ، وتعد مثل هذه اللجان واحدة من الأفكار التى يتفق عليها خيال السياسات الأمريكية . وتشير هذه اللجان ، فى اغلب الأحيان ، الى انها ترى ان احتمالات ترشيح الحزب لمرشحها للرئاسة قائمة . وعندما وافق ريجان على تشكيل اللجنة فى منتصف الصيف ، كان من المقدر ان يعلن ترشيح نفسه للرئاسة فى نوفمبر .

وكانت حملة ريجان الانتخابية خلال عام ١٩٧٥ – ١٩٧٦ من اجل الفوز بترشيح الحزب له أول منافسة حقيقية ضد رئيس جمهورى يتولى السلطة منذ حملة (تيودر روزفلت) عام ١٩١٢ . ولقد تم الاعداد الجيد لحملة ريجان الانتخابية على مستوى (التكتيك) ، غير ان التنفيذ لم يكن جيدا دائما . كما كانت المقار الرئيسية للحملة الانتخابية مشغولة بمشاكل حالت بينها بينها وبين الاهتمام باداء بعض الأعمال الانتخابية فى موعدها المحدد . ولقد اعطى (جون سيرز) – الذى كان استاذا فى فن (التكتيك) ، ويحظى بشعبية فى مجال الصحافة ، ولديه مهارة فى التعامل مع الصحفيين – اعطى دفعة قوية

بالنسبة لكسب الثقـة بالحملة الانتخـابية . غير ان هيئة الحملة الانتخـابية ، الرغم من أنها كانت موهوبة لم تتسم بالعمق . ومـن ثم اتجهـوا الى التركيز على التكتيك اكثر من تركيزهم على القضايا السياسية الانتخابية ، بينما كان ريجان يظن انهم يهتمون بكل شيء » .

وقد ظهرت المشكلة الاساسية بشأن هذه القضـايا خـلال حملة ريجـان الانتخابية عام ١٩٧٦ بسبب خطبة القاها فى سـبتمبر ١٩٧٥ ، وهـى خـطبة راجعتها القيادة العليا للحملة الانتخابية مراجعة غير فـاحصة وغير دقيقـة . فقد اقترح ريجان فى هذه الخطبة ان تحول الحكومة الفيدرالية ٩٠ مليون دولار تخصصها للبرامج الاجتماعية ، الى ميزانية التعليم . وعندمـا وصـل الى نيو هبشـاير فى أول المراحـل الجـادة لحملته الانتخـابية فى يناير ١٩٧٦ ، كانت الحملة الانتخابية لفورد تنتظره ، باتهامات تفصيلية عن التكلفة التى يقتضيها استبدال الخدمات الفيدرالية بالنسبة لولاية تفرض فيهـا ضرائب فيمـا يتعلق بسن ضريبة الدخل أو ضريبة المبيعات أو كليهما . ورد ريجان على هذا شارحا وجهة نظره ، ومتحدثا عن تحويل العائد من الضرائب الفيدرالية المفروضة على المشروبات الروحية والسجائر ، أو جزء مما يدفعه سكان الولاية مـن الضريبة على الدخل ، الى الدولة لتعويض النقص . ويجادل ريجان حتى الآن فى ان هذه الفكرة قد عززت حملته الانتخابية . غير ان كل الاشخاص الاخرين المشتركين فى حملته أو غيرهم يرون ان هذا الوضع الدفاعى لريجان قـد ادى الى التقليل من اهمية حملته واسهم فى عدم فوزه بفارق ضئيل من الأصوات فى الانتخابات التمهيدية فى (نيو هـامبشاير) ــ وكان عدد كبير مـن المراقبين يعتقـدون انه سيفوز فى هذه الولاية .

وقد تلت هزيمته فى (هامبشاير) ، هزائمة فى ولايات (ماساسوسيتشى) و (فلوريدا) و (الينوى) . وكانت الولايتان الاخيرتان تبدوان ناخبتين لريجـان خلال الدفعة الأولى لحملتة الانتخابية . وبعـدئذ ، انهـارت حملته الانتخـابية قريبا ، وتردد الحديث عن تخيله عن مواصلة حملته . وقد اثار هـذا الحـديث حنق ريجان ، مما أدى الى ان تفقد الوصية الحادية عشرة سـطوتها بالنسـبة له . وكان ان بدأ يشكو من خلال حملته الانتخابية مـن الكيفية التى سـيوزع بها فورد الهبات الفيدرالية . واتهم مجموعة فورد قـائلا : « ان هـذه الفـرقة الموسيقية لاتعرف : هل تعزف نشيد يحيا الرئيس ؟ أو نشيد سانتا كلوز قـادم للمدينة ؟ . »

غير ان الاجراء المبتكر المؤثر انذاك كان حديث ريجان امام التليفزيون فى

جميع انحاء فلوريدا لمدة ثلاثين دقيقة . ويقـول ريجـان انه فـكر في تسـجيل الحديث عندما قررت محطة تليفزيون فلوريدا اعطاء ثلاثين دقيقـة مثله في ذلك مثل المرشحين الاخرين . ويتذكر ريجان في حديث ادلى به بعد ذلك : « لقـد كان كل شخص يقول : كيف ستستخدم هذا الوقـت ؟ وقلت سـألقى فيه خـطبتى الانتخابية الاساسية ولم يكن لهذه الخطبة التليفزيونية سوى قدر ضئيل مـن التأثير على فلوريدا . بيد انهـا ادتت ثمـارها في (كارولينا) الشـمالية حيث احرز ريجان فوزا ساحقا . ثم اذيعت الخطبة على الصعيد القـومى ممـا ادى الى جمع تبرعات تكفى لاستمرار الحملة الانتخابية الى ان جرت الانتخـابات التمهيدية في ولاية تكساس في أول مايو ، حيث كانت الولاية أكثر ترحيبا به » .

وليس مهما من هو صاحب فـكرة هـذا التكتيك ، أنمـا المهـم أنه كان (تكتيكا) غير تقليدى وجـاء مخـالفا لما نصـح به المحترفـون الذين كانوا سيجعلون حملة ريجان تتصف ـ الى حد ما ـ بالطابع التجـارى . ومـن ثم ، وللمرة الثانية في حياة ريجان العملية ، تلعب خطبة تليفـزيونية دورا حيويا في حياته .

وفي تكساس ، أدى الاتجاه المحافظ لدى ريجان ـ وخاصة موقفه السياسى تجاه قناة بنما (لقد شيدنا هذه القناة ، ودفعنا ثمن ذلك ، أنها قناتنا ، وسوف نستمر في الاحتفاظ بها) ـ الى احداث تأثير افضل من موسيقى الولاية ، على الناخبين ، كما استفاد ريجان مـن كلا مـن (لويد بنتش) ، وهـو سـناتور تكساس ، و (جورج والاس) حاكم (الاباما) لم يكونا مرشحين ديمقراطيين جادين . وكان جيمى كارتر هو المرشح الوحيد تقريبا في الانتخابات التمهيدية لحزبه . ولذلك لم يجد المحافظون منافسة جاده بالنسبة للاقتراع في الانتخابات التمهيدية باستثناء المرشح الجمهورى .

وعندما ظهرت النتائج في وقت متأخر من ليلة السبت ، سحق ريجان فورد ، بفوزه باصوات الستة والتسعين مندوبا . وبعد ثلاثة أيام مـن هـذا الفـوز ، أنتصر في (جورجيا) و (الاباما) و (انديانا) وفي الوقت نفسه ، كان ريجـان يقوم بجهد طيب في المؤتمرات الحزبية في الولاية الجبلية ، لقـد كانت منافسـة حقيقية .

غير ان فورد سرعان ماعاد الى الظهور ، حيث فـاز في (ميتشـيجان) و (اوهايو) ، وهما انتصاران حاسمان ، الأمر الذى جعله يحقق تقدما ضـئيلا بالنسبة لحصولة على اصوات المندوبين في الانتخـابات التمهيدية . غير أن كلا المرشحين لم يحصل على عدد من الأصوات تكفى لأن يفوز . ولكن فـورد كان أكثر اقترابا من الفوز . وهنا يمـكن القـول بأنه اذا مـاكانت هناك مناسـبة

لتوضيح أثر سلطة البيت الابيض فى المساهمة فى الحملة الأنتخابية ، فهذه هى المناسبة . فقد كان فورد يفوز باصوات المندوبين غير الملتزمين كل يوم ، مما جعله يقترب من الحصول على اغلبية الأصوات اللازمة لترشيحه للرئاسة فى (كنساس سيتى) . ولم تكن النداءات التليفونية التى يوجهها ريجان للمندوبين المترددين تتفوق على تلك الدعوات التى يوجهها عامل التليفون بالبيت الأبيض عندما يقول : « الرئيس يتكلم » وعندما يتكلم الرئيس يوجه الدعوات لزيارة البيت الأبيض بل قد يوجه دعوات لرؤية المشهد الرائع خلال الاحتفالات بالذكرى المائتين لأقامة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو مشهد السفن الضخمة فى ميناء نيويورك من فوق حاملة طائرات ، كما كان فورد يلتقى بهؤلاء المدعوين .

ولذلك استجاب ريجان لفكرة غير عادية طرحها عليه (جون سيرز) ، بالرغم من أن احدا لم ينفذها من قبل . فقد كانت التكهنات عن المرشح الذى سيتم اختياره نائبا للرئيس تستمر عادة الى ان يتم ترشيح الرئيس نفسه ، ثم يعلن رسميا بعد ذلك اختيار هذا الشخص غير ان (سيرز) اقترح اختيار شخص ما ، فى منتصف يوليو بشرط ان تكون لديه القدرة على اجتذاب تأييد المندوبين المترددين فى المناطق التى يكون فيها شعبية ريجان ضعيفة .

واقترح (سيرز) ان يختار (السناتور ريتشارد شيزويكر) من ولاية (بنسلفانيا) ، الذى كان حتى ذلك الوقت مؤيد لفورد ، باعتباره شخصا فى وسعه الحصول على تأييد المندوبين فى ولايته وربما فى نيويورك كذلك . واصغى ريجان لما يقترحه (سيرز) حوالى عشرين دقيقة ، ثم سأله عدة اسئلة عن كيفية تنفيذ ذلك ، بيد انه لم يطرح سؤالا واحدا ــ كما يقول سيرز ــ عن حكمة تنفيذ امر لم يقدم عليه أحد من قبل . . ثم استدعى السناتور (بول لاكزالت) من ولاية (نيفادا) ، وهو صديق قديم وكان حاكما لولايته عندما كان ريجان فى (سكرامنتو) وكان (لاكزالت) زميلا (لشيزويكر) فى مجلس الشيوخ واراد ريجان ان يعرف : هل هو محافظ فى اتجاهاته السياسية أم لا ؟ فأكد له (لاكزالت) انه كذلك . وعندئذ وافق ريجان على الاجتماع مع سناتور بنسلفانيا .

ولقد كان هذا الاجراء امرا مثيرا فلجدل العنيف ، مما احدا بالمحافظين فى الجنوب الى ان يشعروا بكراهية حادة تجاه (سيرز) لقد كانت مغامرة جريئة ، ولكنها لم تكن فعالة . غير ان عدم فعاليتها لم يسفر عن شىء اقل من التزامهم بخططهم الأولى . ذلك ان (شيزويكر) لم يجتذب تأييد وفود اضافية

يعتد بها ، بينما احرزت حملة ريجان الانتخابية (بما فى ذلك عرضه الغريب بارسال قوات امريكية الى روديسيا) تأييد عدد ضئيل اخر . وحاول (سيرز) بعد ذلك ، القيام ببعض المغامرات التى تتصل بقواعد المؤتمر الانتخابى ، والتى كان يأمل من وراءها الى ارغام فورد على تعيين مرشحه لنائب الرئيس كذلك ، وبذا يفقد تأييد الليبراليين والمحافظين . والقوى المؤيده لريجان احرزت سلسلة من الانتصارات فى المعارك الانتخابية ورغم ذلك منيت بالهزيمة فى مؤتمر الحزب ، ولم يقترب ريجان من الحصول على الأصوات اللازمة لترشيحه للرئاسة .

وبعد ان فاز فورد ، والقى خطبة حماسية أعلن فيها قبوله لترشيحه للرئاسة ، دعا ريجان الى المنصه حيث القى خطبة موجزة ، ولكنها طغت على خطبة فورد ، مثلما فعل عام ١٩٦٤ ، وشجعت الجناح اليمينى المهزوم فى الحزب الجمهورى على ان يتأهب لخوض المعركة يوما اخر .

وقد اشاد ريجان فى كلمته بفورد ، غير ان مجمل اشادته تركز على البرنامج الانتخابى للحزب الجمهورى حيث قال : « يوجد الساخرون الذين يقولون ان احدا لم يعبأ بقراءة البرنامج الأنتخابى ، وانه لايعنى شيئا فى كثير من الأحيان . غير ان البرنامج الانتخابى للحزب الجمهورى ، هذه المرة مثل العلم ذى الألوان الماهية التى لاتخطئها العين ، حيث لاتوجد به ظلال باهته مرسومة (بالباستيل) ثم تحدث الى الأمريكيين بعد مائة سنة من الأن ، وقال أنهم اذا ما كانوا سيحظون بالحرية التى نعرفها حتى الان ، فان ذلك يعتمد على مانفعلة نحن ، هل سيتذكرون الماضى بتقدير ، ويقولون : شكرا لله من أجل أولئك الناس الذين ناضلوا عام ١٩٧٦ من أجل بقاء الحرية ، والذين حافظوا على أن نبقى احرارا بعد مائة سنة ، والذين ابعدوا عن عالمنا غائلة الدمار النووى ؟ . »

واضاف ريجان : « ان هذا هو التحدى الذى نواجهه . ولهذا وفى هذه القاعة ، وفى هذه الليلة ، علينا ان نفعل عملا عظيما افضل مما فعلناه من قبل ، علينا الا نتحدث الى بعضنا وعن بعضنا بل علينا ان نتجه ونقول للعالم : أننا ان كنا فئة أقل ، من حيث عدد أفرادها ، مما كنا من قبل ، الا فأننا نحمل الرسالة التى ينتظرها العالم . ويجب ان نخرج من هذه القاعة ونحن متحدون ومصمموِن ، ومؤمنون بما قاله جنرال عظيم منذ سنوات قليلة لايوجد بديل عن النصر . »

وكان ريجان يستشهد بالطبع بخطبة الوداع الشهيرة التى القاها الجنرال (دوجلاس ماك ارثر) عام ١٩٥١ امـام الكونجـرس ، وهـى الخـطبة التى اختتمها بقوله : « ان الجنود القـدماء لايمـوتون ابدا ، وانمـا يذبلون . وانى اطوى حياتى العسكرية ، واذبل فقط » .

ولكن رونلد ريجان لم يحذو حذو (ماك ارثر) .

خلق الدور

بقلم : روبرت لندسى

فى كثير من الأحيان ، يبدو ان الرؤساء الأمريكيين قد جاءوا الى السلطة من مراكز اقليمية متميزة ، فاذا كان جيمى كارتر بلهجته وسلوكه النابع من ولاية (جورجيا) يذكر الأمريكيين ، فيما يبدو ، ببعض افكارهم الشائعة عن الجنوب الريفى ، فان جون كيندى بمرحه وصوته واسلوبه النابع من المدن يتطابق ، فيما يبدو ، مع التصورات السابقة للأمريكيين عن الطبقة العليا فى (بوسطن) ، بينما كان ليندون جونسون يبدو فى صورة كاريكاتيرية تجعله قريبا من راعى بقر من تكساس ، فهو ضخم البنية ، له عضلات مفتولة ، وسوقى فى بعض الاحيان . اما ريتشارد نيكسون فقد كان يومىء الى الاثرياء الجدد فى كاليفورنيا ، اما رونالد ريجان فيمثل الجوانب الاخرى لهذه الأفكار الشائعة التى بنى عليها الناس تصوراتهم عن كاليفورنيا . فقد كان نجما سينمائيا وسيما ، مهاجرا من وسط امريكا مثل الملايين الاخرين من أهالى كاليفورنيا الذين جاءوا الى الغرب ابان الثلاثينيات للبحث عن مستقبلهم محملوا معهم القيم المحافظة السائدة فى المدن الصغرى فى وسط امريكا .

ان رونالد ريجان يعد ممثلا بحكم مهنته . وتلك هى أهم حقيقة بالنسبة له . فهو ممثل بارع تدرب على ان يكون حاكما لأكثر الولايات الأمريكية اكتظاظا بالسكان ، وتدرب على الرئاسة عن طريق امتلاك ناحية مهارته كممثل ورجل اتصال على شاشات السينما والتليفزيون وامام الاف المشاهدين ، عندما كان يعمل فى قسم الدعاية لمبيعات شركة جنرال الكيتريك ، كان يشيد بفضائل نظام المشروع الحر . ولعل اهم مهارته تتمثل فى قدرته على توصيل الفكرة أو الشعور العاطفى للمشاهدين .

وقد دخل ريجان المسرح السياسى ولديه شعور بالثقة بالنفس بأنه كان فوق مسرح اخر استمع وهو فوق منصته الى التصفيق الطويل منذ خمس واربعين عاما . وبينما كان البالونات ترتفع فى السماء ، والجمهور يشب على قدميه فرحا وتعزف فرقة موسيقية نشيد « كاليفورنيا .. ها انذا قادم » ، كان

ريجان ، الواثق من نفسه ، والذى كانت تعلو وجهه ابتسامه ، يلوح بيديه وينتظر قليلا الى ان يخفت التصفيق ، والواقع أن ريجان لايكون قط فى كامل لياقته وحضوره الا عندما يقف أمام جمهور كهذا ، وخاصة فى المدن الأمريكية الصغيرة ، حيث يقول له مايود سماعه . وباختيار التوقيت الملائم فى آلاف من مثل هذه الاجتماعات ، يخوض ريجان حملته برسالة ، لاتتغير ، عن القيم البسيطة التى كانت تتضمنها كلماته وخطبه القديمة ابان عملة فى شركة جنرال اليكتريك .

وكان ريجان يشن هجماته على الديمقراطيين معتمدا على فقرة من احصائية واحدى النكات ، قائلا أنهم قد تخلوا فى الواقع عن تحقيق الحكم الامريكى بأبلاغ الأمريكيين ان عليهم ان يستعدوا لمستقبل لاتوجد فيه وفرة من الطاقة ، أو المواد الأولية ، وفرص عمل أقل بالنسبة للجيل القادم .

ويهاجم ريجان الروس بتركيز هجومه ، بقدر الامكان ، على الوضع الذى سيؤول اليه العالم عندما يسيطر الشيوعيون على العالم ، ويحذر بشدة من مغبة انهيار القوة العسكرية الأمريكية التى كانت تسيطر ذات يوم على العالم ، بيد أنها لم تعد كذلك فى الوقت الحاضر . ثم يعرب عن اسفه مرة أخرى للاضطهاد الذى يتعرض له الامريكيون العاديون من جانب الحكومة الكبيرة النهمة الى الضرائب والتى تسرف فى انفاق الأموال .

ويشجب بالفاظ عنيفة اضطرار شركة جنرال موتورز الى تشغيل اكثر من ٢٠ ألف موظف لمجرد ان تملأ البيانات التى تطلبها الحكومة ، ويقول ان احدى وكلات الحكومة تستهلك وحدها من الأوراق كل عام مايكفى لأن تغطى ضاحية كولومبيا ثلاث مرات . . . »

ثم يتريث دقيقة أو دقيقتين ويضيف قائلا : « وربما لاتكون هذه فكرة سيئة . . . » .

ويتذكر ريجان انه عندما كان شابا ، كان الشبان والشابات أمامهم فرص لا حدود لها كى يشقوا طريقهم الى الأمام . ولكن فى الوقت الحاضر ، خنقت الضرائب المرتفعة وواضعوا اللوائح الحكومية الحوفز لدى الافراد والأعمال . ويقول ريجان : دعنا نحرر صناعة البترول من اللوائح الحكومية ، وعندئذ ستتمكن شركات البترول من حل ازمة الطاقة ، الم تحل دائما البراعة و (الدينامية) الامريكيية مشكلات البلاد ؟ .

ويقول ريجان : « ان جيمى كارتر صرح بأنه يتعين علينا أن نعيد قناة بنما لأن احدا لن يكن لنا أى حب اذا لم نفعل ذلك . . . ويعلن جيمى كارتر انه يجب علينا ان نوقع على معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية (سولت ــ ٢) لأن احدا لن يكن لنا أى حب اذا لم نفعل ذلك . . . .

« حسنا ، انى أقول : الم يحن الوقت الذى نكف فيه عن القلق من كون الناس يحبوننا أو لايحبوننا ؟ ، والذى نقول فيه : « أننا نريد ان نحظى بالاحترام مرة أخرى . »

ولقد كان المشاهدون من المناطق الريفية فى (نيوانجلند) من المدن الزراعية فى ولايات الوسط الغربى ، ومن ضواحى (لوس انجلوس) الى (الفيلات) المقامة للاستشفاء والراحة فى (اريزونا) و (فلوريدا) ، يستمعون الى هذه الكلمات خلال الحملة الانتخابية للرئاسة عام ١٩٨٠ ، وكانوا يبدون كمن حركتهم من مقاعدهم صدمة كهربائية ، فيقفون على أقدامهم ويتفجرون فى تصفيق عاطفى لمدة طويلة .

والواقع ان جيمى كارتر لم يقل ابدا انه يتعين على أمريكا ان تعيد قناة بنما ــ أو توقع معاهدة سولت ــ ٢ ــ لأن الناس لن تكن للولايات المتحدة اى حب اذا لم تفعل ذلك . غير ان هذا لا يهم . اذ أن الجمهور الذى كان يستمع الى ريجان كان يتطلع بجلاء الى زعيم يشعر بما يشعرون به ، يشعر بنفس الألم الذى يعتصر معدته مثلما يشعرون ، ويشعر بنفس الأحساس القلق من عدم الأمن والثقة فى الأمريكيين وبلدهم . غير ان ريجان علاوة على ذلك ، خطيبا منوها اقنعهم بأن الأمور لاينبغى ان تسير على هذا المنوال ، وانه يعرف كيف يدير عقارب الساعة الى الوراء ويستعيد للولايات المتحدة وضعها القوى الذى لايبارى ، والذى كانت تتبوأه ذات يوم فى العالم . ويقول ريجان احيانا : انه جعلهم يؤمنون بأن امريكا تعد « امة القدر » منذ بداية تاريخها ، وأنها يمكن ان تغدو مرة أخرى ارض الفرص المتاحة ، التى يمكنك فيها ان تشق طريقك وربما أن تصبح غنيا .

لقد كان رونالد ريجان واحدا من جيل الممثلين والممثلات فى (هوليود) الذين كانت تقيدهم العقود بـ (استديوهات) قوية تنتج الأفلام السينمائية كما لوكانت تنتج سلعة . وكانت حفنة من الفنيين الذين يطلق عليهم اسم « المغول » يديرون هذه (الاستديوهات) مثل اقطاعيات العصور الوسطى ، حيث يسيطرون بشدة على تدفق الافلام للجمهور المتشوق اليها ، وكذلك يتحكمون فى حياة من يمثلون هذه الأفلام ، بحيث لم يتسطع سوى عدد ضئيل من هؤلاء

الممثلين اثارة غضب « المغول » خشية فقد وضعهم الممتاز . وكان الممثلون من اصحاب العقود يمثلون حسب الطلب ، ويقرأون السطور التى يكتبها كتاب من اصحاب العقود ، ويخرجها مخرجون بعقود كذلك . ولذلك نادرا ماكان احدا الممثلين يختار الدور الذى يؤديه فى فيلم متميز . فالى جانب الفيلم الممتاز « ذهب مع الريح » كانت توجد مئات الأفلام الهابطة .

ومن هذا الوسط المهنى ، بدأ رونالد ريجان حياته السياسية . وربما ساعدة ذلك على ان يكون اكثر الخطباء السياسيين الأمريكيين اقتدارا منذ (فرانكلين د . روزفلت) الذى كان يؤيد فى الواقع كل شىء ندد به ريجان فيما بعد ، ومن الغريب ان روزفلت كان معبود ريجان فى شبابه ، وكان ينبهر بأسلوبه فى القاء الخطب .

ومع ذلك ، فعل ريجان ما هو أكثر من مجرد امتلاك ناصية مهارات الخطابة . فمن جذوره الضاربة فى أعماق ارض الأمة خلال السنوات العصيبة ابان الكساد وما بعد ذلك ، وخلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، اتنق مجموعة من المعتقدات الشخصية ، التى يسميها بعض الدارسين بالقيم « التقليدية » ، وهم لا يوافقون عليها دائما . وهى الايمان بالله والاسرة والوطنية الامريكية ، والتفاؤل بالمستقبل والاعتقاد بأن العمل الجاد كفيل بأن يؤتى ثماره . ولذلك كان البعض يتهم ريجان فى السنوات الأخيرة بأنه يبسط الأمور وانه (ديما جوجى) وخاصة عندما كان يجوب انحاء البلاد وهو يقول ، أو هكذا كان يبدو ـ : أن الحل لكافة مشاكل الأمة هو ان تكف الحكومة عن التدخل فى شئون الشعب .

والواقع ان ريجان سبق غيره من رجال السياسة الامريكيين السياسيين فى الاعتراف بمد التيار المحافظ الذى اثر على الكثير من اوجه النشاط والحياة فى البلاد فى اواخر السبعينات . فلقد اصبح المتحدث باسم الاتجاه المحافظ الشعبى الذى تمتد جذوره فى بعض القيم التى جاء بها الى كاليفورنيا فى اواخر الثلاثينات . ولقد قدم جمهورى اخر هو (بارى جولد ووتر) فى عام ١٩٦٤ للناخبين الأمريكيين العديد من هذه القيم ، بيد ان التوقيت الذى طرح فيه ريجان هذه القيم كان مختلفا . وما هو اكثر اهمية من هذا ، ان ريجان كان اكثر فعالية فى توصيل رسالته للناخبين . لقد كان خطيبا بارعا .

وقد ولد رونالد ويلسون ريجان فى (نابيكو) بولاية (الينوى) فى ٦ فبراير عام ١٩١١ ، فى شقة صغيرة فوق متجر عام يملكه هو . سى بيتنى ، حيث كان

والده يعمل فيه بائعا للأحذية ، وكتب ريجان عام ١٩٦٦ فى سيرته الذاتية ان الانباء التى ترددت عن مولدى « ان وجهى كان ازرق من العويل والصراخ ، وكانت عجيزتى حمراء من التضخم ، وزعم والدى بعد ذلك اننى كنت ابيض اللون عندما قال ان هذا الفأر الهولندى الصغير يثير جحيما من الضوضاء ، اليس كذلك ؟ ومنذ مولدى اصبح اسم التدليل الذى يطلق على هو « الهولندى » . ولقد كنت مولعا بصفة خاصة بالالوان التى ظهرت على جسدى عند مولدى وهى : الأحمر والأبيض والأزرق .

وعلى حين ان بعض الشبان الذين شبوا فى القرى الصغيرة مثل تامبيكو ١٢٠٠ نسمة بولاية الينوى بالوسط الغربى بالولايات المتحدة ، يشعرون بالأسى لاحساسهم بالعزلة وبالافتقاد الى مفاتن ومغريات المدينة الكبيرة ، لم يأسف ريجان على ذلك ـ أو على الأقل لم يدرك طبيعة هذا الحدث عندما يتذكر فى سيرته الذاتية فترة شبابه . فهو يكتب عن نموه فى تامبيكو قائلا : « لقد تحول وجودى الى انشوده من أناشيد الرعاة النادرة » لهلك فلتوم سوبير » ، حيث الغابات والغموض ، حيث الحياة والموت بين الكائنات الصغيرة ، وصيد الحيوانات وصيد السمك » . ويضيف قائلا لقد كانت تلك الأيام أسعد أوقات حياتى » . غير انها لم تكن حياة سهلة . فقد كان والده يفرط فى شرب الخمر ـ « لقد اصيب بالمرض الايرلندى (اى ادمان الخمر) على نحو قول رونالد ريجان بعد ذلك بسنوات عديده . وكان من الصعب عليه فى كثير من الاحيان ان يبقى فى عمله . بيد ان (جون ادوارد ريجان) ، والذى يمثل الجيل الأول « للايرلندى الاسود » كان رجلا طموحا ، وكانت عائلته دائبة الترحال بسبب بحثه عن عمل افضل . ورغم ذلك ، وبكل المعايير ، كان هو وزوجته نيللى يرعان اسرة متماسكة تسودها علاقات حميمة .

وقد تعلم ريجان من والدته ، التى كانت تدرب فرقة تمثيل محلية ، أولى عمليات تذوقه الفنى للتمثيل ، بينما كان لوالده من ناحية اخرى ، التأثير الأول على نظرته السياسية . فقد كان جاك ريجان عاملا جادا ، تطلع خلال فترة طويلة من حياته الى ان يمتلك المتجر الذى يعمل به ، وتمكن اخيرا من ان يشارك فى ملكية احد المتاجر فى دكسون بولاية الينوى عام ١٩٢٠ . ويمكن ان تفسر احلام الرجل العجوز فى ان يمتلك المتجر الذى يعمل فيه ، ثم تحقيق حلمه فى النهاية ولو لفترة وجيزة (ذلك انه فقد المتجر الذى مول عملية شرائه بالأموال المقترضة ، خلال فترة السكاد) يمكن ان تفسر هذه الاحلام الصلة الوثيقة التى ربطت فيما بين رونالد ريجان ورجال الأعمال الذين قدموا الكثير من المساعدات المالية له خلال محاولاته الأولى للوصول الى منصب سياسى .

وقد وصف ريجان فى سـيرته الذاتية بعنوان « اين بقية جسـمى ؟ » والده بأنه « ديمقراطى عاطفى يؤمن بحماس بالمعـركة التى وقعـت فى هـرين عام ١٩٢٢ حيث لقى ستة وعشرون شخصا مصرعهم فى مذبحة نجمة مـن اضراب عمال احد مناجم الفحم — ولم يفقـد ايمـانه بأن على الفـرد ان يقـف على قدميه . . . وكان يؤمن بأن كل اناس قد خلقوا سـواسية وان طمـوح الرجـل يحدد مايحدث له بعد ذلك . وسيغدوا هذا المعنى احد الأركان الاساسية لفلسفة ريجان ، ومصدر للألهام لخطبة القـاها ابان عمله الدعائى فى ترويج مبيعـات شركة جنرال اليكتريك .

وتبدو شخصية والده فى جانب اخر من الأدب الخطابى لريجان ، فعندمـا عاد ريجان واخوه من الكلية الى المنزل خلال اجازات اعياد الكريسماس عام ١٩٣١ وجد ان والده قد تلقى انذارا بطرده من عمله بدلا من ان يتلقـى علاوة الكريسماس . وهى قصة يرويها ريجان دائما ، وهو يشـعر بتأثير عاطفـى ، وكان جمهور المستمعين يتجاوبون معـه لدى سـماعها . ومثل والده ، اصـبح رونالد ريجان مؤيدا مخلصـا لفـرانكلين د . روزفلت أثر انتخـابه رئيس عام ١٩٣٢ ، وكان متحمسا مثل والده لاصلاحات السياسة الاقتصـادية الجـديدة (نيوديل) التى تستهدف انتشال البلاد من الكساد الاقتصادى . وكان يجلس الى جانب أفراد عائلته حول المذياع يستمعون الى أحاديث روزفلت « دردشـة حول المدفأة » . ويقول ريجان بعد ذلك انه احتذى بأساليب روزفلت فى احاديثه ونداءاته التليفزيونية للناخبين فى كاليفورنيا . والى جـانب والده ، كان لأخيه (نيل) الذى يكبره بعامين تأثير كبير فى تشكيل الرؤية الأولى لريجان بالنسبة للحياة . وكثيرا ماكان يلجأ اليه مثل طفل ، طلبا للنصيحة .

ولقد كانت النجاحات الأولى التى حققها ريجان متواضعة . فقد برز خلال دراسته الثانوية فى لعب كرة القدم وغيرها من الألعاب الرياضية . وكان يعمل فى الاجازات الصيفية الاسبوعية كعامل انقاذ يضطلع بانقـاذ السـباحين عند تعرضهم للغرق ، وغير ذلك من الاعمال ، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره ، التحق بكلية يوركا ، وهى مؤسسة محافظة يديرها حوارين للمسيح . وانخرط فى نشاط الكلية وممـارسة الرياضـة ، غير انه لم يبرز فى مجـال الدراسـة الاكاديمية ، وقد قال ريجان عن ذلك ، فيما بعـد ، ان خبرته الثقـافية فى الكلية كانت اقل اهمية بالنسبة له من اشباع خبراته فى مجـالات الرياضـة والتمثيل وغيرهما من اوجه النشاط الطلابى . ولذلك نجد انه خـلال الاحباطـات التى تعرض لها عندما كان حاكما لكاليفورنيا بشأن التعامل مع الطلبة الراديكاليين فى جامعة كاليفورنيا خلال الستينات ، سخر ناقدوه من حقيقـة انه اسـهم فى

قيام الكلية بالاضراب مما ادى الى استقالة الرئيس المتزمت للطلبة بعد تعرضه للضغوط .

وقد تخرج ريجان من كلية يوركا عام ١٩٣٢ ، وقت عنفوان الكساد الاقتصادى . وقد استولت عليه انذاك فكرة ان يعمل فى التمثيل . غير انه لم يكن متأكدا من الوسيلة التى تمكنه من ذلك . وليس ادل على ذلك من انه يتذكر ، فيما بعد ، فى سيرته الذاتية « انه لم يكن ممكنا الوصول الى (برودواى) و (هوليود) مثلما لم يكن ممكنا الوصول الى الفضاء الخارجى » . غير انه قرر ان العمل فى الاذاعة هو افضل سبيل امام شاب متخرج من الكلية من ولاية الينوى ليحقق الشهرة ، الامر الذى قد يفضى به فى النهاية الى هوليود أو برودواى . وقد نجح فى الحصول على وظيفة بمحطة دبلو . او . سى بمدينة ديفنبورت بولاية ايوا . وبدأ ريجان يبزغ فى هذا الفن الجديد بالعمل فى محطة دبلو . او . سى وشقيقتها محطة « دبلو . اتش . او » ــ وكان يذيع الوصف التفصيلى لمباريات كرة البيسبول . وسرعان ما اصبح اشهر المذيعين لهذه المباريات فى الولايات الوسط الغربى بالولايات المتحدة ، وذلك بسبب قدرته على الحديث والاقناع ، وموهبته الصوتية والسلوكية ، مما زاد من مكانته وصدقة . ولذلك كان الطلب ينهال عليه لالقاء خطب فى النوادى المحلية وغيرها من المؤسسات عندما لم يكن لديه مايذيعه فى الراديو .

وكان ريجان لايزال يطمع فى تحقيق اشياء اكبر . وعندما رافق فرق اشبال كشافة شيكاغو عام ١٩٣٧ فى رحلة الى جنوبى كاليفورنيا للتدريب خلال فصل الربيع ، التقى هناك بصديق كانت له اتصالات باستديوهات هوليود . ولأن ريجان يعانى من قصر النظر (وهو يضع الآن عدسات لاصقة على عينيه) فقد نصحه صديقه بألا يرتدى نظارته الطبية خلال اللقاء الشخصى واختبار الشاشة . وخلال ايام قلائل ابرم ريجان عقدا مع شركة (اخوان وارنر) .

وفى السنوات التالية ، كان خصومة السياسيين ينعون عليه انه « ممثل درجة ثانية » فى افلام الدرجة الثانية « أو الشاب الذى لم يفز بالفتاة فى نهاية الفيلم » . وهذا صحيح اذا ما استرجعنا فى الذاكرة افلام ريجان . فهو لم يكن يتمتع بالصفات التى رفعت بعض معاصريه ومنافسيه مثل (جارى كوبر) و (كلارك جيبيل) و (روبرت تيللور) و (ايرول فلين) الى مصاف النجوم . ورغم ذلك ، يتضح كذلك ان ريجان قد مثل اكثر من فيلم ناجح وأدى العديد من المشاهد الى اثارت اهتمام النقاد وخاصة فى افلامه « الاخ رات » « وكوتون روكنى » « وكلهم امريكيون » ، « الانتصار الاسود » « ومعركة الملك » ، وذلك

قبل ان تغير الحرب العالمية الثانية مجرى حياته ، حيث بدأ يبدى اهتماما كبيرا بنقابة الممثلين .

لقد اشترك ريجان فى واحد وخمسين فيلما سينمائيا . وانه ــ على عكس ماقاله اعداؤه السياسيون ــ قد حظى بحب البطلة فى كثير من هذه الافلام . واذا ماوضعنا فى تقديرنا الظروف التى كان يعمل فى ظلها ، فربما تجدر ملاحظة ان ايا من هذه الافلام السينمائية جدير بأن يذكر . فبعد ظهوره الأول على شاشة السينما مؤديا دور مذيع راديو فى فيلم « حب على الهواء » ، مثل سبعة افلام اخرى لشركة (اخوان وارنر) خلال الاحد عشر شهرا الأولى من عمله فى هوليود . واستمر نفس الايقاع فى العمل بعد السنة الأولى ، وكان غالبا ما يجد نفسه متنقلا من فيلم الى اخر ، شهرا تلو شهر . وقد اكتسب فى هوليود سمعة طيبة باعتباره عاملا بارعا يوثق فيه ، وكمعبود من المستوى الثانى له وجه وسيم ، ويحفظ ادواره ونادرا ما يتأخر عن موعد عمله . والواقع ان نظام صناعة السينما القديم فى هوليود لم يكن يولى اهتماما كبيرا بالجوده .

وقبل ان يمضى وقتا طويلا على عمله فى هوليود ، شعر ريجان بأن حياته قد استقرت بما يكفى لأن يحضر والديه الى لوس انجلوس واشترى لهما أول منزل يقيمان فيه ، وبعد ذلك جاء شقيقه (نيل) ليبدأ حياة ناجحة فى مجال الاعلانات فى كاليفورنيا .

وكان ريجان يخرج برفقة ممثلات شابات ناشئات ، الامر الذى كان يشار اليه ، من حين الى اخر ، فى الصحف ، ولكنه كان يحظى رغم ذلك بسمعة كونه رجلا محافظا فى مدينة كان العديد من نجوم السينما يعيشون فيها على هداهم . وفى عام ١٩٣٩ ، وبينما كان يشترك فى تمثيل فيلم « الأخ رات » بدأ صداقة عاطفية مع شريكته فى التمثيل جين وايمان ، وكان ان تزوجها يوم ٢٥ يناير ١٩٤٠ فى هوليود وحضر والداه فى حفل الزواج .

وفى عام ١٩٤٢ ، مثل ريجان فيلم (معركة الملك) الذى وصفه نقاد السينما بأنه اعظم افلامه من حيث الاداء . وقد لعب فى هذا الفيلم دور الشاب (دراك ماكيو) الذى اصيب فى حادث سيارة وكان يعالجه طبيب اعترض على صداقة و (ماكيو) مع ابنته . ولذلك بتر الطبيب ساق الشاب ماكيو كنوع من الانتقام منه . وعندما اكتشف ريجان ان ساقيه قد بترتا قال جملته الشهيرة ــ « اين بقية جسمى ؟ » وقد اصبحت هذه الجملة عنوان سيرته الذاتية .

والتحق ريجان قبل ان يغادر ايوا بسلاح المشاة بالجيش كضابط احتياط . وقد نشط بعد حادث قصف الطائرات اليابانية لميناء بيرل هاربر .

ولكن بسبب اصابته بقصر النظر عهد اليه بواجب الحدود فقد عين فى وحدة عرض افلام التدريب على افراد سلاح الطيران . وكانت هذه الوحدة تقع بالقرب من استديوهات مترو (جولدن ماير) فى مدينة (كاليفر) . ولذلك كان بعض افراد الوحدة ، ومنهم نجوم سينمائيون مثل (الن لاد) ، يطلقون عليها اسم « كومانوز مدينة كاليفر) . وكانت هذه الوحدة تضطلع بمشروعات حيوية للمجهود الحربى . ويقول ريجان فى سيرته الذاتية ـ : « من المرجح ان أهم اعمالنا كانت ذات طابع سرى ـ والواقع ان أهم أسرار الحرب ، كان يتعلق بمشروع القنبلة الذرية » .

ويضيف ريجان « لقد قام الفنيون المتخصصون فى المؤثرات الفنية الخاصة ، وهم من رجال هوليود الذين كانوا يرتدون الزى العسكرى ـ ببناء هيكل كامل مصغرا لمدينة طوكيو . وقد غطى هذا الهيكل معظم ارضية مسرح الصوت ، ثم شرعوا فى تصويره معطين تأثيرا بأنه يصور من طائرة تحلق على ارتفاع معين وسرعة معينة .

ويقول ريجان : انه عندما سمع جنرالات سلاح الطيران بهذا المشروع ، ساورتهم الشكوك ، ولذلك ارسلوا وفدا ليتحققوا من (التكتيك) السينمائى الخاص بالايحاء بتصوير طوكيو من داخل طائرة ، وعنئذ « تحول الشك الى حماس » . وكان ان اتفق كبار الضباط ان هذا (التكتيك) من شأنه ان يمكن الطيارين من القيام ببروفه كاملة قبل قصف طوكيو بالقنابل ، وانه لم يكن ممكنا تحقيق ذلك بدون هذا (التكتيك) السينمائى .

وعندما انتهت الحرب ، تغير عدد من الأمور بالنسبة لرونالد ريجان . فقد كانت حياته العملية فى صعود عشية حادث قصف بيرل هاربور ، حيث كان قد حصل على ادوار افضل من أفلام مثل « معركة الملك » . وقد ضاعفت شركة (اخوان وارنر) مرتبه ثلاث مرات قبل ان ينضم للخدمة العسكرية بوقت غير طويل .

وبعد الحرب ، وبينما استمر فى التمثيل السينمائى ، لم ينجح قط فى استعادة مكانته الفنية فى سنوات ماقبل الحرب ، وفيما عدا استثناءات قليلة ، عاد مرة اخرى الى تمثيل افلام الدرجة الثانية ذات السيناريوهات الضعيفة . ويكتب ريجان فى سيرته الذاتية « لقد داخلنى ارتياب خفى بأن عددا كبيرا من الناس فى جميع انحاء امريكا لم يمكثوا فى حالة ترقب لعودتى لمدة ثلاث سنوات ونصف سنة وقد انقطعت انفاسهم وخفقت قلوبهم . لقد وجدوا مجموعة جديدة من الأبطال . »

وكان الشيء الثاني الذي طرأ عليه التغير هو ان زواجه من (جين وايمان) كان قد بدأ في الانهيار .

اما الشيء الثالث فهو التحول الذي طرأ على التفكير السياسي لرونالد ريجان المؤمن بالسياسة الاقتصادية الجديدة (نيوديل) ، وهو التحول الذي نقله من عضوية منظمات ليبرالية في سنى ما بعد الحرب مثل « الامريكيون من أجل الاتحاد الديمقراطي » « والفيدراليون العالميون المتحدون » الى ان يقرر الانضمام الى الحزب الجمهوري عام ١٩٦٢ ، ثم بروزه بعد ذلك باعتباره المتحدث باسم اليمين المحافظ ، وحامل لوائه .

وفي السنوات التالية ، بالغ ريجان في بعض الاحيان في الشوط السياسي الذي قطعه خلال تحوله السياسي ، محاولا اخفاء قيمة سياسية على تغير موقفه من الايمان بالسياسة الاقتصادية الجديدة (نيوديل) الى الجناح المحافظ في الحزب الجمهوري .

وفي هذا الصدد ، كتب ريجان في سيرته الذاتية يقول : انه كان ينضم كالأعمى الى « كل منظمة كان يجد انها قد تكفل انقاذ العالم » . وفي الواقع ، انه لم يتحرك قط بالقرب من اليسار مثلما فعل بعض أفراد مجتمع هوليود) الذين اغرتهم الشيوعية والاشتراكية ومختلف القضايا التي كان يؤمن بها الجناح اليساري . لقد كان ، في ايجاز ، ينتمي لمنظمة واحدة هي لجنة (هوليود) المستقلة للفنون والعلوم والمهن ، التي اتهمت فيما بعد بأنها جبهة شيوعية ، وجمعية اخرى هي « لجنة المحاربين الامريكيين » التي اتهمت بان لها صلات شيوعية . غير انه في كلتا الحالتين ترك هاتين المنظمتين بمجرد اكتشاف اتجاهما . ولكنه كان مثل العديد من الامريكيين الذين عاشوا خلال الحرب العالمية الثانية ، والذين سيطر عليهم الايمان بالمثل العليا بعد الحرب ، مما دفعه الى اعتناق الاهداف الليبرالية ــ مثل : العمل على زيادة المساواة الاجتماعية ، والحريات المدنية ــ التي كانت تدافع عنها جماعة « الامريكيون من اجل العمل الديمقراطي » وغيرها من الجماعات المماثلة .

والواقع ان ريجان رجل ينزع الى اختيار موقفه من القضايا ، استنادا الى تجاربه لا الى البحث المدرسي . ويتذكر ريجان ان ، التحول الذي طرأ على رؤيته السياسية ربما بدأ عندما كان يستمع الى والده ، والى اخيه بصفة خاصة ، وهو يصف تجاوزات السياسة الاقتصادية الجديدة (نيوديل) . فلقد كان هؤلاء الثلاثة ، في مستهل الثلاثينات ، من الديمقراطيين المؤمنين بالسياسة الاقتصادية الجديدة . غير انه مع نهاية عقد الثلاثينات بدأ (نيل

ريجان) يشكو من ان (فــرانكلين روزفلت) قــد ذهـــب الى مـــدى بعيد فى سياسته . ثم لاحظ (ورنالد ريجان) انه بدأ يدرك ، لأول مرة ، ما اعتبره عدم فعالية وتبلد حوافز ناجمين من تضخم الجهاز الحكومى بينما كان يستمع الى والده وهو يتحــدث عن البيروقــراطية الفيدرالية التى تضــخمت حــول ادارة المشروعات التجارية ، وكان والده واخوه يعملان لصالح هذه الادارة . كما بدأ (نيل ريجان) يعانى بسبب معرفته لكيفية سير العمــل الحــكومى . واصــبح انتماؤه بجهاز الحزب الديمقراطى فى شيكاغو واهيا ، وقال لاخيه : انه يشعر بفزع من جراء الفساد و المحسوبية) اللذين شاهدهما بنفسه ، وانه يفــكر فى ترك الحزب الديمقراطى . وهنا يقول (رونالد ريجان) ان كراهيته للحكومة قد زادت خلال الحرب عندما كون اول تجاربه عن الكفاءة الحــكومية . فقــد اراد باعتباره الضابط المسئول عن الافراد فى القاعدة بمــدينة كاليفــر ، ان يسرح بعض الموظفين المدنيين الذين شعر بأنهم غير اكفاء ولا حاجة للعمــل اليهــم ، غير انه منع من تنفيذ ما اراد بسبب لوائح الخــدمة المدنية . وهــو أمــر أثار استياءه .

ولكن من المرجح أن تجربة ريجان كزعيم للعمال ، وزيادة ثرائه الشــخصى كلما تقدم به العمــر ، وكذا دوره اللاحــق كمتحــدث ، باســـم شركة (جنرال اليكتريك) ، كل هذا وضعه على الطريق النهائى لتطوره السياسى .

قـــد تم اختيار ريجـــان عام ١٩٣٨ ليكون مـــديرا لنقــــابة الممثلين السينمائيين ، وهو اتحاد تألف قبل ذلك بخمس سنوات ليكفل للممثلين مــزيدأ من القوة فى تعاملهم مع الاستديوهات القوية . وبعد أن تم تسريحه من الجيش عام ١٩٤٥ ، انضم ثانية الى مجلس النقــابة وانتخــب رئيســا للاتحــاد عام ١٩٤٧ ، واستمر فى منصبه هذا حتى منتصف عام ١٩٥٢ . وقد انتخــب لفترة ثانية لمدة عام فى ١٩٥٩ .

وكان هذا الوقت يعد من بعض النواحــى ، الوقــت العصــيب بالنســـبة لهوليود ، فهى فترة مطاردة الشيوعيين التى كانت تحاول خلال لجنة مــكافحة النشاط المعادى لأمــريكا التابعــة لمجلس النواب اســـتئصال المتعـــاطفين الشيوعيين الذين استخدموا ـ كما يزعم أعضاء اللجنة ـ قوة شاشة السينما لنشر المزيد من الدعاية لصالح الاتحاد الســوفيتى . وكان هــذا هــو زمـــن « القائمة السوداء » حيث لا يســمح للكتاب والمخــرجين ، الذين ينتمــون الى جماعات يسارية معينة ، أو الذين رفضوا الاجــابة على بعض أســئلة اللجنة ، بالعمل فى صناعة السينما وكان هذا الزمن أيضاً هــو الوقــت الذى بذلت فيه محاولات من جانب نقابات العمال التى يسيطر عليها الشيوعيون وغيرها من

المنظمات للتأثير فى صناعة السينما ، باعتبارها أداة إتصال قوية فى الولايات المتحدة .

وهذا الموضوع لا يزال يثير بعض الجدل والنقاش فى هليوود ورغم ذلك ترك ريجان هذا المجال بطريقة مشرفة ، باعتباره معتدلا خلال أزمة صناعة السينما تلك . فقد قاوم ما اسماه « القائمة السوداء » غير الرسمية ، بينما شن حملة فعالة ضد الجهود الضئيلة نسبياً ـ وان كانت ذات فعالية ـ التى تبذلها المنظمات الشيوعية للسيطرة على المجتمع السينمائى فى البلاد .

وبعد أن حضر ريجان أمام لجنة مكافحة النشاط المعادى لأمريكا التابعة لمجلس النواب الأمريكى عام ١٩٤٧ ، عاد الى لوس أنجلوس ليواجه أزمة من نوع آخر . فقد كانت أعمدة أخبار المجتمع بالصحف الأمريكية تنشر أنباء المتاعب التى يتعرض لها زواج (رونالد ريجان) ـ و (جين وايمان) . وكان ان انفصلا فى فبراير ١٩٤٨ . ثم تم بينهم صلح غير ناجح لفترة قصيرة . غير ان (مسز وايمان) أبلغت قاضى (لوس انجلوس) فى ذاك الربيع أنها لا تستطيع الاستمرار فى زواجها من ريجان . وشهدت بأن زوجها قد أصبح مشغولا بنقابة الممثلين واهتماماته السياسية بحيث لم يعد يجد وقتاً يقضيه معها .

وقالت مسز وايمان انه لم يعد يوجد شىء مشترك بينهما ، ولم يعد يوجد شىء يبقى على زواجهما » . وقد حكم القاضى بأن تتولى مسز وايمان حضانة طفليها وهما : (مورين) و (ميشيل) .

وبينما استمر (ريجان) فى تكريس المزيد من وقته لنقابة الممثلين السينمائيين ، حاول ان يبقى على حياته السينمائية نشطه ، ولكن ، على الرغم من انه كان يبدو دائما مشغولا فى العمل فى أفلام جديدة ، إلا أن هذه الأفلام لم تكن ذات أهمية تذكر . ولقد أصبح ريجان مشهوراً فى بعض الدوائر لدورة فى نقابة الممثلين السينمائيين ، ولدوره القيادى . ولقد تلقى عام ١٩٥٢ مكالمة تليفونية من المخرج السينمائى (مرفين لى روى) ناشده فيها أن يصنع معروفاً لممثلة شابة تدعى (نانسى ديفيز) . وقال له (لى روى) : ان هذه الممثلة تواجه المتاعب بسبب تردد اسمها فى قوائم المنظمات الشيوعية » . وقد أكدت لى أنها غير مهتمة بالقضايا اليسارية ، وانها تعارض ذلك بشدة » .

ولقد كانت هذه الممثلة فى الواقع كذلك . والتقى ريجان بالممثلة الشابة . وكان ان تمت بينهم علاقة عاطفية . وعلم ريجان ان الممثلة الأخرى التى تحمل

هذا الاسم قد انضمت الى جماعة أطلق عليها ريجان اسم « القلب الدامـــى » . لقد التقى رونالد ريجان بأمرأة هي نانسى لم تشاركه آراءه بأن أمريكا تواجه خطراً داهماً من جانب الشيوعية فحسـب ، وإنمــا تتفــق معــــه فى كل آرائه السياسية . ولقد كان لنانسى ريجان التأثير الهام النهـائى فى تشـكيل تفـكير رونالد ريجان قبف أن يبدأ عمله الدعائى من أجـل شركة (جنرال اليكتريك) وقد تزوجا فى ٤ مارس ١٩٥٢ .

ويعرب العديد من الأشـخاص الذين راقبوا الصـعود السـياسى لرونالد ريجان ، عن اعتقادهم بأنه سيكون لنانسى ريجان التأثير الهام الوحيد عليه فى البيت الأبيض . واذا ما حكمنا تبعاً للظواهر فــان هؤلاء الأشــخاص يقتربون من الحقيقة . ذلك أن مسز ريجان لم تصبح زوجته فحسب ، وإنما غدت كذلك ، موضع سره ، ومستشاره السياسى ، وموجهته ، والشخص الذى يلجـأ اليه فى كثير من الأحيان لمحاولة الحكم على دوافع وإخلاص الأفراد المحيطين به .

وعلى الرغم من أن ريجان يقلل من شــأن دورهــا فى تشـكيل فلســــفته المحافظة لا يمكن التمييز بين مواقفها السياسية . وفيما يتعلق بهــا ، تعـكس مواقفها وآراؤهـا السياسية ، تعـكس الى حـد كبير خلفية الثراء والشـعور بالأمن وتأثير زوج امها الدكتور (لوريال ديفيز) ، وهو جراح من شيكاغو وله آراء سياسية محافظة ، وقد تقاعد عن العمل فى الوقت الحاضر . وكان الدكتور ديفيز قد تزوج والدة مسز ريجان بعد ان هجر والدهــا الذى كان يعمـل بائع سيارات فى نيوجرسى العائلة ، بينما كانت نانسى طفلة وليدة ، مما دفع والدتهـا الى ان تتركها فى رعاية أقاربها وزوجها ، بينما كانت تحاول ان تعول أسرتها من العمل كممثلة . وقد تبنى الدكتور ديفيز مسز ريجان عندما كانت فى الرابعة عشر من عمرها .

وقد التحقت بمدرسة الفتيات الكاثوليكيات فى شـيكاغو ثم كلية سـميث . وذهبت الى هوليود ، بتشجيع من أمها ، خلال الأربعينات ، حيث كانت واحدة من آلاف الممثلات والممثلين الشبان وقد استفادت فى هذا المجــال مــن نفــوذ (سبنسر تراسى) وغيره مــن أصــدقاء والديهــا الذين يعملون فى صــناعة السينما . وعندما دخلت استديوهات شركة (مترو جـولدوين مــاير) ، مــلأت شهادة إستطلاع للرأى ، حيث أجابت على أحد الأسـئلة الواردة فيهــا حــول « أكبر طموحاتها » بقولها : « أن أكون ســعيدة فى حياتى الزوجية » . وعندمــا سئلت عما اذا كانت تعانى من أى حالة هلع مرضى مــن شيء معين (فــوبيا)

اجابت بقولها : « من السطحية و (السوقية) ، وخاصة بالنسبة للنساء . وإهمال العقل والجسد . والسيجار » .

وقد ظهرت فى أحد عشر فيلما سينمائيا ، لم يحقق معظمها أى نجاح ، وفيهم فيلم « ساحرات البحرية » الذى مثل فيه معها زوجها رونالد ريجان .

غير ان هذا الفيلم الذى مثلته عام ١٩٥٧ قد أصبح خاتمة حياتها السينمائية فى هوليود ، فقد اعتزلت بعده ، لتصبح مسز رونالد ريجان .

ولقد كانت تمثل خلال عملها فى هوليود ادوار الأنثى الجميلة البارعة ــ وهى صورة ابقت عليها فى حياتها الخاصة . وهى تشعر بالأسف للتغيرات التى طرأت على الأخلاقيات المعاصرة مثل العلاقات الغرامية الحميمة وممارسة الجنس قبل الزواج ، والطلاق . وهذه هى وجهة نظرها فى الحياة ، والتى يشاركها فيها زوجها ، وربما تكون قد نبعت من نشأتها فى طبقة وسطى موسرة فى شيكاغو .

ويوجه بعض الأشخاص الذين عملوا مع رونالد ريجان الانتقادات اليه لاعتماده المفرط على آراء الأخرين لاتخاذ قراراته ولنزوعة للأخذ بالنصيحة التى يسديها اليه الشخص الذى تحدث معه حول مشكلة معينة . واذا ما كان هذا الأمر صحيحاً ، فان نانسى قد تكون ثانى أهم شخصية فى إدارة ريجان لأنها الشخص الذى يثق فيه ريجان أشد الثقة ، على حد قول الأشخاص الذين يعرفونها .

ويقول (جيم لاك) الذى يعمل سكرتيراً صحفياً لريجان شهور عديدة خلال حملته الانتخابية للرئاسة عام ١٩٨٠ وكان مستشاراً مقرباً منه : « ان ريجان ونانسى يعيشان قصة حب حقيقية » . فريجان ليس له أصدقاء حميمون بالمعنى الذى يعرفه الرجال ، أى ذلك النوع من الأصدقاء الذين يخرج معهم لتناول المشروبات الكحولية والبوح لهم بأسراره . « ويضيف (لاك) أن الشخص الوحيد الذى يلجأ اليه أكثر من غيره عندما يكون فى حاجة الى نصيحة هو زوجته . أن نانسى هى أفضل أصدقائه » .

(بروفة) كاليفورنيا

بقلم : روبرت لندسى

« فى هوليود اذا لم تغنى وترقص ، فسوف ينتهى بك الأمر كخطيب بعد العشاء ، وهكذا جعلونى خطيبا بعد العشاء »

« رونالد ريجان »

حلف رونالد ريجان ، الذى كان انذاك فى الخامسة والخمسين من عمره ، اليمين كحاكم لكاليفورنيا فى السادسة عشرة بعد منتصف ليلة الثانى من يناير عام ١٩٦٧ . وكان قد فاز فى نوفمبر ١٩٦٦ على الحاكم الديمقراطى ادموند (بات) براون ، وهو والد الرجل الذى خلف ريجان فى منصبه بعد ذلك ، بحصوله على أكثر من مليون صوت . وبينما كانت اثنتان وثلاثون كاميرا تليفزيونية تركز أضواءها على ريجان الذى كان يبدو وسيما وذا وجه صبيانى مثلما كان يبدو على شاشة السينما ، نظر الى صديقه القديم من هوليود السناتور جورج مورفى ، وقال له « حسنا ، ها نحن هنا فى عرض متأخر مرة أخرى » .

ولابد أن هذا التعليق قد أكد للساخرين فى البلاد كل شىء كان يدور بخواطرهم بشأن كاليفورنيا . لقد كانت نكتة كاليفورنيا الآخيرة : أن دميتين شهيرتين من هوليود ، إحداهما نجم سينمائى عديم الخبرة السياسية ومطرب وراقص سابق ، يشغلان الآن اثنين من أكثر المناصب السياسية أهمية فى الولاية التى تجاوزت ، بعد عامين ، ولاية نيويورك ، لتصبح أكثر الولايات اكتظاظا بالسكان ، وكان الكثيرون من السياسيين المحترفين فى كاليفورنيا يعربون عن مشاعر ساخرة مماثلة . وقد انتظروا فى مبنى الكونجرس فى سكرامنتو الرجل القادم من هوليود ليبدأ فى إرتكاب الأخطاء المضحكة .

وقد تحرك ريجان ببطء ، وبطريقة غير شعورية ، من الدور الذى جاء به فى البداية الى كاليفورنيا ، وهو دور الممثل ، الى أطراف النشاط السياسى . ولقد كان يكسب ما يكفل له أن يحيا حياة طيبة . غير ان الكثير مما كسبه لم يكن من التمثيل ، وإنما من احترافه إلقاء الخطب ، حيث كان يقوم بجولات متحدثا باسم شركة (جنرال اليكتريك) ، داعيا ومروجا لمبيعاتها . وهى إحدى

الشركات التى تبنت ظهوره فى التليفزيون . وكان ريجان يقوم بهـذه الوظيفـة باعتبارها جزءاً من خطة العلاقات العامة الخـاصة بالشركة بالنسـبة لزيادة الروح المعنوية بين الموظفين فى المؤسسة التى كانت تتجه باضطراد نحو الأخذ بنظام « عدم المركزية » . وكان (رالف كوردنير) رئيس مجلس إدارة (جنرال اليكتريك) يشجعه بصفة شخصية . وكانت رسـالة ريجـان طـوال الثمـانى سنوات التى تقلد فيها هذه الوظيفة رسالة سياسية بصورة متزايدة . فقد كان يهاجم الشيوعية إستناداً الى خبرته الشخصية فى هوليود . وكان يشـعر بأن المخاطر الحقيقية التى تشكلها الشيوعية بالنسبة لاسـلوب الحياة الأمـريكية لا تحظى بتفهم كاف من جانب معظم الأمـريكيين . ولذلك أفـرط فى الحـديث مؤيداً ومناصراً لنظام الاقتصاد الحر ، الذى كان يشعر بأنه يتعرض للخطر .

وكان ريجان مولعاً باستخدام الأرقام لتوضيح وجهة نظره سواء عندمـا يلقى خطبة أو يكتب سيرته الذاتية . ففى سيرته الذاتية كتب فى فقرة تشير الى عدد المرات التى تحدث فيها وواتته خلالها الفرصة ليصقل أسلوبه فى الحديث ، وهو الأسلوب الذى قال إنه استلهمه جزئيا من فـرانكلين . د . روزفلت ـ كتب يقول عن سنوات عمله فى (جنرال اليكتريك) : « اعرف أن الاحصـائيات تثير الملل ، بيد انها رغم ذلك تختصر ثمانى سنوات من التجول ، زرت خلالها ١٣٥ مصنعاً ، والتقيت مع ٢٥٠ ألف موظف ، وقد قضيت عامين منهما متجولا حيث كنت القى فى بعض الأحيان ١٢ خطبة فى اليوم ، وقد تحدثت أمـام الميكرفـون وانا واقف على قدمى حوالى ٢٥٠ ألف دقيقة » .

وقد بدأ ينتشر فى كاليفورنيا الحديث عن مواهبه كخطيب يتناول فى خـطبه القضايا الأثيرة لدى المحافظين الجمهوريين . ويتذكر هنرى سالفاتورى أنه فى مستهل عام ١٩٦٤ « دعونا ريجان ليلقى خطبة فى أحد الاجتماعات المخصصة لجمع التبرعات للحزب الجمهورى . ولقد كان مؤثراً للغاية » .

ولقد ظل ريجان يشعر ، لفترة طـويلة ، بعـدم الارتياح تجـاه أن يصـبح سياسيا محترفاً ، وتجاه السياسيين المحترفين الآخرين ، وتجاه إنه يبدو مثل الأشخاص التابعين لرجال السياسة فى شيكاغو الذين حدثهم عنه أخـوة منذ سنوات خلت . ولذلك ، كان يفضل الأصدقاء القدامى من هـوليود أو مجتمـع رجال الأعمال الناجحين ، وخاصة المعاصرين منهم مثل (هـولمز تاتل) ، الذى شق طريقه الى النجاح من العمل فى مصـنع سـيارات فـورد فى مـوطنه أو (كلاهوما) الى أن أصبح يمتلك خمسة حوانيت لبيع السـيارات الجـديدة وغير ذلك من الأعمال .

وكان (تاتل) وغيره من الأشخاص الأوائل الذين ساندو ريجان ، يشبهونه من ناحية هامة ـ فهم رجال فى منتصف العمر جاءوا الى كاليفورنيا خلال الثلاثينات قادمين من ولايات الوسط الغربى دون أن يكون معهم مال وفير ، وإن كان يحدوهم طموح كبير ، وقد حققوا النجاح فى ميادين أعمالهم . وكان معظم هؤلاء الرجال مقاولين مثل والده ، ولكنهم إختلفوا عن والده فى أنهم نجحوا فى أعمالهم . وكانوا يعتبرون أن المشروع الخاص هو سر النجاح الاقتصادى الأمريكي وكانوا يعترضون على إستقطاع جزء متزايد من أرباحهم لتمويل حكومة يرون أنها غير كفء ، ومسرفة ، وإنها تضطلع بأعمال تخص أساسا المقاولين الأفراد ، وتشجع الناس على عدم العمل .

وقال (تاتل) ذات يوم عن المجموعة التى أصبحت تعرف باسم « المليونيرات المؤيدة » لريجان « أن كلا منهم عصامى » . وأضاف فى معرض مناقشته السبب الذى دفعهم الى الاقتراب من ريجان « إننا نؤمن بنظام المشروع الحر . وكنا نشعر بأنه يتعين علينا أن نفعل شيئاً ما ، من أجل الحفاظ عليه ، بدلا من الشكوى . ولذلك حشدنا الأشخاص الذين تجمع بينهم مصالح مشتركة ، وقررنا مساعدة ريجان » .

والواقع أن لكاليفورنيا تقليداً راسخاً ، وإن كان متغيراً ، يتمثل فى قبولها الأفكار السياسية الليبرالية . وهو تقليد تمتد جذوره ، جزئيا فى أرضية الفضائح الكريهة التى عمت الولاية قبل بداية القرن الحالى ، وذلك عندما كانت شركة سكة حديد جنوب الباسفيك تدير الولاية وكأنها اقطاعية من الاقطاعيات . وقد أسهمت هذه الفضائح فى تمهيد المسرح لانتخاب (هيرام جونسون) مرشح الحزب التقدمى حاكماً للولاية عام ١٩١٠ . وعمل جونسون على تطهير الهيئة التشريعية الفاسدة ، وشرع فى تنفيذ عدد من الاصلاحات الليبرالية ومن بينها منح أهالى كاليفورنيا حق تعديل دستور الولاية ، وتجاوز الهيئة التشريعية وإصدار القوانين الخاصة بهم عن طريق عمليات الاستفتاء والمبادرات السياسية .

وكانت الولاية خلال الثلاثينات متسامحة لدرجة كافية حققت لليوتوبيا اليسارية الواردة فى كتاب « نهاية الفقر فى كاليفورنيا » أن تتحول الى حركة سياسية وان كانت شعبيتها لم تدم طويلا . ومن المرجح أن الولاية أقامت ، خلال الخمسينات والستينات ، فى ظل إدارة حكامها (اريل وارين) ، و (جودوين نايت) ، و (بات براون) أفضل نظام للتعليم العالى الشعبى الحر فى العالم ، حيث أقامت شبكة من المؤسسات التعليمية التى لم تصبح مكاناً

لانتاج التكونولوجيا الجديدة والصناعات الجديدة فحسب ، وانما أصبحت وسيلة لحصول مئات الآلاف من الشبان الصغار من العائلات الفقيرة على درجات جامعة . وفى السنوات الأخيرة ، بدأت حركة البيئة إنطلاقها من كاليفورنيا .

ولكن ، الى جانب تقليد التسامح إزاء الأفكار الجديدة والسياسات الجديدة والديانات الجديدة ، كان يوجد فى كاليفورنيا كذلك مزاج محافظ يقظ ، ربما تمتد جذوره فى الحداثة النسبية للولاية وللطبيعة السهلة لتحقيق النجاح فيها . فعلى خلاف الكثير من الولايات فى الشرق ، والوسط الغربى ، والجنوب حيث تكونت ، فى كثير من الأحيان ، الثروة العائلية والوضع الاجتماعى خلال أجيال ، مما يحقق لهما وضعاً أمنا ، على خلاف ذلك تعد كاليفورنيا منذ أيام (جولد روش) الولاية التى يمكن للأشخاص أن يبدأوا فيها حياة جديدة ، وأن يكونوا ثرواتهم بمجهودهم ، بغض النظر عن الوضع الاجتماعى الذى جاءوا منه . ومع ذلك ، يرى بعض الأشخاص أنه يمكن أن تكون لمثل هذا النجاح طبيعة مؤقتة ، ومن ثم نجد أن الخوف من فقده يغذى الاتجاه المحافظ ، والشعور بعدم الأمن ، والضغط للابقاء على الوضع الاجتماعى الراهن والقائم . وان هذا الأمر لا يؤثر على الذين حققوا نجاحاً عظيماً مثل (رونالد ريجان) أو (هولز تاتل) فحسب ، بل يؤثر كذلك على اولئك الذين قد يقيسون نجاحهم بما حققوه من شغلهم لوظيفة جيدة ، وبملكيتهم لمنزل وسيارة وجهاز تليفزيون ، وبما يراودهم من آمال فى الحاق أطفالهم بالكليات الجامعية .

وقد بين رونالد ريجان عام ١٩٨٠ أن هذا النوع من القلق لا يقتصر على أهالى كاليفورنيا وحدها ، وإنما يساور الكثيرين من العمال ذوى الياقات الزرقاء وغيرهم من الأشخاص فى جميع أنحاء البلاد . ولذلك إتجه الكثيرون ـ ممن رأوا أن ما حققوه فى حياتهم يتعرض للتهديد بسبب التضخم والمواقف الأخلاقية المتغيرة ، ووجود حكومة لا تشعر بمشاكلهم ولا يفهمونها ، واستمعوا الى تحذيرات ريجان من أن القدرات العسكرية لأمريكا قد وصلت الى حد أدنى من قدرات الاتحاد السوفيتى ـ إتجهوا الى تأييد المرشح الذى بدأ يقول لهم أنه لن يحمى فقط ما حققوه وإنما بوسعه أن يؤكد لهم أن حياتهم ستغدو أفضل . والواقع أن ريجان اكتشف فى كاليفورنيا لأول مرة هذا الجمهور من الناخبين .

وفى الوقت الذى انتخب فيه ريجان حاكماً لكاليفورنيا ، كانت الولاية

تحظى منذ أمد طويل بسمعة كونها أرض الفـرص ذات النمـو السـكانى غير المحدود . وقد عزز هـذه الصـورة عن الولاية خبراؤهـا فى مجـالات الدعاية التليفزيوية والاذاعية والعلاقات العامة واتسع نطاق تأثير هذه الصورة بسبب أفلام هوليود التى كانت تصور فى كثير من الأحيان كاليفورنيا على إنها أرض الأحلام المشرقة ، غير أن هذه الصورة ، فى الواقع ، لم يكن لها وجـود إلا على شاشة السينما . وذلك انه ما أن حـل عام ١٩٦٧ ، حتى بدت على كاليفـورنيا دلائل تشير الى بلوغها منتصف العمر . فقـد بدأت تقـل معـدلات هجـرة الأشخاص من خارج الولاية الى داخلها ، وهى صفة مميزة لكاليفـورنيا مثل مناخها خلال معظم سنوات تاريخها ، بعد أن كانت هذه الهجـرة مثل السـيل ابان الخمسينات وابان الســتينات . وبدأ الحـديث يتضـاءل عن شـمس كاليفورنيا المشرقة ، وعن سحر هـوليود والفـرص المتاحـة غير المحـدودة ، بينما بدأ الحديث يزداد عن ضباب كاليفورنيا ودخانها ، واكتظاظ السـكان فى مدنها ، والجريمة . وقد بدأت صناعتها الممتازة الخـاصة بالفضـاء الجـوى ، والتى تقـدمت بسرعة الصـاروخ منذ الحـرب العـالمية الثانية وحتى أوائل الستينات ، فى الدخول فى مرحلة الكساد العميق ، وبدء تسريح العاملين فيهـا . وكان هذا هو زمن الاضطراب الاجتماعى فى كاليفورنيا . فقد تفجـرت حـركة « الكلام الحر » عام ١٩٦٤ فى جامعة كاليفورنيا ، بينما تفجرت حركة « واتس جيتو » فى لوس انجلوس فى العـام التالى . وقـد اشـتعلت الكليات بالغضـب والاحتجاج ضد حرب فيتنام وغيرها من القضايا ، مما أثار ثائرة الكثيرين من أبناء الطبقة الوسطى فى كاليفورنيا الذين ناضـلوا نضـالا شـاقا مثل رونالد ريجان ــ للنجاة من آثار الكساد الاقتصادى ، ولم يكن فى وسعهم أن يتفهمـوا الأسباب التى تجعل الطلبة المتمردين لا يقـدرون مـا ينعمـون فيه مـن ثراء والفرص المتاحة لهم للتعليم الجامعى .

وكانت كاليفورنيا لا تزال تمثل نوعا من بوتقـة الانصـهار القـومى حيث يهرع إليها الأشخـاص من كل مكان هربا من مشاكلهم فى أوطانهم ويجـربون أساليب جديدة للحياة ويعتنقون ديانات جديدة ، ولا تزال تفرخ ، مـن حين الى آخر ، أشخاصا مثل تشارلز مانسون وجيم جونز . بيد انها مـن نواح أخـرى كانت تنضج ، وتتصف بالمزيد من سـمات ولايات الوسـط الأمـريكى . ولذلك أخذت تتسم بمزيد من الاتجاهات التقليدية والمحافظة ، ويساورها المزيد مـن الشكوك تجاه ما يشكل أى تحد للوضع الراهن القائم . وقد بدأت الاضطرابات الجامعية والتأكيد المتزايد على حقوق الأقليات العـرقية ، والتسـاهل تجـاه الكثير من المحرمات التقليدية للمجتمع الأمريكى المتصـلة بالسـلوك الجنسى ،

والمخدرات وغيرهما من المسائل ومن بينها عبء الضرائب المتزايد لتمويل البرامج الاجتماعية لمشروع ، الرئيس ليندون جونسون الخاص بالمجتمع العظيم ، بدأت هذه الأمور كلها فى إثارة القلق بين الكثيرين من الأشخاص . لقد كان ذاك هو وقت التشكك الشعبى المتزايد تجاه المؤسسات القائمة . ومما يدعوا الى السخرية أن رونالد ريجان كان يشارك هؤلاء الطلبة المتمردين آراءهم ، وهم الذين احتلوا قاعة (سيرول) بجامعة (بيركلى) وسخروا منه ومن زعماء الولاية الأخرين . وعلى نحو ما فعل جيمى كارتر بعد ذلك بعقد من الزمان فى واشنطن ، جاء ريجان الى سكرامنتو كغريب ليخوض غمار معركة مع السياسيين الذين حكموا الولاية . وكان هدفه هو الحكومة ، التى قال : إنها أصبحت كبيرة للغاية . وتتكلف كثيراً ، ويتسم أداؤها بعدم الكفاءة .

واذا كان المؤيدون السياسيون لريجان قد توقعوا أن الممثل الذى أطلق على نفسه اسم « رجل السياسة المواطن » وتحدث عن بناء « مجتمع خلاق » ، سيرتكب أخطاء سياسية عندما يصل الى سكرامنتو ، فانهم لن يصابوا اذن بخيبة الأمل . ذلك أن السنتين الأوليتين من ادارة ريجان كانتا ، بكل المعايير ، فشلا مطبقاً . غير ان معظم المسئولين الذين عملوا معه قالوا : ان ريجان بعد إكتساب الخبرة ، أصبح حاكما عمليا وفعالا حيث أبدى مهارة فائقة فى إختيار المديرين المسئولين عن ادارة هيئات الولاية ، وأعطى لهم حرية أداء أعمالهم ، واستخدم مهارته القديمة باعتباره خطيبا ممتازاً مما برهن على مقدرة عظيمة فى التعامل مع رجال التشريع المتزمتين عن طريق تجاوزهم بطرح قضيته أمام الجمهور مباشرة عن طريق التليفزيون ليصدر الجمهور حكمه بشأنها .

وعموماً ، حقق ريجان نجاحاً باهراً فيما يتعلق بأدائه كحاكم لكاليفورنيا . ورغم ذلك ، يشير تحليل السنوات الثمان التى قضاها فى سكرامنتو ، يشير الى أنه ، اذا ما قيست إنجازاته فى ضوء ما تعهد بتحقيقه ، فهى لا تصل الى مرتبة النجاح . لقد وصل الى سكرامنتو ويحدوه هدف واحد هو : خفض حجم الحكومة وتكاليفها . وعلى حين أنه حقق تقدما فى مجالات كثيرة ، لم يترك حكومة الولاية عام ١٩٧٤ وهى أكثر ضخامة وتستحوذ على ضرائب أكثر مما كان عليه الحال عندما تولى السلطة فيها . وعلى ذلك ، نجد أن الكثيرين من المسئولين الذين أشادوا بكفاءة ريجان كمحافظ ، قالوا أن مزاعمه عن توفير الانفاق الحكومى مبالغ فيها للغاية . فقد ذكروا أن الاقتصاد الذى طرأ عليه التحسن ، تمخض عن توفير المزيد من الوظائف ، وإقامة العديد من المصانع وعن تأثير إجراء أكثر من ٢٥٠ ألف عملية إجهاض فى رعاية الأمومة

بمقتضى تشريع وقعه ريجان عام ١٩٦٧ (ثم قال بعد ذلك انه ندم على توقيعه على قانون إباحة الاجهاض) .

وعلى الرغم من مثل هذه المشاحنات بشأن تفاصيل إنجازاته ، يعد سجل ريجان في سكرامنتو ، سجلا طيبا بصفة عامة . وإن كان ما حققه من نجاح قد جاء أثر صعوبات بالغة في البداية . ويقو ل سكرتيره الصحفي ، فيما بعد ، عن العامين أو الثلاثة أعوام الأولى في سكرامنتو « إننا لم نكن مجرد هواة ، وإنما كنا هواة جداً » .

وقد أعلن ريجان ، بعد وقت قصير من تنصيبه حاكماً للولاية ، أنه توصل الى إكتشاف خطير . وأوضح أن ادارة الحاكم السابق (بات براون) قد نهبت واستنزفت ميزانية الولاية ، وذلك تبعاً للتحقيق الذى قامت به الهيئة التشريعية ، وبذا تركت ادارة ريجان تعاني من نقص في الميزانية يصل الى حوالى ٢٠٠ مليون دولار . وأعلن ريجان ، في خطبة تردد بعض أصداء ما كان يقوله بطله السابق فرانكلين د . روزفلت ـ : « إننا لم نواجه منذ أيام الكساد الاقتصادى الحالكة السواد ـ حيث اضطرت كاليفورنيا خلالها الى إتخاذ مثل هذه الاجراءات اليائسة مما أثر على رصيدنا طوال عشرات السنين ـ لم نواجه مثل هذه الصورة القائمة . لقد كانت كاليفورنيا تنفق طوال العام الماضي مليون دولار يومياً وهذا أكثر من الدخل الذى تحصل عليه » .

وقد قال بعض نقاده أنذاك : أن ريجان بالغ في خطورة الأزمة المالية ، بيد ان الادارة الديمقراطية السابقة قد قامت ببعض التلاعب غير البارع في الحسابات ، الأمر الذى مكنها من تجنب فرض أية زيادة في الضرائب خلال عام الانتخابات ، غير انها خلفت وراءها ميراثاً من العجز الضخم الذى كان على ريجان أن يواجهه . ولذلك قال الحاكم الجديد لأهالى كاليفورنيا : انه لا يوجد بديل آخر أمام الولاية سوى فرض ضرائب جديدة . وسرعان ما أصدرت الهيئة التشريعية قانوناً يقضى بفرض أكبر زيادة في الضرائب في تاريخ ، الولاية ، ويؤدى الى حصول الولاياة على دخل إضافى سنوى يبلغ حوالى مليار دولار . وكان هذا هو القانون الأول من بين ثلاثة قوانين أصدرها ريجان لفرض ضرائب جديدة ، ومن بين عدة قوانين أقل أدت الى رفع الفئات الضريبية في الولاية ، وجلبت من الأموال أكثر مما وعدت به الادارة الجمهورية » .

ورغم ذلك ، أصر ريجان على انه لم ينس تعهده بخفض وضغط الضرائب . « وكان أن أمر بعد أسابيع قلائل من تنصيبه حاكما بتجميد تعيين

موظفين جدد فى هيئات حكومة الولاية وباجراء خفض قدره ١٠٪ من العمالة فى الولاية . وكشف عن خطة لفرض الوصاية على جامعات الولاية وكلياتها ، وأعلن إجراء خفض كبير فى هيئة العاملين بالمصحات العقلية التابعة للولاية .

غير أنه أضطر ، قبل مضى فترة طويلة ، الى التراجع عن كل هذه الاصلاحات التى اقترحها ، ويرجع ذلك ، الى حد كبير ، الى أنه قد فشل فى التشاور مع المشرعين الذين كان فى حاجة الى مساندتهم له من أجل إصدار القوانين الجديدة . وفسر ريجان احجامهم عن عدم التعاون معه بأنهم يخضعون لضغوط من جانب جماعات المصالح الخاصة ، مثل « اتحاد العاملين » فى الولاية الذى لا يريد إجراء أى خفض فى المرتبات . وقد كشف ريجان للجمهور ذلك الموقف . وقد ازداد فتور العلاقات بين ريجان والمشرعين ، بسبب استمراره فى إظهار شعوره باحتقارهم . ويتذكر (بوب مورتى) رئيس الهيئة التشريعية بالولاية وثانى أقوى رجل فى سكرامنتو « لقد كنا نجسد له صورة الشيطان » .

واعترف ريجان بانه كان يعانى من المشاكل . ويتذكر ذلك قائلا : « خلال الأيام الأولى من ادارتى ، كانت لدينا مشكلات ، لا تتعلق بأعضاء الحزب الآخر فحسب ، وإنما تتصل بأعضاء حزبنا كذلك . لقد كنا ، فى ضوء استقراء تطورات الأحداث ، الرجال الجدد فى المدينة . وكان هناك الكثير الذى ينبغى إنجازه ، والكثير الذى يتعين أن نتعلمه ـ ولذلك تعلمنا من خلال العمل . . . . وافترض اننا ارتكبنا كافة الأخطاء المعتادة ، وبدون قصد بالنسبة للعديد من المسائل التى كانت تتطلب المزيد من اليقظة . ويصف بعض الأشخاص الأيام الأولى من ادارتى بانها بمثابة شهر عسل ، غير أن ردى على ذلك إنها لم تكن شهر عسل ، وإنما كانت فترة سبات فقط . وعندما أنظر حولى الى بعض الأشخاص الذين كان من المزعوم أنهم فى حالة وفاق معى خلال شهر العسل ، أقرر أن السبات وحده لم يكن فكرة سيئة . . . » .

ولقد استغرق الأمر ، بالنسبة لريجان وهيئة العاملين معه ومعظمهم من السياسيين الجدد الذين جاء بهم معه الى سكرامنتو ، حوالى عامين ، حتى بدأو يتعلمون كيفية إنجاز الأعمال . وكان الجهاز التنفيذى للحكومة يضطر فى كثير من الأحيان الى مساومة الجهاز التشريعى أو التودد اليه . بيد أنه قد مضت أربع سنوات كاملة قبل أن يتوصل ريجان فى الواقع الى إتفاق مع الهيئة التشريعية ومن المرجح أن نقطة التحول فى هذا الصدد قد وقعت خلال إجتماع عقد فى مستهل عام ١٩٧١ بين (ريجان) و (مورينى) . وكان ريجان لا يزال

غير قـــادر على الحصـــول على مــــوافقة الهيئة التشريعية على الكثير مــــن اصلاحاته . وكان يعرب باستمرار عن مشاعره غير الودية تجاه المشرعين .

وقد قام (مورينى) ، وهو ديمقراطى ليبرالى كان يعترض على كل افــكار ريجان المحافظة ، بالاتصال تليفونيا بريجان فى مســتهل عام ١٩٧١ وطلب أن يلتقى معه على إنفراد .

ويقول (مورينى) فيما بعد « لقد كنا وحدنا تماما . ولم نكن قد التقينا على إنفراد من قبل . لقد كان يوجد دائما حولنا عدد من العاملين معــه عندمـــا كنا نلتقى . وفى هذه المرة دخلت مكتبه وقلت له : انه لم يكن عاجزا قط . فقــد كان يستخدم مواهبه المعقولة لترويج وجهة نظره ، فقد طرح قضـــيته على الناخبين مباشرة من خلال التليفزيون . » وكان لاسلوب ريجان هذا أثر فعال . فقد كانت استطلاعات الرأى العام تشير باستمرار الى حصوله على تأييد عدد كبير من الناخبين . وكان من الواضح ، فيما يبدو ، أن عددا كبيرا من الجمهور يشاطره الرأى بشأن السياسيين المحترفين أعضاء الهيئة التشريعية ، مما خلق وضعا أسهم فى إقناع (مورينى) بالسعى للتوصل الى عقد مصـــالحة مــع ريجـــان . ويقول آلان بوست الذى عمل محللا تشريعيا للولاية خـــلال فترة تولى ريجـــان منصب الحاكم فيها ، وكان أحد نقاده فى كثير من الأحيان : « أن ريجـــان كان يجيد للغاية مخاطبة الجمهور ، وكان غير عادى بالنسبة لابلاغ الجماهير بأية قضية سياسية ، وجعلهم يؤيدون موقفه » .

وقد قبل ريجان العرض الذى قدمه له (مورينى) بشأن عقد هدنة بينهمـــا وإعطائه فرصة لتنفيذ واحد من أهم أهدافه ــ وهو تشريع إصـــلاح الشـــئون الاجتماعية ــ المطروح أمام الهيئة التشريعية وقد توصل فريقا ريجان المحافظ وموريني الليبرالي بعد سبعة عشرة يومـــا مـــن المفـــاوضات ، حتى ســـاعات متأخرة من الليل ، الى إتفاق حل وسط سياسى كلاسيكى . وكان هـــذا الحـــل الوسط يقضى بأن يحصل ريجان على الاصلاحات التى تقلل الى حد كبير مـــن عدد الأشخاص الذين يحصلون على إعانات الرعاية الاجتماعية مقابل حصول الليبراليين على موافقته على توفير مـــزايا أكثر وتحقيق زيادة أكبر فى تكاليف المعيشة للأشخاص الذين تشملهم الرعاية الاجتماعية . ولقد حـــدث بعـــد ذلك الكثير من النزاعات مـــع الهيئة التشريعية ، بيد ان ريجـــان كان قـــد تعلم أن يتوصل معها الى حـــل وســـط . ولذلك كانت الهيئة توافـــق على المزيد مـــــن مقترحاته .

ويتذكر وليام باجلى ، وهـــو أحـــد المشرعين البارزين فى ذلك الوقـــت « ان

السنتين الأوليين كانتا تعيستين غير أن الأحــوال تغيرت ســواء عن طــريق التخطيط أو الخبرة أو الحظ . وأعتقد أن ريجان بعد الســنتين الأوليين ، قــد روض نفســه وأصــبح عمليا الى حــد كبير . وانى لاأصــــفه بأنه معتدل غير عملى . » ويقول بوب مورينى بعــد ذلك « أن الطــريقة التى كان يتصرف بهــا ريجان كحاكم ، لم تكن تماثل طريقته الخطابية البلاغية . »

وسوف يختلف مع هذا التوصيف لريجان الكثير من ســياسى كاليفــورنيا وبعض خصومه الآخرين ، ومن بينهم المسئولون فى جامعة الذين خاض ضدهم معركة طويلة ومريرة بشأن خفض ميزانية الجامعة (ولم تحقق ســوى نجــاح جزئى فى النهاية) . غير أن الكثير من الأشخاص الذين تعاملوا مــع ريجــان قالوا ، فيما بعد ، أنه كان كلما حصل على المزيد من الخبرة كلما أصــبح تزمته فى التمسك بمبادئه أقل مما تنم عنه صورته لدى الجماهير .

ويقول (ويلسون ريليز) ، وهو أحد كبار المسئولين فى كاليفورنيا ، والذى هزم عام ١٩٧٠ (ماكس رافيراتى) ، وهو محافظ متشدد من الجناح اليمينى للحزب الجمهورى ، وأصبح ريليز المسئول عن التعليم العام فى الولاية يقــول : « انه عندما تولى مهام منصبه توقع أن يواجه المشاكل من جانب الحاكم الذى يتباهى باعتناقه نفس الأفكار السياسية التى يعتنقها (رافيزاتى) .

ويتذكر (ريليز) انه بعد انتخابه بفترة قصيرة « طلبت ان يحدد لى رونالد ريجان موعداً للاجتماع معه . وقد دعانى لمقابلته . فقلت له اننى أشغل منصباً غير حزبى . ولا أريد أن يضطلع بالسياسة . فــوافق على ذلك . وعندئذ قلت له اننى أود أن تسنح لى فرصة اللقاء به شخصيا اذا ما أثيرت مشكلة . فقد كنت أخشى أن يضع أفراد هيئة مكتبه حاجزاً بينى وبينه .

وقد اتخذ ريليز طوال سنوات أربع العديد من المواقف المتعارضة لمواقــف الحاكم تجاه بعض القضايا مثل : كيف يمكن إنفاق المزيد مــن الأمــوال على مشروعات تعليمية معينة ، أو كيف يتعين على الولاية أن تكون أكثر فعــالية فى السعى للحصول على معــونة فيدرالية للتعليم . ويتذكر ريليز أن ريجــان كان يتحلى بسعة الأفق بما يكفى للاستماع لوجهات نظره . وانه قــد غير رأيه ، فى حالات قليلة ، على الرغم مــن أن قــراره الأخير كان يعــكس ، فى الغــــالبية الساحقة من الحالات ، وجهة نظره المحافظة . ويحدد ويلسون ريليز حــكمه فى الرئيس الجديد بقوله : « ان ريجان فى أعمــاقه محــافظ ، ويعبر بوضــوح عن موقف محافظ جداً . ولكنه رغم ذلك لم يحاول فى مجــال التعليم على الأقــل ، وهو المجال الذى احيط به ان يؤثر عليه على نحو حــزبى . فلم يكن عنصرياً .

وكان يؤدى واجبه وكان منظماً للغاية . وكان ادارياً بمعنى انه يحدد السياسات والاتجاهات ثم يختار الأشخاص الملائمين كي ينفذوه هنا .

والى جانب فعالية ريجان فى ممارسة الضغط على المشرعين عن طريق التوجه مباشرة الى الجماهير عن طريق التليفزيون (وهو أسلوب قال انه تعلمه من فرانكلين د . روزفلت) ، اكتشف ريجان بعد السنوات الصعبة الأولى فى سكرامنتو ، اكتشف قيمة وجود بند فى قانون كاليفورنيا يخول للحاكم سلطة استخدام الفيتو . » وهو بند من سطر واحد . ولم يمكنه هذا (الفيتو) من رفض مقترحات الانفاق الفردى ، التى كانت قد وافقت عليها الهيئة التشريعية اذا لم تكن تروق له فحسب ، وإنما مكنه هذا (الفيتو)من خفض الانفاق على البنود الفردية كذلك . وكان هذا القانون أحد الأسباب الرئيسية وراء نجاحه فى سكرامنتو ، حيث خوله قوة فعالة لن يتمتع بها كرئيس ، فى صياغة البرامج والتعامل مع المشرعين غير المتعاونين . وعلى العموم استخدم ريجان هذا (الفيتو) ٩٩٤ مرة خلال سنوات حكمه الثمان فى سكرامنتو .

وقد تعرض ريجان ، مراراً وتكراراً للنقد ، فى الصحف بسبب فهمه السطحى ، فيما يبدو ، لبعض القضايا ، نتيجة سوء البيانات التى كان يدلى بها فى المؤتمرات الصحفية . ذلك أن أخطاءه هذه كانت تعكس ، فيما يبدو ، أسلوبه فى ادارة كاليفورنيا مع ما يقترن بذلك من ميله الى تفويض سلطاته لمعاونيه والاعتماد على « المذكرات المختصرة » التى تتكون من أربع فقرات تتضمن المعلومات التى يستخدمها فى إتخاذ قراراته . ورغم ذلك ، كان مساعدوه يدافعون عن إعتماده على هذه المذكرات المختصرة باعتبارها اداة ادارية فعالة . ويقول (كاسبار واينبرجر) ، الذى عمل مديراً للمالية فى الولاية ثم عمل فيما بعد وزيراً للصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية فى ظل حكم الرئيس نيكسون : « ان بعض الناس يسخرون من هذه المذكرات . غير أنها كانت غير مدعمة بمعلومات غزيرة . وكان الحاكم يسعى للحصول على المزيد من المعلومات عندما يكون فى حاجة اليها . وكانت المذكرات وسيلة فعالة للغاية للاحاطة بمشكلة كبيرة ، اذكانت تحتوى على تركيز لعناصر المشكلة ، مما ييسر مناقشتها . وعندئذ يتسنى للحاكم أن يصدر حكمه على المشكلة . »

كما كان ريجان يتعرض للهجوم من جانب زعماء الأقليات العرقية المنظمة بسبب إهماله للفقراء ، ولمحاولته خفض الأنفاق على المصحات العقلية ، وسعيه لفرض المزيد من الوقاية من جانب سكرامنتو على أكثر هيئة سياسية مستقلة قوية فى الولاية وهى جامعة كاليفورنيا ، التى كانت تعتبر بصفة عامة

أرقى نظام للتعليم العالى الشعبى فى العالم . غير انهـا كانت تخضـع لمراقبة ضئيلة نسبياً من الخارج على أوجه انفـاقها للأمـوال العـامة . ومـع ذلك ، وبالرغم من هذه الانتقادات ، نجد انه عندما ترك الولاية لخليفته الديمقـراطى (ادموند براون) الابن فى أوائل عام ١٩٧٥ ، ارتفعـت أوجـه انفـاق الولاية بالنسبة لهذه القطاعات الثلاثة إرتفاعاً حاداً بالمقارنة لمستويات الانفاق عندما تولى ريجان الحكم فى سكرامنتو منذ ٨ سنوات .

ومما يبعث على التناقض الظاهرى أن رجلا كان يعـد خـطيباً ويحـظى بسمعة قومية فى الكثير من الدوائر باعتباره يمينياً راديكاليا ، كان له دور بارز فى إصدار ثلاثة تشريعات ليبرالية للغاية هى : قانون الاجهاض الذى يعد أكثر قوانين الاجهـاض ليبرالية فى الأمـة وتشريع يحصـل المتمتعـون بالرعاية الاجتماعية بمقتضاه على علاوة زيادة تكاليف المعيشة ، وتشريع تقدمى للغاية بشأن نظام احتساب الضريبة واقتطاعها من جـانب المؤسسـات على دخـل الموظفين والمساهمين وتسديدها الى الولاية مباشرة .

والواقع أن مشروع الضريبة المحتسـبة عند المنبع هـذا ، والذى اعترض عليه ريجان بشدة طوال أكثر من عامين ، ثم وافـق عليه النهـاية ، قـد جعـل الأموال تتدفق بغزارة على نحو يثير الارتباك الى (سكرامنتو) وقد اسـتمرت فى التدفق لفترة طويلة بعد ترك ريجان منصبه . وكان كلما ارتفع معدل التضخم ، كلما دخل المزيد من أهالى كاليفورنيا ضمن الفـئة العليا لدافعـى الضرائب مما أدى الى زيادة حصيلة ضريبة الدخل من ١,١ من مليار دولار للسنة المالية ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ الى ٢,٦ مـن مليار دولار عام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ولذلك قـدم ريجان تشريعا جديداً يقضى بخفض جزء من الفائض المتزايد لصـالح دافعـى الضرائب ، ثم زعم فيما بعد أنه أعاد ٥,٧ من مليار دولار للجمـاهير ـ غير أن نقاد ريجان يقولون : أن هذا الرقم مبالغ فيه . وأيا كان الأمـر ـ، ـ وحتى فى ظل هذه التحفظات ـ فان الأموال استمرت فى التدفق ، وليس أدل ذلك مـن ان الفائض الذى حققته الولاية بحلول عام ١٩٧٨ بلغ أكثر مـن ٦ مليارات دولار وقد أدى هذا الفائض وكذا الارتفاع السريع فى معدلات ضريبة العقارات ، الى إصدار الاقتراع رقم ١٤ لعـام ١٩٧٨ والذى أثار الجـدل ، والذى كان يقضى باجراء تخفيض حاسم فى حصيلة ضريبة العقارات .

لقد كان تراث ريجان الخاص بالهيكل الضريبى والذى أسهم فى الوصـول الى إنفجار الاقتراح رقم ١٣ ينطوى على سخرية غريبة . ذلك ان ريجان ربما كا أسرع من غيره مـن كبار السـياسيين الأمـريكيين فى إدراك مـد التيار

المحافظ ، وفيه الكراهية تجاه الحكومة الفيدرالية ، وكان من شأن هـذا التيار أن يؤثر على الطبقة المتوسطة فى أمريكا خلال السبعينات . وليس أدل على ذلك من أنه قبل سبع سنوات من موافقة الناخبين فى كاليفورنيا على الاقتراح رقم ١٣ ، بذل ريجان مجهوداً لطرح إقتراح مماثل وإن كان أقل قوة ، وهو قـانون الحد من ضريبة الدخل ، أمام الناخبين فى الولاية ، غير ان هذا الاجراء لم تقم له قائمة بعد حملة إنتخابية قاسية تضافر فيها الموظفون العمـوميون لهـزيمة القانون .

وقد قال ريجان فى حديث أجراه معـه جيمس رسـتون ونشرته صـحيفة « نيويورك تايمز » عام ١٩٦٨ : « انني مقتنع بأنه توجد موجة تكتسـح البلاد ، وانها بدأت عام ١٩٦٦ ، وهى موجة الرغبة فى التغير ، وعدم الرضا من جانب الشعب مما يجرى فى البلاد ، وشـعور بأن العـديد مـن البرامـج التى بشرت بالكثير من الوعود لم تؤت بأية ثمار . » وفى نفس العام ، قال فى خطبة ألقـاها أمام النادى الاقتصادى فى نيويورك « فى هذه اللحظة يوجد ، فيمـا يبدو ، فـزع مخيف ينشر فى الجو ، ويعزى جزئياً الى الشعور بالعجز الشعور بأن الحكومة تعد الآن قوة قائمة بذاتها تتجاوز قـدرة الناس على السـيطرة عليهـا ، وان صدى أصواتهم يتردد فى قاعات الحكومة الواسعة والضـخمة دون أن يلتفـت اليهم أحد . إننى لا أتذكر أى وقـت كان فيه مثل هـذا العـدد الكبير مـن الأمريكيين ، بغض النظر عن وضعهم الاجتماعى والاقتصـادى ، تسـاورهم الشكوك والمخاوف من أهداف الحكومة الفيدرالية ومدى الثقة بها وكفـائتها . والسؤال المطروح الآن فى طول البلاد وعرضها هو : ماذا يحدث لنا . »

وقد اقتدى ريجان ، الى حد كبير ، فى أسلوب عمله اليومى كادارى وصـانع قرار فى سكرامنتو ، بأسلوب رئيس مجلس ادارة مؤسسة يصل الى مـكتبه فى معظم الأيام ، قبل التاسعة صباحا ويغادر مكتبه قبل السادسة مسـاء . وقـد فوض قدراً كبيراً من سـلطاته الى مسـاعديه وتجنب الدخـول فى تفـاصيل المشكلات وإيجاد الحلول لها . وهو يستمع الى توصيات مسـاعديه ثم يتخـذ قراره إستناداً الى نصيحتهم ، وعادة ما يكون ذلك من خلال أسـلوب يسـمى المذكرة المختصرة ، التى تقع فى صفحة واحدة ، وتحتوى عل تلخيص للمشـكلة وتوصيات هيئة مكتبه بشأن كيفية حلها » .

وقد وجهت الانتقادات ، من حين الى آخر ، الى أسـلوب ريجـان هـذا ، وكتب (جون . ب . سيرز) الذى كان مسئولا عن ادارة حملة ريجان الانتخابية للرئاسة عام ١٩٧٦ ثم تولى مسئولية حملته للرئاسة عام ١٩٨٠ حتى فصـله

ريجان فى بداية نفس العام ، بعض الملاحظات عن رئيسه السابق فى مقال كتبه بصحيفة « واشنطن بوست » بعد فصله ، يقول فيه : « اذا ما كان مستشاروه أكفاء فليس هناك ما يخشى منه بالنسبة للرئيس ريجان . غير انه من الممكن توجيهه ، والرؤساء الذين يسهل توجيههم يخاطرون بفقد ثقة الشعب . »

وقد اتهم (سيرز) بانه كان يدير الحملة الانتخابية لريجان وكأنه يدير (أوركسترا) فى مشهد سينمائى ، وهو يوافق ، فيما يبدو ، على هذه النظرية . ويؤكد (سيرز) أن ريجان نادراً ما قدم فكرة جديدة ابان توليه منصب حاكم كاليفورنيا ، وانه كان فى كثير من الأحيان ، ينتظر مثل الممثل كاتباً يزوده بالسطور الخاصة بدوره ومخرجاً يبين له كيف يقولها . انه كان ينتظر أن ينصحه الآخرون بما يتعين عليه القيام به . ويكتب سيرز مستطرداً « انه يوقع على القرارات فحسب » . ويضيف « ان ريجان كان يجلس مع أعضاء وزارته فى كاليفورنيا كواحد منهم وليس كزعيم . وما أن يتم التوصل الى إجماع فى الرأى أو حل نزاع بشأن قضية أو مشكلة حتى يتصرف باعتباره متحدثاً رسمياً . »

وعلى الرغم من الجدل المثار حول أسلوبه الذى ربما ينحو الى الاعتماد ، الى حد كبير ، على هيئة مكتبه ، نجد ان المشرعين يشيدون بصفة عامة باسلوب تعينه لمساعديه وتوعيتهم . ويتذكر (جون فينمان) وهو واحد من زعماء البرلمان فى كاليفورنيا « فى اعتقادى أن ريجان يحظى بموهبة معينة بالنسبة لاجتذاب الأشخاص الملائمين . »

ويقول بوب موريتى « ان ريجان يعتمد إعتماداً كبيراً على هيئة مكتبه ، ولذلك سيغدو نوع الأشخاص الذين تعينهم فى مكتبه مهمين جداً بالنسبة لادارته . ومما يبعث على الأمل فى انهم يتعلمون . ولكن اذا ما جاءوا بمجموعة من الأفراد الجدد من كافة أنحاء البلاد ، فاخشى ما أخشاه أن ترتبك الأمور حتى يتفهموا أسلوب العمل . »

والواقع أن عملية اختيار العاملين مع ريجان تضطلع بها الى حد كبير مجموعة المليونيرات المؤيدين له بزعامة هولمز تاتل الذى يقول : « ان ريجان يطلب منا أن نجد الأفراد الملائمين لشغل خمسة وثلاثين أو أربعين من الوظائف الكبرى . ونجتمع لمدة عشر ساعات يومياً لعدة أسابيع ، لنختار أفضل الأشخاص ثم نقدم توصياتنا لريجان . وهو غير ملزم بالموافقة عليهم . غير اننى يمكننى القول بأنه لم يوافق عليهم إلا فى حالة أو حالتين فحسب . »

والواقع ان معظم الأشخاص الذين تعينهم لجنة البحث عن الموظفين هـــم من رجال الأعمـــال أو الموظفين لدى شركات الأعمـــال . ومعـــظمهم مـــن الجمهوريين ، وغالبيتهم من المحافظين غير ان اللجنة عينت عدداً ضئيلا مـــن المعتدلين فى الحكومة . وقد تعرض ريجان ، فى بعض الأوقات ، للهجوم بســبب تعينه أشخاصا فى وظائف تتعلق بتنظيمهم لصناعات لهم فيها مصالح مـــالية غير انه لم تحدث أية فضائح خطيرة فى ادارته فى كاليفـــورنيا . وعمـــوما ، عين ريجان أكثر من ٢٠٠ من رجـــال الأعمـــال فى حـــكومة الولاية ، كان معـــظمهم يعملون « كقوة عمل » لفترة قصيرة حيث كلفوا باعداد توصيات سبل تحســـين كفاءة الحكومة . »

وقد بدأ تاتل وزملاءوه فى اختيار الأشخاص المحتمـــل إشراكهـــم فى ادارة الرئيس ريجان منذ أوائل عام ١٩٨٠ .

وقد استمرت المناقشة حول السنوات التى قضاها ريجان فى كاليفـــورنيا لفترة طويلة بعد مغادرته سكرامنتو . اذ كان مؤيدوه يقولون أن سجل إنجازاته يتحدث عن نفسه . ذلك أن ادارة حكومته كانت تتسم بالكفـــاءة وترك الولاية فى حالة مالية سليمة . غير ان بعض نقاده كانوا يصفونه بأنه رجل غير قادر على فهم المشاكل المعقدة ، وانه لا يزال ، بعـــد كل شىء ممثلا . . . ممثلا تحـــول الى خطيب بعد مأدبة العشاء .

غير ان ســلفه بات براون كتب فى عام ١٩٧٨ : « انى أســـلم بأن رونالد ريجان يعد دون شك إنسانا مخلصا . كما أعتقـــد انه فى حقيقته كمـــا يبدو لنا : رجل بسيط . وان أفكاره وفلسفته ومـــدركاته وفهمـــه للشـــئون الانســـانية والمجتمع يحددها باحكام إطار من الفكر والعمل لا يدع أى مجال للشك بشأنها ولا يعترف بأية تعقيدات خطيرة . ولا عجب ، والأمر كذلك ، أن يكون ســـلوكه ، سلوك إنسان يشعر بالثقة الكاملة فى تعامله ونقائه الجـــوهرى . ولذلك ، فـــان البشر الكفء يكرس كهده لاستئصال الشر » .

ولكن براون يرى أن هذه الحياة نادراً مـــا تتســـم بالبســـاطة على نحـــو ما حدده ريجان . « ذلك أنه قبل فترة طـــويلة مـــن ســـيطرة الآلة الحـــاسبة (الكومبيوتر) على شئون حياتنا اليومية ، كان الكتاب » يصـــنعون البرامـــج « لريجان ، بينما يصوغها المخـــرجون ، ثم يبيعهـــا رجـــال الاعلانات والدعاية السينمائية . ومما لا يثير سوى قدر ضئيل من الدهشة أنه لا يزال يجد أن مـــن السهل عليه أن يستوعب ويتبنى تفكير الأشـــخاص المحيطين به ، وانه يشـــعر براحة كبيرة بسبب صورته التى يراها فى المرآة لريجان الناجـــح الواثق مـــن نفسه والمتمتع بالصحة والعافية .

عن اقتصاديات العرض

بقلم : ليونارد سيلك

يكتنف السياسة الاقتصادية الداخلية لرونالد ريجان للسنوات الاربع القادمة شيء من الغموض . ولا يعزى هذا الى ان ريجان قد نجح ، او حتى حاول ، ان يبقى اراءه الاقتصادية فى طى الكتمان . بل على العكس من ذلك ، كان برنامجه المحافظ محور حملته من اجل الرئاسة ، وقد جرى عرضه عرضا كاملا . ذلك ان المشكلة الاساسية فى هذا الصدد ان الاقتصاديات الريجانية تتألف من مجموعة متناقضة من الارقام والأهداف والمذاهب (التى يتسم بعضها بالمحافظة على نحو حذر ، والبعض الاخر بالمحافظة على نحو جذرى) والتى يعتمد تحديد صياغتها النهائية على اختبارات القوة بين الجماعات المختلفة داخل حزبه ، وعلى الصرعات بين ادارته والكونجرس ، وعلى القرار الذى يتخذه ريجان بشأن الصراعات الداخلية داخل حزبه وادارته .

فعلى الجبهة الاقتصادية ، كان نضال ريجان للوصول الى البيت الابيض يسانده ويعززه جماعتان مختلفتان من المحافظين احدهما كانت جماعة المحافظين « الشعبيين » الذين كان هدفهم الاساسى (فى ضوء روح اقتراح كاليفورنيا رقم ١٣ بشأن الثورة الضريبية) هو خفض الضرائب ، والقضاء على البرامج الحكومية باستثناء برامجها الخاصة فى المجال الدفاعى ، وخفض اللوائح الحكومية ، واطلاق طاقات الاعمال الخاصة والفردية . وكان يسيطر على هذه المجموعة من الشعبيين ــ والسياسيين والاقتصاديين الذين سعوا الى اضفاء التماسك والعقلانية على رغباتهم فى اطار نظرية اقتصادية ــ اصحاب الاعمال المتوسطة والصغيرة والمزارعون وملاك المنازل ، والمتقاعدون والعمال ذوو الياقات البيضاء بل الكثير من العمال ذوى الياقات الزرقاء : اى الطبقة الوسطى الامريكية ، والذين لا يشعر الكثير منهم بأى تعاطف تجاه من هم اقل منهم اقتصاديا واجتماعيا (وخاصة المنتفعين من الرعاية الاجتماعية) كما لا يكنون تعاطفا كبيرا تجاه المشروعات التجارية الكبرى . وفى الواقع ان العديد من اعضاء المجموعة الشعبية هذه كانوا يعتبرون المشروعات الكبرى ، ومؤسساتها ذات الاتجاه الدولى مثل اللجنة الثلاثية

او مجلس العلاقات الخارجية ، كنوع من المؤامرة التى تستهدف خدمة مصالح الشركات المتعددة الجنسية أكثر مما تستهدف خدمة امريكا (وقد استقال جورج بوش فى بداية الحملة الانتخابية من اجل الرئاسة ، من لجنة العلاقات الخار جية حتى لا يتعرض لمثل هذا الهجوم) .

ولكن كان يوجد داخل معسكر ريجان . وخاصة بعد ان ضمن ترشيح الحزب له للرئاسة ـ ممثلون للمشروعات الكبرى والمؤسسات المالية الكبرى ، ومستشاروهم الاقتصاديون المحترفون الذين يشغلون المؤسسة الجمهورية . وكان تفكير هذه الجماعة بالرغم من انه لا يصطرع بوضوح مع تفكير جماعة الشعبيين حول كل قضية يتركز بصفة اساسية على اهمية كبح جماح التضخم ، وتنشيط استثمار الشركات التجارية ، والحفاظ على استقرار النظام النقدى الدولى ، وتحقيق ميزانية متوازنة ، والتحكم فى النمو النقدى ـ وضمان استقرار الاقتصاد الداخلى ، اكثر من تحقيق نمو اقتصادى سريع .

ولقد كان الاسلوب الاقتصادى لريجان خلال المرحلة الاخيرة من الحملة الانتخابية عبارة عن مزج غامض وفضفاض بين هذين الاسلوبين المحافظين المتباينين ، حتى يحظى باستجابة غالبية الناخبين .

ويدرك ريجان ، باعتباره سياسيا ناجحا ، ان الغالبية العظمى من الناخبين كانوا يريدون خفض التضخم ، بيد انهم يرون تحقيق ذلك بأسلوب لا ينطوى على تحقيق اختناق اقتصادى وزيادة البطالة سوءا . وباعتباره رئيسا ، ستتمثل الاولوية الداخلية لريجان فى دفع الاقتصاد الامريكى لانجاز معدل نمو اسرع ـ دون ان يزداد التضخم سوءا ، اذا ما كان هذا ممكنا .

ولقد سعى ريجان الى تصوير نفسه على انه نسخة محافظة من فرانكلين د . روزفلت ، وان مهمته ستكون تصفية كساد كارتر « على نحو ما صفى روزفلت كساد هوفر » . ومن الجلى ، ان الاقتصاد الامريكى اليوم لا يعانى من الكساد . وفى الواقع ، ان ركود عام ١٩٨٠ الذى بدأ فى يناير من ذاك العام قد انتهى بالتأكيد فى الربع الثالث من العام . ولقد كانت هذه المسألة فنية . وقد بذل كبار مستشاريه الاقتصاديين ، وهما (الن جرين سبان) وهو المستشار الاقتصادى السابق للرئيس جيرالد فورد ، و (مارتن اندرسون) من معهد هوفر ، جهودا ليشرحوا لريجان ان الاقتصاد كان يعانى فقط من حالة ركود ـ قصيرة الاجل ـ غير ان هذه الجهود لم تؤثر على الغرض الحقيقى الكائن وراء استخدامه لمصطلح « كساد » لوصف حالة الاقتصاد فى ظل حكم كارتر . فقد كان غرضه اكبر من ان يكون غرضا سياسيا بالمعنى الضيق وانما كان

يمثل جهودا لتضخم تصميمه لتحرير اقتصاد الولايات المتحدة مـــن الضــغوط والمصاعب التى يعتقد انها خلقت حالة مزمنة من « الركود التضـخمى » ـ اى اقتران ركود الانتاج باستمرار التضخم . .

وعلى الرغم من ان افكار ريجان الاقتصادية قد تكون غامضة وغير محددة بشأن كيفية تحقيق اهـدافه ، الا انه كان ملتزمـا بوضــوح بمبدأ الازدهــار الامريكى التقليدى اى الايمان بأنه اذا ما امكن تحرير المشروع الخاص ، فان البلاد ستحقق مرة اخرى معدلا قويا من النمو الاقتصـادى ، مقترنا بارتفـاع مستويات المعيشة بالنسبة للجميع .

ولقد جعلته هذه الفلسفة مستعدا للتحول واعتناق « اقتصاديات العرض » التى طرحها مستشارون مثل (البروفسير ارثر لافير) من جامعة كاليفـورنيا الجنوبية ، و(وجودوانسكى) وهــو كاتب ســابق بصـحيفة « وول ســترتيت جورنال » و(جاك كيمـب) عضــو مجلس النواب مـن نيويورك ، والســناتور (وليام روث) من (ديلا وار) . وقد ايد ريجــان تأييدا كبيرا مشروع قـانون (كيمب ـ روث) لخفض الضرائب المفروضة على دخول الافراد بنسبة ١٠ ٪ . وتم الاعلان عن ذلك باعتباره خفضا ضريبيا على « العرض » مـن اجـل خلق حوافز اكبر للانتاج ، ومن ثم تنشيط النمو الاقتصادى الحقيقى ، ومن شــأن ذلك ان يحقق ما يكفى مـن الايرادات الضريبية بحيث تعـوض التخفيضـات الضريبية الضخمة .

وكان جوهر مشروع قانون (كيمـب ـ روث) يقـوم على مـا يسـمى بـ « منحنى لافير » المسمى باسم البروفســير (لافير) . ويأخـذ (منحنى لافير) شكل الجرس الذى يقصد به الاشــارة الى الوقت الذى تهبط فيه المعـدلات الضريبية الى الصفر ، وكذا تهبط فيه العائدات الضريبية الى الصفر ، بينمـا توجد نقطة الحد الاقصى للايراد فى مكان ما ، بين هذين النقطتين المتطـرفتين ، وعلى كلا جانبى نقطة الحـد الاقصى للايراد هــذه ، مـن المفترض ان توجـد نقطتان متقابلتان احداهما عليا والاخـرى دنيا ، حيث تحقــق كلتا الضريبتين العليا او الدنيا نفس الحصيلة الضريبية . وايا كان الامر ، فان من الافضل ان يتحقق المعدل الضريبى الادنى للنقطتين المتقابلتين ، لان هذا من شأنه الحـث على تحقيق انتاج اقتصــادى اكبر (وان يخفض بطـريقة عرضـية النصـيب النسبى للنشاط الحكومى فى النظام الاقتصادى ـ وهو هــدف ســياسى وليس هدفا اقتصاديا فقط بالنسبة للمحافظين) .

ومن المؤكد ان (منحنى لافير) حظى باستجابة قوية لدى رونالد ريجان بسبب منطقه البسيط والجميل ولكن هل هو منحنى صحيح ؟ يؤكد النقاد انه لا يوجد دليل كمي على شكل المنحنى او اين يوجد موقع الولايات المتحدة عليه فى الوقت الراهن . اذ انه حتى يتسنى لتأثير (لافير) ان يكون فعالا ، يجب ان يكون معدل الضريبة الذى يتعرض للخفض ، اعلى من نقطة الحد الاقصى للايراد . واذا ما كانت المعدلات بالفعل اقل من تلك النقطة ، فان اجراء مزيد من التخفيضات فى المعدلات الضريبية من شأنه ان يؤدى الى عائدات ضريبية اقل . وحتى اذا كانت المعدلات الضريبية القائمة اعلى من نقطة الحد الاقصى للايراد ، فان اجراء تخفيض كبير للغاية فى المعدلات الضريبية سيسفر عن خسارة صافية فى الايرادات . وسيؤدى هذا الى توسيع نطاق العجز فى الميزانية وقد بلغ العجز ٥٩ مليار دولار خلال العام المالى ١٩٨٠ . ومما لاشك فيه ان وقوع عجز اكبر فى الميزانية سيؤدى الى تزايد تعقيد مشكلات تأجيل عرض الاموال بالنسبة لمعدل زيادة معتدل وغير تضخمى . واذا ما تم تيسير السياسة النقدية بحيث تتواءم مع عجز اكبر فى الميزانية ، فان التضخم سيتفاقم . اما اذا تشددت السياسة النقدية بالرغم من عجز الميزانية الاخذ فى الاتساع ، فان معدلات الفائدة سوف تتصاعد الى اعلى ، مما يهدد الاستثمار والنمو الاقتصادى بالخطر .

ان مثل هذه الانتقادات التى لا تؤمن بمنحنى لافير لم يوجهها اقتصاديون ينتمون للحزب الديمقراطى ونقاد مثل الاقتصاديين فى البنك الاحتياطى الفيدرالى فى (مينابوليس) وانما وجهها اقتصاديون محافظون تقليديون للغاية او من الحرس القديم ممن يوجدون فى معسكر ريجان نفسه مثل (الن جرين سبان) و(جورج شولتز) وزير الخزانة فى ظل ادارة الرئيس نيكسون ورئيس لجنة تنسيق السياسة الاقتصادية المؤلفة من ثلاثة عشر عضوا والتابعة لريجان ، والبروفسير ميلتون فريدمان الحائز على جائزة نوبل والذى عمل مستشاراً للرؤساء الجمهوريين وللمرشحين الجمهوريين للرئاسة منذ بارى جولد ووتر . ويعد الدكتور فريدمان الشخصية المقدسة الكبيرة فى ال فى حاجة الى التأثير فى المتشككين اما وليام سايمون الذى تقلد منصب وزير الخزانة فى ادارة فورد فقد بدأ حملته الانتخابية فى معسكر الشعبيين من انصار ريجان غير انه تحول ، فيما يبدو ، بعد ذلك الى جانب المحافظين من الحرس القديم .

ونظرا لاستمرار الحملة الانتخابية عام ١٩٨٠ وتزايد احتمال فوز

ريجان ، نجد ان الاقتصاديين من الحرس القديم الذين انضم اليهـم والترب . ورستون ، رئيس مجلس ادارة شركة سيتي كورب واحد انصـار البروفسـير فريدمان ، قد سعوا لاضفاء الاعتدال على تأييد ريجان لكيمـب ــ روث . ولذلك اقترحوا ان يتم خفض نسبة الـ ٣٠٪ من ضرائب دخل الافراد على مـدى فترة خمس سنوات . غير ان ريجان لم يتراجع عن فترة الثلاث سـنوات التى التزم بها والوعد بأجراء المزيد من الخفض الضريبى على دخول الافراد ، عن طريق الربط بين الضرائب المفروضة على دخل الافراد ومعدل التضخم ومن المتوقـع ان تؤدى مقترحات كيمـب ــ روث الى خفض العـائدات الضريبية الفيدرالية بحوالى ١٨٩ مليار دولار عام ١٩٨٥ .

غير ان مقترحات كيمب ــ روث لم تمثل كل ما يريد ريجان ان يفعله بشأن الضرائب . ولذلك ، تحول ريجان فى مرحلة متأخـرة مـن الحملة الانتخـابية ، استجابة لضغوط مستشاريه من الحرس القديم ــ تحول من تأييد ما يسـمى بخطة ١٠ ــ ٥ ــ ٣ الخاصة بزيادة استهلاك ارصـدة المشروعات الى اقتراح ينطوى على تكلفة اقل ، قدمه (السناتور لويد بنستين) من (تكساس) لتحرير فترة ارصدة الاستهلاك الراهن بحوالى ٤٠٪ (وقد صدقت عليه لجنة التمويل بمجلس الشيوخ . ورغم ذلك ، احاط الغموض بريجان فيمـا اذا كان سـيعود فيما بعد الى تأييد خطة ١٠ ــ ٥ ــ ٣ (وهى عدد السنوات اللازمة لاسـتهلاك الهياكل والمعدات والسيارات على التوالى) . واصر (تشارلز ولكر) المستشار الضريبى الاساسى لريجان ، والنائب السابق لوزير الخـزانة ، واحـد زعمـاء الضغط فى الكونجرس بشأن الموضوعات الضريبية ، اصر على ان يعود ريجان الى تأييد خـطة « ١٠ ــ ٥ ــ ٣ » بأسرع مـا يمـكن . ذلك ان الاسراع فى الاستهلاك بمعدل ١٠ ــ ٥ ــ ٣ سـيكلف الخـزانة ٦٠ مليار دولار عام ١٩٨٥ مقارنة بـ ٢٠ مليار دولار تبعا لاقتراح بنستين .

وعلاوة على ذلك ، يريد ريجان الغاء الضريبة المفروضة على الارباح « غير المتوقعة » للبترول ، وستكلف حوالى ١٨ مليار دولار بحلول عام ١٩٨٥ . ويرى (والكر) انه ينبغـى عليه كذلك ان يخفض ضريبة الدخـل على الشركات مـن ٤٦٪ الى ٤٤٪ وتتراوح تكلفتها من مليارين الى ٨,٠ مليار دولار .

وهناك المزيد غير ذلك . فقـد كان ريجـان يدافـع عن تعـديل الضرائب المفروضة على الهدايا والعقارات ، وتبلغ تكلفتهـا حـوالى ٧ مليارات دولار . ويريد خفض الضرائب على الفائدة وارباح الاسهم ولم تحدد تكلفتهـا . وقـد صدق على الائتمانات الضريبية « ومناطق المشروعات الحـرة الحضرية بحيث

يعطى تخفيضات ضريبية للمشروعات التى تستثمر اموالها فى المناطق الحضرية المنكوبة ـ ولم تحدد تكلفتها .

عموما ، نجد ان التخفيضات الضريبية المختلفة التى اقتراحها ريجان من شأنها ان تضيف ، على احسن تقدير ، ما بين ٢٥٠ مليار الى ٣٠٠ مليار دولار فى ميزانية عام ١٩٨٥ . وسوف يؤدى هذا الى خفض الايرادات الضريبية الفيدرالية بحوالى الثلث فهل يمكن لمثل هذه التخفيضات الضخمة فى الضرائب ان تتم دون ان تسفر عن زيادة سريعة للغاية فى معدل التضخم وزيادة سوء عجز الميزانية ؟ .

وتزداد اهمية هذا السؤال عندما يتجه المرء الى النظر فى خطط ريجان الخاصة برصيد زيادة للانفاق الدفاعى . فقد انتقد ريجان بعنف ، خلال الحملة الانتخابية ، الرئيس كارتر لانه لم يفعل سوى القليل من اجل الدفاع القومى ولتقاعسه فى دعم الدفاع الامريكى ، الامر الذى ورثه من الرئيس فورد .

والواقع ان كارتر ، بعد ان ادلى بتعهدات خلال الحملة الانتخابية بخفض الانفاق الدفاعى من ٧ الى ٩ مليارات دولار تحول الى انتهاج سياسة التوسع فى الانفاق الدفاعى . وكانت اخر خطة مقترحة لادارة كارتر حول الانفاق الدفاعى تدعوا الى زيارته من ١٣٠ مليار دولار فى ميزانية عام ١٩٨٠ الى ١٩٠ فى ميزانية عام ١٩٨٣ . وكانت هذه الخطة تستهدف زيادة الانفاق الدفاعى الحقيقى (تبعا لزيادة التضخم بنسبة ٤,٥ ٪ سنويا .

وقد اقترحت لجنة الميزانية بمجلس الشيوخ خطة للانفاق الدفاعى تقضى بزيارته الى ١٥٩ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨١ والى ١٨٧ مليار دولار عام ١٩٨٢ ، والى ٢١٢ مليار دولار عام ١٩٨٣ ، والى ٢٣٩ مليار دولار عام ١٩٨٤ ، والى ٢٧٠ مليار دولار عام ١٩٨٥ . غير ان ريجان يعتزم ، فيما يبدو ، تحقيق زيادة اكبر فى الانفاق الدفاعى ، واذا ما تم تنفيذ البنود الخاصة بالدفاع الواردة فى برنامج الحزب الجمهورى ، فان الانفاق الدفاعى سيزيد عن ذلك كثيرا .

اذ يدعو برنامج الحزب العام ١٩٨٠ الذى خضع لتأثير ريجان ، الى اقامة قوة صواريخ نووية اكبر ، والعمل باسرع ما يمكن على تطوير الصاروخ (أم ـ اكس) ، والتعجيل بتطوير وانتشار الطائرات القاذفة الجديدة ب ـ أ (التى انتقد ريجان كارتر بسببها لتخلية عن تطويرها) وتحديث النظام الدفاعى الجوى ، وصواريخ (كروز) الاستراتيجية ، وغيرها من الاسلحة الاستراتيجية ويعترض البرنامج الانتخابى للحزب الجمهورى على مشروع

قانون تجنيد القوى العاملة « فى هذا الوقت » ، ويدعو بدلا من ذلك ، الى تصحيح التفاوت الكبير فى المرتبات والمزيا بالنسبة للعسكريين .

ومن غير الواضح مدى ما يتكلفه تعزيز ريجان للدفاع ، غير انه من المرجح ، ان تزيد ، فيما يبدو اوجه الانفاق على الدفاع ، مع الاخذ فى الاعتبار اثر التضخم الذى تتراوح نسبته بين ٧ الى ٩ ٪ سنويا . حتى يتسنى تحقيق هذه الزيادة بشكل فعلى . فاذا ما افترض المرء ان التضخم من المحتمل ان يزيد تكلفة الدفاع الوطنى بنسبة ١٠ ٪ سنويا ، فان هذا يعنى زيادة اوجه الانفاق الدفاعى من ١٥٩ مليار فى السنة المالية ١٩٨١ الى ما بين ٣٠٠ و٣٢٠ مليار دولار عام ١٩٨٥ ، اى بزيادة قدرها اربعة اضعاف تقريبا خلال اربع سنوات .

قد صرح جورج ـ . شولتز فى حديث اجراه مع المؤلف فى منتصف اكتوبر ١٩٨٠ بأن ميزانية الدفاع لن تكون بمنأى عن الفحص والمراجعة للتخلص من الاسراف . غير ان شولتز أكد انه لا يوجد ما هو اكثر حيوية ، بالنسبة لتفكير ريجان ، من دعم القدرات الدفاعية للولايات المتحدة .

ولكن كيف يمكن ان تتضمن اتفاقات الدفاع الهائلة هذه خطة الميزانية التى تشتمل كذلك على تخفيضات ضريبية هائلة تتراوح قيمتها من ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨٥ ؟

وقد اضطلع بمهمة حل لغز الميزانية هذا المستشارون المحافظون لريجان ـ الحرس القديم بقيادة شولتز والن جرين سبان ، وذلك فى اعقاب انعقاد المؤتمر القومى للحزب الجمهورى . وقد سعوا لاثبات ان ريجان لم يكن غير مسئول عندما اقترح ان فى امكانه تحقيق زيادة كبيرة فى الانفاق الدفاعى ، وخفض الضرائب الثلث ـ وتحقيق ميزانية متوازنة ، وخفض التضخم خلال الفترة الاولى لتوليه الرئاسة .

وقد انيع نتاج عملهم فى ٩ سبتمبر ١٩٨٠ فى تقرير بعنوان « استراتيجية رونالد ريجان للنمو الاقتصادى والاستقرار خلال الثمنينات » . وقد صدرت هذه الخطة الاقتصادية قبل انتخابات الرئاسة . ولم تكن هذه الوثيقة التى ركزت على اهمية توفير « امكانية التنبوء بالمستقبل » بالنسبة للمستهلكين والمشروعات التجارية ، مجرد وثيقة للدعاية الانتخابية .

وكان الهدف الاساسى من استراتيجية ريجان الاقتصادية هذه يتمثل فى تحقيق اندفاعة قوية فى تجاه تحقيق النمو الاقتصادى بدلا من التدهور الاقتصادى . وتقول الوثيقة يتعين علينا ان نتحرك بجسارة وحسم للسيطرة

على نمو الانفاق الفيدر الى الذى لا يخضع للتفتيش والمراقبة ، وازالة الضرائب التى من شأنها خلق العوائق التى تخنق الاقتصاد ، واصلاح صيغة النظام العنكبوتى التى تخيم عليه . وبعد اعلان الحاجة الى استراتيجية جديدة خلال الثمنينات ، قال (بول ماكراكين) ، اول رئيس لمجلس ادارة مجلس المستشارين الاقتصاديين فى ظل ادارة الرئيس نيكسون « ان استراتيجيتنا تستهدف ، خلال عقد من الزمان ، تحقيق اقتصاد افضل عن طريق المقاومة المعممة للانفاق من اجل انجاز ميزانية متوازنة ، ومن ثم يكون من حقنا تخفيض الضرائب . لقد تركت لنا امكانية هذا التنبوء انفاقات فيدرالية ضخمة ، وعجزا ، واقتصادا ضعيفا ومن ثم ، نجد انه مما يستحق المحاولة ، على الاقل ، ان نسعى لتحقيق ميزانية اقوى ، واقتصاد اقوى ، عن طريق اتخاذ الاجراءات الضريبية اللازمة واجراء خفض اقل فى الانفاق بصورة مباشرة .

وهكذا ، تم انتخاب الريجانيين (انصار ريجان) من اجل تحقيق النمو الاقتصادى . وهم يرون ان انجاز نمو اقتصادى على نحو نشط هو الاسلوب الوحيد الذى من شأنه توفير وظائف جديدة ودخل جديد بحيث يمكن وقف التضخم ، وخفض معدلات الفائدة الامر الذى يتيح لهم ان ينفقوا « ما ينبغى لنا ان ننفقه على الدفاع القومى » . وتعارض خطتهم بصفة خاصة ما يطلقون عليه مصطلح « اقتصاديات الندرة » .

وتعد هذه الخطة شاملة وتتكون من خمسة اجزاء متشابكة هى (١) « السيطرة على معدل نمو الانفاق الحكومى بحيث لا يتجاوز ، مستوى معقولا » (٢) « خفض معدلات الضريبة المفروضة على دخل الافراد ، وزيادة وتبسيط جداول خفض استهلاك اجهزة ومعدات المشروعات التجارية على نحو متناسق ومنظم بقصد ازالة العوائق المتزايدة التى تعترض العمل والادخار والاستثمار والانتاج » . (٣) « اجراء مراجعة شاملة للوائح التى تؤثر على الاقتصاد واتخاذ التدابير العاجلة لتغيرها لتشجيع النمو الاقتصادى » (٤) « وضع سياسة نقدية سليمة ومستقرة » . (٥) « استعادة الثقة بانتهاج سياسة اقتصادية قومية ومتناسقة ولا يجرى تغييرها الا من شهر الى اخر . »

غير ان تفاصيل هذه الخطة الاستراتيجية لا تدعم هذا الهدف البلاغى القومى . ذلك ان السيطرة على نمو الانفاق الفيدرالى بحيث لا يتجاوز مستوى معقولا ، امر من شأنه ان يعتمد على التخلص من مليارات عديدة تبدو فى اوجه

اسراف واحتيال غير محدودة . وتقول خطة ريجان : « ان انباء الاسراف والتبذير وسوء استخدام الاموال والاحتيال الصريح انباء اسطورية » . وتؤكد ان هذا الاسراف يمكن يكمن فى مكان عميق فى مئات البرامج الفيدرالية وان الامر يتطلب جهدا مدعما لعدة سنوات للكشف عنه .

وبعد الفشل الذريع لتجربة جيمى كارتر الخاصة بقاعدة الانطلاق فى وضع الميزانية من اجل توفير مدخرات هامة ومضاعفة الانفاق فى كاليفورنيا فى ظل تولى ريجان منصف الحاكم بحيث قفز الانفاق السنوى للولاية من ٦,٤ مليار دولار الى ٢,١٠ مليار ، بالرغم من وعده بخفض وضغط الانفاق بعد هذا الفشل يوجد شك واسع النطاق فى امكان قيام ريجان بخفض الانفاق الفيدرالى عدة مليارات من الدولارات عن طريق التخلص من الاسراف والبذخ والاحتيال .

وقد اكد ريجان انه لا ينوى خفض الانفاق الفيدرالى عن طريق الغاء البرامج . فعندما سئل ريجان فى المناظرة التليفزيونية التى عقدها مع الرئيس كارتر فى ٢٨ اكتوبر ١٩٨٠ عن الاوجه التى سيخفض فيها الانفاق الحكومى اذا ماكان يعتزم زيادة الانفاق على الدفاع وكذا خفض الضرائب ، اجاب بقوله : حسنا ، ان معظم الاشخاص عندما يفكرون فى خفض الانفاق الحكومى ، يفكرون فى ضوء الغاء البرامج الضرورية أو القضاء على شىء ما ، كبعض الخدمات التى من المفترض ان تضطلع بها الحكومة . وفى اعتقادى أنه ــ يوجد اسراف وبذخ كاف فى الحكومة . وكحقيقة اكيدة ، شهد احد المسئولين فى وزارة الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية فى ظل حكم مستر كارتر ــ شهد بأنه يعتقد أنه توجد عمليات احتيال واسراف فى برامج الرعاية الاجتماعية وفى البرامج الطبية المتصلة بها تقدر قيمتها بسبعة مليارات دولار . ولدينا تقدير مكتب المحاسبة العام الذى يشير الى احتمال ضياع عشرات المليارات من الدولارات بسبب عمليات الاحتيال وحدها . ويضيف ان الاسراف يبدد المزيد من الدولارات » .

وقد اعلن ريجان ان لديه برنامجا لاجراء خفض تدريجى للنشاط الحكومى « يعتمد على هذه النظريات » . والواقع ، ان خطته الاستراتيجية التى قدمها فى ٩ سبتمبر ١٩٨٠ تطرح برنامجين للحد من الاسراف والاحتيال . اولهما يستهدف تحقيق « انجاز جزئى » فى هذا الصدد ، ويدعو لاجراء تخفيضات فى الانفاق الفيدرالى بنسبة ٢ ٪ فى عام ١٩٨١ ، وبنسبة ٤ ٪ عام ١٩٨٢ ، و٥ ٪ عام ١٩٨٣ ، و٦ ٪ عام ١٩٨٤ ، و٧ ٪ عام ١٩٨٥ وثانيهما

يستهدف تحقيق « انجاز كامل » من شأنه خفض الانفاق الفيدرالى بنسبة ٣ ٪ عام ١٩٨١ وبنسبة ٦ ٪ عام ١٩٨٢ ، وبنسبة ٨ ٪ عام ١٩٨٣ ، وبنسبة ١٠ ٪ فى عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ . وتنطلق خطة ريجان الاستراتيجية من توقعات لجنة الميزانية التابعة لمجلس الشيوخ الواردة فى القرار الثانى الذى صدر فى نفس الوقت فى ٢٧ اغسطس ١٩٨٠ ، فان خطة ريجان تفترض انه اذا لم يتم تحقيق اية تخفيضات فى الانفاق ، فان الانفاق الفيدرالى سيزيد من ٦٣٣ مليار دولار عام ١٩٨١ الى ٩٢٠ مليار دولار عام ١٩٨٥ والواقع ان تخفيضات ريجان المقترحة من « الاسراف والاحتيال » من المقدر ان يبلغ مجموعها الكلى ٦٤,٤ مليار دولار بحلول عام ١٩٨٥ وهو مبلغ ضخم يقتطع من الاسراف . وسوف تتحقق ، فى الواقع ، هذه التخفيضات فى اوجه الانفاق ، اذا ما تم انجاز اقتصاديات ريجان الخاصة بالانفاق على نحو جزئى . وسيبلغ اجمالى تخفيضات الانفاق ٩٢ مليار دولار اذا ما انجزت خطة ريجان بشأن اجراء خفض نسبته ١٠ ٪ بحلول عام ١٩٨٤ .

وسوف يحدث انقلاب الميزانية لهذا القرن اذا ما تمت تخفيضات بمثل هذه الضخامة عن طريق القضاء على « الاسراف والاحتيال » دون ان تسقط برامج الاعالة او يتم التخلى عنها . وقد قال ريجان خلال المناظرة التليفزيونية لانتخاب الرئاسة ان لديه فريق عمل يبحث بنود الميزانية التى يتعين تخفيضها . والواقع ، ان الخطة الاستراتيجية لريجان التى نشرت فى ٩ سبتمبر ١٩٨٠ تكشف انه خلال الشهرين القادمين سيكلف فريق عمل خاصا لمراقبة الانفاق برئاسة (كاسبار واينبرجر) المدير السابق لمكتب الادارة والميزانية ولاجراء دراسة وثيقة لاوجه مراقبة الانفاق ثم يقدم هذا الفريق تقريرا تفصيليا خلال فترة انتقال السلطة عن الوسائل المحددة للكشف عن تبديد الاموال والاسراف وكيفية القضاء عليهما .

وقد لاحظت صحيفة « ذى وول ستريت جورنال » ان بعض الافكار الخاصة بخفض الاسراف التى يبحثها فريق عمل ريجان تتمثل فى : خفض علاوات غلاء المعيشة بالنسبة للمستفيدين من مزايا الضمان الاجتماعى ، والغاء الحد الادنى للاجور ، والسماح للولايات بالغاء برامجها الخاصة بدعم المواد الغذائية وخفض معونات الاسكان الفيدرالية للمدن واقتران ذلك بمراقبة الايجارات ، والحد من القواعد الفيدرالية التى تقضى بأنشاء المزيد من الطرق السريعة للسيارات الخاصة وتستفيد منها الاقلية »[١] .

وتوجد مقترحات اخرى تثير الجدل قد جرى تقديمها لفريق العمل ومنها :

رفع السن بالنسبة للاشـخاص الذين يسـتحقون التمتع بمـزايا الضـمان الاجتماعى ، ومراجعة جدول اسعار السلع الاستهلاكية من اجل خفض ارقام التضخم ، وخفض الاموال المخصصة للرعاية الاجتماعية عن طريق اسـتخدام « القوة الضاربة » التابعة للمباحث الفيدرالية لكشف اوجه الاحتيال فى الرعاية الاجتماعية ، ومن خـلال منح الولايات علاوات نقـدية لكشـفها وادانتهـا للمحتالين فى مجال الرعاية الاجتمـاعية ، ومنح الولايات حـرية تنظيم وادارة نظمها الخـاصة بالرعاية الاجتمـاعية ، وخفض او الغـاء متطلبات الامـن الفيدرالية على صانعى السـيارات . غير ان ريجـان لم يوافـق بعـد على اى اقتراح من هذه الاقتراحات .

وايا كان الامر ، فقد اعلن انه سيدعو الى اجـراء تجميد عاجـل للعمـالة الفيدرالية . بيد ان الرئيس كارتر قد نفذ بالفعل مثل هذا التجميد منذ شـهور . وقد قال (كاسبر واينبرجر) ان تجميد ريجان للعمالة سيكون اكثر فعالية مما قام به كارتر فى هذا الصدد .

والواقع ان المنطق الاساسى الذى يكمن وراء الاستراتيجية المالية لريجان يتمثل فى الافتراض القائل بأن الايرادات الضريبية للحكومة الفيدرالية سـوف تتزايد على نحو هائل خلال السنوات الخمس القادمة ، نتيجة للتضخم والنمو الاقتصادى الحقيقى ، بينما تبقى اوجه الانفاق الحـكومى اقـل مـن نمـو الايرادات . ومن ثم ، يدور النقاش حول اتساق التخفيضـات الضـخمة مـع التحرك فى اتجاه تحقيق ميزانية متوازنة ــ بل تحقيق فائض ضخم فى الميزانية بحلول عام ١٩٨٥ .

وقد اتخذ الاستراتيجيون الجمهوريون ، كاساس لتخطيطهم ــ تقـديرات لجنة الميزانية التابعة لمجلس الشيوخ بشأن معدل النمو الاقتصادى الحقيقـى والمتوقـع ان يتراوح بين ١ الى ٣,٨ ٪ خـلال السـنوات الخمس القـادمة ، وانخفاض معدل التضـخم ببطء بحيث يصـل الى ٥ , ٧ ٪ بحلول عام ١٩٨٥ وانخفاض معدل البطالة الى ٦,١ ٪ بحلول نفس العام . واسـتنادا الى هـذه الافتراضات ، قدرت لجنة مجلس الشيوخ ان يرتفع ايراد الحـكومة الفيدرالية الى ١١٠٢ مليار دولار خلال السنة المالية ١٩٨٥ ، بزيادة قـدرها ٥٨٤ مليار دولار بالنسبة لايراد السنة المالية ١٩٨١ . وعندئذ ، واذا لم تحقق الانفـاقات الفيدرالية الا زيادة قدرها ٩٢٠ مليار دولار بحلول عام ١٩٨٥ ، فـان الميزانية ستحقق فائضا قدره ١٨٢ مليار دولار فى نفس هـذا العـام . ولكن هـل مـن المرجح ان يحدث هذا ؟ فقد لا يمكن خفض الانفاقات ، وقد لا تتمـكن الولايات

من تنفيذ البرامج الفيدرالية ، لانهـا لن تسـتطيع تدبير اوجـه العجـز مثل الحكومة الفيدرالية . ولذلك قد يقل النمو الحقيقي عن المستهدف تحقيقه .

وتهدف خطة ريجان الى التغلب على ما اسـماه والترهيللر احـد رجـال الاقتصاد من الحـزب الديمقـراطي بـ « الخمـول المالى » ابان ادارة كيندى الناجم عن التزايد الشديد فى العبء الضريبي . ولذا تشير خطة ريجان الى ان « تزايد العبء الضريبي هذا من شأنه ان يضيف المزيد من العـوائق بالنسـبة للدخل والادخار والاستثمار . »

ويرى الاقتصاديون المؤيدون لريجـان ان الاختلاف الاسـاسى بالنسـبة للتخفيض الضريبى الذى اجراه كيندى ـ جـونسون عام ١٩٦٤ يكمـن فى ان الخفض الضريبى للديمقراطيين يمثل اقتصـاديات الطلب « او الاقتصـاديات الكينزية » على حين ان التخفيضـات الضريبية المقترحـة للجمهـوريين تمثل اقتصاديات العرض . وتقول وثيقـة الجمهـوريين : « ان البرنامـج الضريبى لرونالد ريجان يستهدف ازالة العوائق ، وتشجيع نوع من النمـو الاقتصـادى من شأنه ان يسفر عن تحقيق زيادة مطردة فى الاجر الحقيقي للعامل الامريكى وازالة الشكوك بشأن ضمان الحصول على وظيفة » . ومع ذلك سـيكون الاثر الاولى لهذا هو زيادة الاسـتهلاك ، بالرغم مـن احتمـال وجـود اثار ثانوية بالنسبة للاستثمار ونمو الانتاج .

وبعد ان تتم التخفيضات الضريبية بنسبة ٣٠ ٪ طبقـا لاقتراح كيمـب ـ روث خلال ثلاث سنوات نجد ان خطة ريجان قـد تدعوا الى الربط بين معـدل التضخم والشرائح الضريبية المفروضة على دخول الافراد لمنع التضـخم مـن التحرك دافعى الضرائب الى شرائح ضريبية اعلى وايا كان الامر فـان هـذا لا يعنى ازالة التضخم وانما يعنى فحسب ربط الضرائب فى ضوئه .

كما تدعو خطة ريجان الى زيادة اسـتهلاك معـدات واجهـزة المشروعات التجارية لتشجيع الاستثمار الذى يوفر وظائف جـديدة وحتى يتسـنى تحقيق تخطيط للميزانية طويل الاجل ، تفترض وثيقة ريجان اقرار خطة (بنسـتين) الخاصة بزيادة الاستهلاك ، والتى من شأنها ان تخفض الضرائب المفـروضة على المشروعات التجارية بحوالى ٢٠ مليار دولار ، وذلك بدلا من خـطة ١٠ ـ ٥ ـ ٣ ، التى تبلغ تكلفتها ٦٠ مليار دولار . غير ان هذا قد لا يتم اذا ما سيطر نفوذ (تشارلز والكر) واقطاب المشروعات الكبرى المؤيدون لخـطة ١٠ ـ ٥ ـ ٣ .

وبعد الاخذ فى الاعتبار لهذه المقترحات المختلفـة لخفض الضرائب والحـد

من نمو الانفاق الفيدرالى ، ضمن نطاق استمرار التضخم والنمو الاقتصادى الحقيقى ، تتوقع خطة ريجان انخفاض العجز الفيدرالى من ٥٩ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨٠ الى ٢٧ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨١ وان يصل الى ٦ مليارات دولار فى السنة المالية ١٩٨٢ . وتتوقع ان تحقق الميزانية فائضا قدره ٢٣ مليار دولار عام ١٩٨٣ و٦٢ مليار دولار عام ١٩٨٤ و١٢١ مليار دولار عام ١٩٨٥(٢) ، بشرط ان تحقق ادارة ريجان بصورة كاملة هدفها المتمثل فى خفض الانفاق بنسبة ١٠ ٪ . ومع ذلك اذا ما حققت ادارة ريجان هدفها هذا ، على نحو جزئى ، بحيث ينخفض الانفاق بنسبة ٧ ٪ ، فانه من المتوقع ، فى هذه الحالة ، ان يصل العجز فى الميزانية الى ٢٧ و٢١ مليار دولار خلال سنتى ١٩٨١ و١٩٨٢ على التوالى ، وان يتم تحقيق ميزانية متوازنة عام ١٩٨٣ ، وفائض قدره ٢٨ مليار دولار و٩٣ مليار دولار خلال سنتى ١٩٨٤ و١٩٨٥ على التوالى .

هل تعمل سياسة ريجان الاقتصادية الداخلية الخاصة باجراء تخفيضات كبيرة فى الانفاق والضرائب ، على انعاش اقتصاد الولايات المتحدة ، فى الوقت الذى تخفض فيه التضخم ؟ .

جدول رقـــــم (١)
توقعات ميزانية ريجان
من السنة المالية ١٩٨١ حتى السنة المالية ١٩٨٥
(المبالغ السنوية بمليارات الدولارات)

لجنة الميزانية التابعة لمجلس الشيوخ :
تقريـــــرات :

القرار ـ ٢٧ اغسطس ١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
اجمالى الناتج القومى	٢٧٩٣	٣١٥٢	٣٥٥٥	٣٩٨٣	٤٤٤٦
اجمالى الضرائب الفيدرالية (القانون الحالـــــى)	٦١٠	٧١٢	٨٢٨	٩٥١	١١٠٢
الانفاق الفيدرالى	٦٣٣	٧١٠	٧٧٨	٨٤٥	٩٢٠
الانفاق الدفاعى	١٥٩	١٨٧	٢١٢	٢٣٩	٢٧٠
انفاق غير دفاعى	٤٧٤	٥٢٣	٥٦٦	٦٠٦	٦٥٠
تغييرات سياسية مقترحة					
(أ) التحكم فى نمو الانفاق الفيدرالى	+ ١٣	+ ٢٨	+ ٣٩	+ ٥١	+ ٦٤
(ب) التخفيضات الضريبية للافـــــــراد	ـ ١٨	ـ ٤٨	ـ ٨٨	ـ ١٣٠	ـ ١٧٢
(ج) زيادة استهلاك معدات المشروعات لتشجيع الاستثمار	ـ ٤	ـ ١٣	ـ ١٨	ـ ١٩	ـ ٢٠
(د) نمو اقتصاد اضافى	+ ٥	+ ١٠	+ ١٨	+ ٢٠	+ ٣٩
تقدير (العجز) او الفائض	(٢٧)	(٢١)	*	٢٨	٩٣
النسبة المئوية للانفاق الكلى	(٪٤,٣)	(٪,٣)	*	٪٣,٣	٪١٠,١
(هـ) الانجاز الكامل لاهداف خفض الانفاق :					
المدخرات الاضافية	+ ٦	+ ١٥	+ ٢٣	+ ٣٤	+ ٢٨
تقدير (العجز) او الفائض	(٢١)	(٦)	٢٣	٦٢	١٢١
النسبة المئوية للانفاق الكلى	(٪٣,٣)	*	٪٣	٪٧,٣	٪١٣,٢

* اقل من ١٪

المصدر : لجنة ريجان / بوش ، ٩ سبتمبر ١٩٨٠

بحيث يتعين النظر الى اى تحليل اقتصادى لاســـتراتيجيته المقترحـــة على انه افضل قليلا من التخمين البارع . ومع ذلك ، نجــد اثنين واربعين مـــن الخبراء البارزين فى مجال التوقعات الاقتصـــادية ومنهـــم بعض اصـــحاب المشروعات الكبرى فى البلاد ، والبنوك ووكالات التوقعات الاقتصادية ، يتفقـــون فى الرأى على ان التخفيضات الضريبية التى يقترحها ريجان تعد تخفيضـــات مفـــرطه ،

ومن المرجح ان تؤدى الى زيادة « اشتعال التضخم » على حد تلخيص مؤسسة « ايجارت » للمشروعات التجارية ، لاجماع الرأى فى هذا الصدد ، من واقع دراسة ميدانية اجرتها .

كما ينتقد الاقتصاديون الذين استطلعت مؤسسة (ايجارت) رأيهم ، الغموض الذى تتسم به خطة ريجان فيما يتعلق بخفض الانفاق الحكومى بنسبة تتراوح من ٧ الى ١٠ ٪ عن طريق التخلص من « الاسراف والاحتيال » . وقد اعربوا عن تشككهم من ان يستطيع ريجان الاقتراب من تحقيق توازن فى الميزانية اذا ما تمسك بخطته الخاصة بزيادة الانفاق الدفاعى زيادة كبيرة ، بينما يقوم باجراء خفض كبير فى الضرائب .

وقد كشف تحليل لخطة ريجان التى قدمها فى ٩ سبتمبر ١٩٨٠ وقام به قسم التوقعات الاقتصادية ببنك تشيس مانهاتن ، كشف هذا التحليل ان خطة ريجان هذه ، اذا ما تحققت ، فسوف تؤدى الى زيادة البطالة زيادة كبيرة ، ولن تنطوى الا على اثر ضئيل ، او لن تنطوى ، على اى اثر بالنسبة للانتاج والاستثمار والنمو الاقتصادى الحقيقى . ومع ذلك ، وجد قسم التوقعات الاقتصادية ببنك تشيس ان برنامج ريجان سوف يكون له بعض الاثر بالنسبة لخفض معدل التضخم ، من خلال تخفيض الانفاق الحكومى بصفة اساسية مع افتراض ان تتحقق بالطبع التخفيضات المذكورة فى خطته التى تقضى بأن يتراوح الخفض من ٦٤ مليار دولار الى ٩٢ مليار دولار خلال السنوات الاربع القادمة .

وكشف تحليل بنك تشيس انه اذا ما تم تنفيذ خطة ريجان فان اجمالى الناتج القومى الحقيقى ـ اى اجمالى انتاج الاقتصاد من السلع والخدمات ، مع الاخذ فى الاعتبار لنسبة التضخم ـ سوف يرتفع بنسبة واحد من عشرة فى المائة فقط عام ١٩٨١ ، وبنسبة تصل الى حوالى ٣ ٪ سنويا ، بعد ذلك ، وحتى عام ١٩٨٥ . وسوف يصل معدل التضخم الى ٩ ٪ عام ١٩٨١ ثم ينخفض تدريجيا الى ١, ٧ ٪ عام ١٩٨٥ . غير ان البطالة ستصل الى ٨,٩ ٪ عام ١٩٨١ ، ثم يرتفع معدلها إلى ٩٪ بحيث يصل إلى ٩,٢٪ عام ١٩٨٥ ويعنى هذا زيادة عدد العمال المتعطلين من ٥, ٩ ٪ مليون عامل عام ١٩٨١ الى ١٠,٥ مليون عام ١٩٨٥ ، وذلك بسبب استمرار نمو القوى العاملة .

والتوقعات أو القياسات الاقتصادية ليست علما مؤكدا ، ـ وخطة ريجان تتسم بالغموض ـ ولذا لا يتعين على المرء أن يصدق تماما كل ما جاء فى تحليل بنك تشيس أو غيره . وإذا ما غير المرء الافتراضات الواردة فى خطة ريجان ـ واذا ما افترض مثلا أن الرئيس ريجان إذا حقق معظم التخفيضات الضريبية

التى يسعى لتحقيقها فسيجد صعوبة فى توفير أى من مليارات الدولارات التى يقترح توفيرها من خـلال خفض الانفـاق الحـكومى – إذا مـا غير المرء الافتراضات الواردة فى خطة ريجان فان صورة المستقبل المتوقع ستنطوى على تحقيق معدل تضخم أكبر ، ومعدل بطالة أقل .

وأيا كان الأمر ، فان الاقتصاديين السياسيين الذين يؤمنون باقتصاديات العرض والذين يؤيدون ريجـان ، يرون أن التحليل الاقتصـادى التقليدى يقلل من قيمة أثر استراتيجية ريجان الاقتصادية وفلسفته بشـأن المشروع الحـر وبالنسبة لحوافز وجهود وثقة الأفراد والمشروعات . ويقولون : أنها سـتحقق فرقا هائلا بالنسبة للنمو الحقيقى ، مما يبعد الحكومة عن الاقتصاد الخاص . إذ تدعو خطة ريجـان الى إجـراء مـراجعة متسـقة وكاملة لآلاف اللوائح الفيدرالية التى تؤثر فى الاقتصاد . وتؤكد أن اللوائح ، فى حـالات كثيرة ، قـد انطوت على اجراءات متطرفة وأصبحت لا تحقق الغاية المرجوة منها .

ويعتزم الرئيس ريجان أن يقترح ضرورة أن تقترن أية لائحـة « ببيان عن الأثر الاقتصادى » لها ، حتى يتسنى تقـدير مـزاياها المرجـوه فى ضـوء أثر اللائحة على الوظائف والاقتصاد . وهو يريد أن يعمل مـع الكونجـرس للتأكد من صياغة أى تشريع جديد بحيث يحد من نشاط البيروقـراطيين فى صـياغة اللوائح وتفسيرها ويقول أنه إلى جانب مراقبة أنفاق الأموال ، سـيكون الذين يتم تعينهم فى إدارة ريجان . أولى المهام لهم التى يضـطلعون بهـا تحليل كل لائحة فيدرالية فى نطاق إختصاصهم ، لتحديد كون الأمر يتطلب العمـل بهـذه اللوائح أم لا » .

ومن ناحية أخرى ، لا يوجد لدى ريجان سوى القليل ليقوله عن السـياسة النقدية . فهو يدعو إلى سياسة نقدية سـليمة ومسـتقرة ، ويمـكن التكهـن باتجاهـاتها . ويقول أن مجلس إدارة البنك الاحتياطى الفيدرالى يعد مجلسـا مستقلا عن الجهـاز التنفيذى وينبغـى أن يظـل كذلك . غير أنه يلاحـظ أن الرئيس يعين الأشـخاص الذين يعملون فى مجلس إدارة البنك الاحتياطـى الفيدرالى (ولذلك يتعرض لقدر كبير من إعادة التنظيم ، وخاصة عندمـا تتغير الادارات) وأن الأشخاص الذين سيعينهم سيكونون رجالا ونساء يشـاركونه التزامه الخاص باستعادة قيمة الدولار الأمريكى ، ويؤمنون بسـياسة نقـدية سليمه ومستقرة يمكن التكهن باتجاهـاتها » .

وتتسق مثل هذه الاراء مع المبادىء التى يؤمن بهـا أشـهر مسـتشاريه الاقتصاديين (البروفسير فريدمان) . غير أن مثل هذه السـياسات النقـدية ،

التي تركز على المراقبة المشددة على نمو عرض الأموال ، قد تؤدى ، فى ظل إجراء تخفيضات ضريبية ضخمة ، وميزانيات غير متوازنة ، الى معدلات فائدة مرتفعة على نحو مزمن ، من شأنها أن تنزع الى الاضرار بالأسواق المالية والحد من الاستثمار ، ومعدل النمو الاقتصادى .

غير أن ريجان ومستشاريه يرون أن ثقة المشروعات والشعب فى منهجه المحافظ الخاص بالسياسة الاقتصادية ستمكنهم من التغلب على العقبات التى تعترض تحقيق النمو الاقتصادى . ويؤكدون أن الثبات ـ مقارنا بالتغييرات العديدة فى السياسة الاقتصادية للرئيس كارتر ـ سيضمن تحقيق نمو أقوى . ويقولون أنه لا يوجد شىء من شأنه تقويض النمو الاقتصادى أكثر من تفشى الشك حول الاجراءات التى قد تتخذها الحكومة فى المستقبل . ولذلك سيبذل كل جهد مستطاع ، فى ظل حكومة ريجان ، لارساء السياسة الاقتصادية وبدء تنفيذها فى وقت مبكر ـ خلال التسعين يوماً الأولى من توليه السلطه ـ ثم التمسك بأساسيات هذه السياسة .

ومن ثم ، كان من الاجراءات الأولى ـ التى من المرجح أن يتخدها الرئيس ريجان عند توليه السلطة ـ إرساله مجموعه مشروعاته الضريبية إلى الكونجرس ، وأن يوصى باجراء خفض عاجل على معدلات الضريبة المفروضة على دخول الأفراد بنسبة ١٠٪ ، وهى الدفعة الأولى من خفض قدره ٣٠٪ ينفذ على مدى ثلاث سنوات على نحو ما يحدد مشروع قانون كيمب ـ روث . ومن المؤكد أن ريجان سيدرج ضمن مجموعة مشروعاته الضريبية مقترحات أخرى لخفض الضرائب المفروضة على المشروعات التجارية .

ومن المرجح أن الكونجرس ، سوف يوافق على الجزء الأول الخاص بالسنة الأولى من خطة ريجان ، نظراً لأنه مستعد بالفعل لخفض الضرائب من جانبه بحوالى ٣٩ مليار دولار فى السنة المالية ١٩٨١ . غير أنه من المحتمل أن يواجه ريجان بعد ذلك صعوبات أشد من جانب الكونجرس حول تخفيض الضرائب والأنفاق الحكومى ، ولا يرجع ذلك الى أن الديمقراطيين لا يزالون يشكلون الأغلبية فى مجلس النواب فحسب ، وإنما يعزى الى أن تخفيضات الانفاق الحكومى المقترحة من المحتم أن تثير معارضة من جانب جماهير الناخبين . وفضلا عن ذلك ، فان الخفض الضريبى الهائل والذى من شأنه أن يزيد عجز الميزانية سوءا ، من المرجح أن يقاومه الكونجرس باعتباره اجراء يؤدى لزيادة التضخم .

ومن المؤكد أن ريجان نفسه ليس من مؤيدى التضخم وليس أدل على ذلك

من أن أقوى بند اقتصادى فى برنامج الحزب الجمهورى ، الذى كان لريجان أثر فى صياغته ، هو البند الذى يندد بالتضخم ، وهجومه على الرئيس كارتر بسبب سياسته التى أدت الى تفاقم التضخم خلال سنوات حكمه الأربع . ولذلك قد يجد ريجان مبرراً كافياً لتعديل مكونات برنامجه بشأن الضرائب والانفاق الحكومي ، إذا ما وجد إنهما يتضاربان مع أهدافه الخاصة بتحقيق ميزانية متوازنة ، وكبح جماح التضخم .

والواقع أن (البراجماتية) ـ التى تعرف بأنها الاستعداد للتخلى عن منهج فى وقت مبكر ، تبعاً لمقتضيات الظروف السياسية ـ تعد صفة راسخة فى شخصية ريجان . فهو أبان تقلده منصب حاكم كاليفورنيا لم يضاعف الانفاق الحكومي فحسب ، وإنما أشرف على إصدار ثلاثة قوانين أساسية بزيادة الضرائب كذلك . ثم أعاد جزءا من الفائض الذى حققته الولاية عن طريق التخفيض والخصم الضريبي ولقد قال (جون سميتز) السناتور الجمهورى المحافظ عن أداء ريجان فيما يتعلق بالضريبة والأنفاق فى كاليفورنيا « انه لم يقم بأى عمل صارخ هنا » .

وسوف يحرص مستشاروه المحافظون التقليديون ـ وفيهم الاقتصاديون الذين عملوا فى ادارتى نيكسون وفورد ورجال الأعمال الذين يساندون ريجان طوال سنوات عديدة ـ على الا يبدو ريجان وكأنه لا يقدر الأوضاع المالية » . ومع ذلك ، لا يزال ريجان ، فيما يبدو ، مصمما على الاقدام على بعض المخاطر من أجل تحقيق نمو أسرع . ولذلك يحاول ، فيما يبدو ، تشكيل حكومة يمكن أن يتعايش فيها المؤمنون باقتصاديات العرض والمحافظون التقليديون وأن يعملا معا . ويتحدث الآن جرين سبان عن الصراعات القديمة بين هاتين المجموعتين قائلا : « انه قتال فى نطاق أسرة واحدة » . غير أن المحافظين من الحرس القديم ـ مثل سبان نفسه ـ قد خرجوا من هذا القتال ، فيما يبدو ، باعتبارهم المجموعة المسيطرة التى تلتف حول الرئيس الجديد .

ويحظى ريجان بين أولئك الذين راقبوه عن كثب ـ لاخلال الفترتين اللتين تولى فيهما منصب حاكم كاليفورنيا فحسب ، وإنما خلال الحملة الانتخابية الأخيرة كذلك ـ يحظى بسمعة انه رجل يتعامل مع مبادئه بمرونة ، بحيث يتسنى له تحقيق الأهداف الاقتصادية والسياسية المتغيرة . ويقول البروفسير ميلتون فريد مان « انكم تريدون رجل مبادىء ، انه ريجان » ويضيف : « غير أن ريجان ليس رجل مبادىء يتسم بالجمود ، وهو ما لا تريدونه » . بيدان بعض المراقبيين ـ والمستشارين وكذا الخصوم ـ يشيرون الى هذه النقطة بطريقة

سلبية ، عندما يعربون عن شكهم فى أن ريجان يؤمن بمبادىء عميقة وطويلة الأجل ، وأن كان يتمتع بادراك سياسى يجعله لا يغير مواقفه كثيرا أو دائما فى المدى القصير .

والواقع أن العقبات التى تعترض الجهد الناجح الذى يبذله ريجان لتنفيذ خطته الاستراتيجية ــ خفض الضرائب ، وخفض الانفاق الحكومى وإعادة تنظيم المشروعات التجارية ومن ثم تحقيق شعاره الذى يقول : « عمالة كاملة بدون تضخم من خلال تحقيق نمو اقتصادى ــ هذه العقبات تكمن داخل الكونجرس وبين حزبه . ولكن مما لاشك فيه أن العقبة الهامة تتمثل فى الصراع بين أهدافه والقيود التى يفرضها هيكل الميزانية ، والتكلفة المرتفعة للدفاع وغير ذلك من البرامج الحكومية القائمة مثل الضمان الاجتماعى ، الذى لا يعتزم ريجان خفضه .

إن السؤال الكبير المطروح بشأن إدارة ريجان هو هل ستستطيع إدارة ريجان علاج التضخم أو تزيده سوءا ؟ لقد كانت تروق لريجان فى وقت مبكر فكرة محاولة حل مشكلة التضخم بالرجوع الى تطبيق قاعدة الذهب ، الا أن مستشارين مثل (جورج شولتز) و (آلن جرين سبان) و (ميلتون فريدمان) قد أقنعوه ، فيما يبدو ، بأن هذه الفكرة تنطوى على مخاطرة بالغة . ذلك أن معدل تضخم مرتفع بدرجة معقولة سيبقى على الأقل ، فيما يبدو ، خلال السنوات القادمة . والواقع أن الخطة المالية لريجان تعتمد على وجود معدل تضخم مرتفع بدرجة معقولة ــ بنسبة تتراوح من ٨ الى ١٠٪ ــ لتحقيق ما يسعى اليه من تخفيضات ضريبية وتحقيق ميزانية متوازنة . غير أنه من المحتم أن يواجه ريجان صعوبات كبيرة لاقرار برنامجه « الشامل » من جانب الكونجرس ومن جانب مقاومة مجموعات أصحاب المصالح الخاصة المختلفة خلال السنوات الأربع القادمة .

ومن المرجح أن ترغم واقعية ما بعد الانتخابات ، الرئيس ريجان ومساعديه المقربين ، على تعديل برنامجهم ــ الذى حقق هدفه الأساسى ببيع مرشح الحزب الجمهورى للأمة ــ بحيث ينطوى على مخاطر أقل . وإذا لم يتم تعديل البرنامج ، وخاصة بالنسبة للتخفيضات الضريبية الضخمة التى وردت فيه ، فان الأمة قد تواجه مغامرة مثيرة فى وضع السياسة الاقتصادية ــ واقتران ذلك بتضاؤل ملحوظ فى دور الحكومة الفيدرالية ، مما يجعل مشكلة فى التضخم والميزانية تزداد سوءا على نحو خطير .

٥ ـ تاجر حر

إن المنهاج الشامل لرونالد ريجان بالنسبة للسياسة الاقتصـادية الدولية يعد إمتداداً لفلسفته الاقتصـادية الداخلية التى تتمثل فى نفـوره مـن تدخـل الحكومة فى المشروع الخاص والأسواق الحرة . ومن ثم ، يؤيد التجارة الحـرة كوسيلة لتوفير فرص أكبر للمشروعات التجارية الأمريكية فى الخارج وتحقيق مزايا للمستهلكين فى الداخل وكبح جماح التضخم .

غير أن ريجان يعد كذلك سياسياً مليا ، ولذا مـن المرجـح أن يسـتجيب لجماعات الضغط التى تثير قضية قوية ومستمرة مفاداها أنهـم يتعـرضون للأضرار بسبب التجارة الحرة والمنافسـة الاجنبية . والاحتمـال الأرجـح أن تفوز ، فى المعمعـة ، (البراجمـاتية) السـياسية لريجـان على إيديولوجيته الخاصة بالتجارة الحرة . وقد حدد بالفعل موقفه بدقة فى هذا الصدد . فعندمـا سئل هل سيفرض قيوداً على استيراد سلع ، مثل السيارات والصلب ، يلقـى عليها اللوم باعتبارها سبب البطالة فى الولايات المتحدة ؟ أجاب قـائلا : « أننى لا أريد أن الجأ إلى الحماية الجمركية . ذلك أن هذا النوع من الحمـاية يؤدى إلى إثارة ردود إنتقامية ولكننى أعتقـد أن فى وسـع الرئيس أن يقـول للبلاد الأخرى « إنظروا ، إننا نؤمن بالتجارة الحرة ، ولكننا أيضا نؤمـن بالتجـارة العادلة . والآن ، عليكم أن تلعبوا اللعبة على نحو عادل ، كمـا نفعـل » . ويمثل هذه التصريحات ترك ريجان لنفسه مجالا لفرض حصص أو حواجز تجـارية أخرى على بلاد مثل اليابان ، التى يمكن أن تثار ضدها قضية أن سـلعها قـد طردت « على نحو غير عادل » السلع الأمريكية من السوق .

والواقع أن ريجان قد أشار بحـزم إلى أن الحمـاية الجمـركية لن تكون القوة الدافعة الأساسية لسياسته . فهو يؤكد قائلا : « إيمانى الأساسى هو إننا سنغدو أكثر قدرة على المنافسة فى العالم إذا ما أزلنا عن كاهـل الصـناعة فى أمريكا اللوائح الفيدرالية غير الضرورية . ويقدم ريجان معلومات تدعم موقفه هذا عندما يقول : « إن صناعة الصلب تشملها ٥٦٠٠ لائحـة وتخضـع لادارة سبعة وعشرين وكالة حكومية منفصلة . ويضيف أن الكثير مـن هـذه اللوائح تتضـارب مع بعضـها ، ولذا يقول رجال الأعمـال « كيف يمـكننا أن نتبع هـذه اللائحة دون أن ننتهك أخرى » .

وعندما قام ريجان بجولة فى مصنع الصلب المهجور تقريبا ، وهو مؤسسة (جونز) و (لوجلين) فى (يانجستاون) بولاية (أوهايو) ، فى مستهل أكتوبر ١٩٨٠ ، تمسك الى حد كبير باعتقاده بأن اللوائح المفرطة التى تضعها الحكومة هى سبب إنهيار الصناعة . وقال للعمال . « فى إعتقادى أن الأمر واضح بحيث يجعل المرء يستشيط غضبا . وإنى لأشعر بهذا الغضب . ووجه لومه إلى الضوابط المتعلقة بحماية البيئة وغيرها باعتبارها السبب فى اغلاق هذا المصنع وغيره من مصانع الصلب . وأقسم على أن يجعل الحكومة تتراجع عن تدخلها فى صناعة الصلب . وقال انه يعتزم عندما يصبح رئيسا للبلاد أن يناضل من أجل تحقيق لوائح أقل تشددا بالنسبة لكل من الصلب والفحم ، وغيرها من الصناعات . وقال أن الشعب أيضا يؤمن بحماية البيئة » . غير أنه فى مناسبات أخرى ، خفف من موقفه المناهض لحماية البيئة ، على نحو ما فعل فى لوس انجلوس التى تعانى من إمتزاج الضباب بالدخان .

وأما فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية ، فان ريجان ليس متزمتا بشأن الثبات على مبدئه . فلم يوجه اللوم ، أثناء وجوده مع عمال الصلب الذين يشعرون بالقلق ، الى اللوائح الحكومية المفرطة والسياسات الضريبية العقابية فحسب ، وإنما وجهه الى الصلب الرخيص المستورد مما يؤدى إلى طرد عشرات الآلاف من العمال من مصانعهم باعتبارهم سبب المصاعب التى تعانى منها صناعة الصلب . وقد إستبعد الاقتصاديون المؤمنون بالتجارة الحرة فى معسكره مثل هذه الاشارات المؤيدة لغرض الحماية الجمركية باعتبارها زلات لسان عابرة .

وعموما ، يؤمن ريجان بمبدأ التجارة الحرة بقدر معقول من الثبات على الرأى . وقد كرر خلال حملته الانتخابية معارضته لفرض حصص على الواردات وذلك فى مواجهة الضغوط المتزايدة من جانب صناعة السيارات وعمال السيارات الذين يدعون لفرض قيود على استيراد السى رات والجرارات وخاصة اليابانية . وأعلن ريجان فى هذا الصدد « إننا إذا دفعنا شركاءنا التجاريين إلى إتخاذ إجراءات إنتقامية ، فان فرض الحصص على وارداتنا قد يحرم العمال الأمريكيين من أسواق تجارية هامة ، ويقلل الطلب على السيارات الأمريكية الصنع بدلا من أن يزيده » .

وأيا كان الأمر ، فان ريجان يرفض فكرة تقديم بعض المساعدة لصناعة السيارات الأمريكية . ويقترح إرجاء تنفيذ اللوائح التى توضع فى المستقبل ، وإجراء مراجعة للوائح القائمة بخصوص صناعة السيارات ، وتخفيض الضرائب الجديدة لتشجيع إنتاج السيارات الصغيرة ، والغاء قواعد توزيع

البنزين الفيدرالى التى يؤكد أنها أدت الى ظاهرة الطوابير للحصول على البنزين وقللت الطلب على السيارات الأمريكية .

ويقول ريجان أن نمو التجارة الدولية منذ الحرب العالمية الثانية ، قد أسهم فى تحسين مستويات معيشة كافة لشركاء التجاريين . ويضيف « أن أفضل وسيلة لتشجيع النمو الاقتصادى فى المستقبل ، هو أن تستمر فى توسيع نطاق حركة التبادل التجارى مع الأمم الأخرى » . ويؤكد أن الصادرات الأمريكيه توفر ٦/١ عدد وظائف القطاع الخاص فى الولايات المتحدة . وهو يستهدف حماية عدد هذه الوظائف وتوسيع نطاقها ، ليس بتقييد الواردات وإنما بزيادة الاقتراب الأمريكى من الأسواق الخارجية . وهو يهاجم بعنف البلاد التى تفرض حواجز جمركية على صادراتنا وتدعم على نحو غير عادل صناعاتها . « ووعد بالعمل على منع مثل هذه الممارسات التجارية غير العادلة من أن تلحق الضرر بالمنتجين الأمريكيين . غير أنه يعتقد أنه مما يخدم مصالحنا على نحو أفضل ، وكذا مصالح العالم ، أن نسعى بفعالية لتحقيق خفض فى الحواجز التجارية للأمم الاجنبية بدلا من أن نقيم المزيد من الحواجز .

والواقع أن ريجان قد التزم بانتهاج سياسة تنمية نشطة للصادرات . فهو يعتزم باعتباره رئيسا أمريكيا أن يحث زعماء الدول الأجنبية على فتح أسواق بلادهم بحرية أكثر أمام السلع الأمريكية وهو يقول فى هذا الصدد سوف أكون مدافعا قويا ، خلال إجتماعاتى مع رؤساء الدول عن بيع سلعنا فى أسواق البلاد الأجنبية ، وأعطى بذلك للمسائل التجارية ما تستحقه من إهتمام شخصى مباشر منى كرئيس . ويحث ريجان منتجى السلع الأساسية فى طول الولايات المتحدة وعرضها على أن يعملوا لدعم تنمية أسواق ما وراء البحار ، ويصف مثل هذه البرامج بأنها « إشارة لاقتصادنا الحر » ، وهو يحذر من أنه لن يقف مكتوف الأيدى فى الوقت الذى تقدم فيه الحكومات الأجنبية مساعدات للمزارعين فى بلادهم بقصد خفض منتجاتنا فى أسواقهم .

غير أن منهاج ريجان الليبرالى عامة بالنسبة للتجارة الخارجية سوف يواجه عقبات كأداء فى الداخل والخارج على السواء . ففى الداخل تطالب صناعات كبرى مثل صناعة السيارات والصلب بحماية أكبر ، وتؤكد أهميتها للأمن القومى ولمستقبل الولايات المتحدة كقوة صناعية .

ويعرب بعض كبار أصحاب صناعة السيارات ، فى أحاديثهم الخاصة ، عن مخاوفهم من الا يتمكنوا من أن يتنافسوا على نحو فعال مع منتجى السيارات

اليابانية نظرا لأن العمال اليابانيين يعملون معا بحماس ونشاط بينما لا يتقاضون سوى حوالى ٤٠٪ من معدل الأجر الذى يحصل عليه العمال الأمريكيون . كما يرى منتجو السيارات الأمريكيون أنه على حين تفرض الدول الصناعية الأخرى قيودا أكبر على استيراد المنتجات اليابانية ، تستورد الولايات المتحدة من السيارات اليابانية أكثر مما يمكنها أن تتحمل ، مما يعرض صناعة السيارات الأمريكية للضمور ، أو لانخفاض حجمها الى حد كبير على الأقل . ولذلك ، نجد أن منتجى السيارات الأمريكيين الذين من المرجح أن يكون لهم تأثير قوى فى إدارة ريجان من المحتمل أن يضغطوا بشدة من أجل توفير الحماية لصناعتهم سواء كان ذلك من خلال فرض حماية إجبارية أو عن طريق الزام اليابانيين « بضبط نفس » إختيارى فيما يتعلق بتصديرهم للسيارات اليابانية للولايات المتحدة . وسوف تتعرض إدارة ريجان للضغوط مماثلة من جانب صناعات الصلب والالكترونيات وغيرهما من الصناعات التى تعانى من آثار البطالة ، وتضاؤل نموها وطاقتها الانتاجية القصوى على النطاق العالمى .

وفيما يتعلق بالخارج ، نجد الحكومات الأجنبية التى تشعر بنفس النوع من الضغوط فى اتجاه فرض الحماية الجمركية من جانب صناعاتها ونقابات العمال فى بلادنا ، من المرجح أن تقاوم أى تغيير يتسم بمزيد من الليبرالية بالنسبة لتجارتها الخارجية لمجرد أن تقضى على اتهام ريجان الخاص بعدم العدالة فى التبادل التجارى . والواقع أن إتخاذ أية إجراءات انتقامية ضد التمييز التجارى الأجنبى سوف يرتد الى نحر الولايات المتحدة على نحو ما أشار ريجان . ذلك أن تهديد الحماية الجمركية المتزايدة قد إزداد سوءا فى طول العالم وعرضه بسبب تأثير الركود الاقتصادى والتضخم ، وضعف ميزان المدفوعات وقد تكثف تأثير هذه العوامل من جراء الضغط المزمن على امدادات البترول والارتفاع فى أسعار البترول التى تفرضها منظمة البلاد المصدرة للبترول (الاوبك) . وإحدى المهام الكبرى التى تواجه الرئيس ريجان هى تصديه لمثل هذه الضغوط القوية فى اتجاه فرض الحماية الجمركية .

وإذا ما تمسكت إدارة ريجان بالسياسات التجارية الحرة ، فإن عليها أن تنتهج سياسات داخلية من شأنها حفز تحقيق النمو الاقتصادى على الصعيدين الداخلى والدولى على السواء . ولذلك يرتبط تأييد ريجان للتجارة الحرة إرتباطا وثيقا باقتراحه الخاص بخفض الضرائب فى إطار « اقتصاديات

العرض » لتحقيق زيادة فى الحوافز الانتاجية ولرفع معدلى المدخرات والاستثمار القوميين .

لقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية باعتبارها أقوى دولة من الناحية الاقتصادية فى العالم حتى الآن ، وزعيمة للدول غير الشيوعية . وقد اضطلعت بمهمة مساعدة الدول الحليفة لها التى دمرتها الحرب ، وكذا أعداؤها : اليابان والمانيا ، لاعادة بناء إقتصادياتها المدمرة . ولم ينظر الى هذه المهمة باعتبارها عملا ينم عن مجرد حب الغير ومساعدتهم ، وإنما باعتبارها عملا يحقق المصلحة الذاتية المستنيرة للولايات المتحدة ولكن ما هو الخطأ الذى وقع ؟ لماذا تقهقرت الولايات المتحدة عن موقعها ، بينما تتدعم مواقع البلاد الأخرى ؟ .

إن السبب الأساسى لذلك يتمثل فى أن الجهود الاستثمارية القوية قد مكنت البلاد الصناعية ، وخاصة اليابان والمانيا الغربية ، من تحقيق تقدم تكنولوجى أكبر مما حققته الولايات المتحدة . فمنذ عام ١٩٦٠ ، تتراوح النسبة السنوية للاستثمار الداخلى من ١٦ الى ١٨٪ من إجمالى الناتج القومى فى الولايات المتحدة مقارنة بنسبة تتراوح ما بين ٣٢ إلى ٣٤ فى اليابان ، ونسبة تتراوح ما بين ٢٢ و ٢٧ فى المانيا الغربية . والواقع أن معدل الاستثمار الداخلى فى الولايات المتحدة كان طوال العقدين الماضيين أقل من معدل الاستثمار الداخلى فى أى دولة صناعية كبرى .

ولذلك ، كانت سياسة ريجان المالية تستهدف تغيير هذا الوضع لاستعادة القدرة الانتاجية والتنافسيه للصناعة الأمريكية فى ميدان الاقتصاد العالمى . ولذا لم يتردد ريجان فى تأييده لمشروع قانون (كيمب ـ روث) الذى يقضى بخفض ضرائب الدخل الفيدرالى بنسبة ٣٠٪ خلال السنوات الثلاث الأولى لادارته ، بالرغم من النقد العنيف الذى يتعرض له من جانب الكثيرين من الاقتصاديين المحافظين التقليدين بسبب مقترحاته الضريبية التى يحذرون من أنها ستؤدى الى تفاقم التضخم وعلاوة على ذلك ، يعتزم ريجان الضغط على الكونجرس للموافقة على اجراء تخفيضات ضريبية أخرى على المشروعات التجارية ، وخاصة التخفيضات على استهلاك الأجهزة والمعدات .

غير أن ريجان يأمل فى أن يجمع بين الحوافز المالية ، التى يدعو اليها المؤمنون باقتصاديات « العرض » فى معسكره ، مثل جاك كيمب عضو مجلس النواب عن شمال ولاية نيويورك ، والسناتور وليام روث عن ولاية ديلاور والبروفسير أرثر لافير من جامعة كاليفورنيا الجنوبية ، يأمل ريجان فى أن

يجمع بين هذه الحوافز المالية وبين المنهاج المالى والنقدى الأكثر حذرا الذى يؤمن به أقطاب الاقتصاد فى الحزب الجمهورى مثل آلنى جرين سبان وجورج شولتز وآرثر بيرنز ــ والبروفسير ميلتون فريدمان الحائز على جائزة نوبل ، وهم الأكثر تأثيرا فى هذا المجال . وعلى الرغم من أن ريجان أعطى دورا سياسيا أساسيا لهذه المجموعة الأخيرة من الحرس القديم ، لا يزال يصر على أن يقترن الحذر النقدى والمالى بالحوافز المالية التى يدعو اليها مؤيدو اقتصاديات العرض أو الشعبيين .

بيد أن فريقى المستشارين الاقتصاديين لريجان وهما الحرس القديم والشعبيون لا يختلفون على السياسة النقدية الداخلية فحسب ، وإنما يختلفون على السياسة النقدية الدولية كذلك . إذ يؤيد الشعبيون العودة الى قاعدة الذهب واقتران ذلك بوضع أسعار صرف ثابتة بين الدولار (العملات الأخرى) والذهب ، بينما يحذر الحرس القديم من أن مثل هذه العودة الى قاعدة الذهب من شأنها أن تنطوى على مخاطرة جسيمة بالنسبة للبيئة التضخمية الحالية التى تمتد على نطاق العالم بأسره .

وعندما سئل ريجان فى ربيع عام ١٩٨٠ هل يفكر جديا فى العودة الى قاعدة الذهب ؟ أجاب بقوله : « نعم ، إننى أعرف أنها مسألة معقدة أن نعود الى قاعدة الذهب هذه ، ولكننى أتطلع الى قاعدة ذهب من حيث الأمر الواقع . ولنفترض أن الولايات المتحدة حددت موعدا وقالت : إننا نشرع فى إصدار عملة على أساس قيمة الذهب فى الوقت الحاضر فما أن يدرك الشعب أن فى وسعهم أن يحصلوا على دولارات ورقية ويشتروا بها عملة ذهبية لا تنسى القيمة ، فمن المرجح ، مادام الأمر كذلك ، الا يساورهم أى قلق ، مما يؤدى الى إستقرار قيمة الدولار ». ويستند تفكير ريجان هذا ، فيما يبدو ، على ما تضمنته مذكرة أعدها البروفسير لافير . والواقع أن ريجان باعتباره ممثلا سابقا كان يميل فيما يبدو الى أن يردد بسهولة « السيناريوهات » التى تعطى له فهكذا تعلم . ولذلك لم يتجاوز فيما يبدو ، كثيرا ، فهم الكلمات الواردة فى السيناريو .

ولذلك ، ظل ريجان حتى أواخر عام ١٩٨٠ مقتنعا برأى مستشاريه الاقتصاديين الذين يدعون الى العودة الى قاعدة الذهب . فقد وافق ، دون أن يلزم نفسه التزاما كاملا ، بتأكيدهم على أن العودة الى قاعدة الذهب من شأنها أن تحقق الاستقرار فى النظام النقدى الدولى وأن تساعد فى وقف التضخم فى الداخل . ويقول جورج شولتز ، المؤيد لاسعار الصرف المرنة ــ والذى تفاوض بشأنها خلال إدارة نيكسون ــ أن ريجان ظل مهتما على نحو

جاد باحتمال العودة الى قاعدة الذهب . وقد نجح الاقتصاديون المحافظون من الحرس القديم مثل شولتز فى اقناع ريجان ، فيما يبدو ، بأنه طالما كان فى وسع الأمريكيين أن يشتروا الذهب ويبيعوه بحرية ، وطالما يتمتع ملاك الذهب بحرية تحويل الذهب الى عملات ، نكون فى الواقع قد اقتربنا بالفعل من العودة الى قاعدة الذهب . وفى الوقت نفسه ، سيكون من الخطورة للغاية محاولة صياغة نظام رسمى لتثبيت أسعار العملة .

وقد وجد تأييد ريجان لقاعدة الذهب مكانا له فى برنامج الحزب الجمهورى ، وذلك فى مادة وافق عليها بالاجماع أعضاء اللجنة الفرعية للشئون النقدية والمالية التى تتألف من خمسة وعشرين عضوا برئاسة السناتور روث . وإذا كانت المادة لم تذكر كلمة الذهب » ، فانها ربما تضمنت ذلك عندما أعلنت : « أن قطع صلات الدولار بالسلع الأساسية الحقيقية خلال الستينيات والسبعينيات ، من أجل تحقيق أهداف إقتصادية لا تمت بصلة لاستقرار الدولار ، قد أطلق القوى التضخمية العاتية فى الداخل وأشاع الاضطراب النقدى فى الخارج ، دون أن يحقق أيا من المزايا الاقتصادية المنشودة . ولذلك ، تتمثل المهمة الاقتصادية العاجلة فى الفترة القادمة ، تتمثل فى إستعادة معيار نقدى يمكن الاعتماد عليه ـ أى وضع نهاية للتضخم .

وأيا كان الأمر ، فقد قلل ريجان خلال المرحلة الأخيرة من الحملة الانتخابية ، من أهمية التزامة بالعودة الى قاعدة الذهب . فقد قبل ، فيما يبدو ، منطق (جرين سبان) و (شولتز) و (فريدمان) بأنه سيكون من الخطورة للغاية « وضع العربة أمام الحصان » بمحاولة فرض قاعدة الذهب وأسعار صرف ثابتة على الولايات المتحدة وغيرها من ادول قبل تحقيق الاستقرار فى الأسعار العالمية . وأكد الحرس القديم أن تثبيت سعر مرتفع جدا للدولار تبعا لمعايير الذهب من شأنه أن يجعل السلع الأمريكية غير قادرة على المنافسة فى الأسواق العالمية بينما سيؤدى تحديد سعر منخفض جدا للدولار ، الى تدفق ضخم لذهب الولايات المتحدة الى الخارج . وهنا يحذر (جرين سبان) من إحتمال » فقد كل كميات الذهب الموجودة فى (فورث نوكس) بين عشية وضحاها . وقد هدأت هذه التحذيرات ، فيما يبدو ، حماس ريجان الخاص بتحقيق عودة مبكرة للذهب ، ولكن دون أن يثنيه ذلك عن الرغبة فى تحقيق العودة الى قاعدة الذهب فى النهاية . بيد أنه من غير المرجح الى حد كبير ، فيما يبدو الآن ، إن يضغط الرئيس ريجان من أجل العودة الى قاعدة الذهب ، طالما أن بين كبار مستشاريه رجالا مثل (جرين سبان) و (شولتز) و (فريدمان) .

والواقع أن تصعيد ريجان للاقتصاديين من الحرس القديم الى الاضطلاع بالدور الأساسى فى إدارته ــ الى جانب اختياره جورج بوش نائبا للرئيس وهو الجمهورى المعتدل (الذى هاجمه مؤيد وريجان فى البداية باعتباره ممثلا للمؤسسة الليبرالية الشرقية) ــ يشير الى أن ريجان يعتزم أن يكون (براجماتيا) وأن يلعب لعبة سياسات الائتلاف فى البيت الأبيض ، فى الوقت الذى يسعى فيه الى إستعادة تأييد الجناح اليمينى من الحزب الجمهورى ، الذى يرغب عدد كبير منه فى العودة الى قاعدة الذهب .

ولكن من المؤكد أنه يسعى الآن ، فيما يبدو ، الى تجنب الأقدام على إجراء بشأن الذهب قد يسبب أزمة للدولار وللنظام النقدى الدولى . ذلك أنه سيواجه صعوبات جمة فى اقناع البلاد الأخرى بالموافقة على أية خطة لتثبيت أسعار الصرف على نحو جامد . وليس أدل على ذلك من أن الدكتور (اوتمار ايمنجر) الرئيس السابق للبنك المركزى فى المانيا الغربية قد قال : إن تعويم أسعار الصرف جعلها تتحرك صعودا وهبوطا بحرية تبعا للعرض والطلب على العملات ــ قد أتاح تحقيق نمو التجارة العالمية ، بالرغم من الاضطراب الذى أشاعه التضخم على النطاق العالمى وأزمة الطاقة . فقد أسهم تعويم أسعار الصرف فى كبح جماح الحماية الجمركية ، ومكن العديد من الدول الكبرى من القضاء على الضوابط والقيود المفروضة على رأس المال . والواقع أن ريجان يؤيد كافة هذه الأهداف . وفضلا عن ذلك ، يلاحظ (ايمنجر) أنه حينما بذلت محاولات لتحقيق استقرار أسعار الصرف تبعا لمعدلات التضخم المختلفة كما هو الحال فى النظام النقدى الأوربى ، ازداد التضخم سوءا مع إقتران ذلك بانتقال المعدلات المرتفعة فى زيادة الأسعار الى البلاد ذات معدلات التضخم الأقل . والسبب فى ذلك يرجع الى أن انتقال الأموال من بلاد تعانى من معدل تضخم مرتفع الى بلاد تعانى من معدل تضخم منخفض ينزع الى توسيع نطاق عرض الأموال فى البلاد ذات معدل التضخم المنخفض ومن ثم يرفع الأسعار .

وفى الوقت الحاضر ، لا تأتى المعارضة لأسعار الصرف الثابتة ، التى هى الجوهر والمعنى الحقيقى لقاعدة الذهب ، من جانب الاقتصاديين المحافظين مثل (اوتمار ايمنجر) أو (ميلتون فريدمان) فحسب ، وإنما يعارضها بشدة كذلك اقتصاديون ليبراليون مثل (البروفسير بول . صامويلسون) الحائز على جائزة نوبل ، و (البروفسيرب جيمس توبين) وغيرهما من كبار المستشارين الاقتصاديين للادارات الديمقراطية .

وسوف ترتبط السياسة الاقتصادية الخـارجية لادارة ريجـان ارتباطـا وثيقا بسياستها الخارجية وبأهداف الأمن القومى الأمريكى . ويبدو ريجـان أكثر تصميما من كارتر فيما يتعلق بممارسة ضغوط أكبر على أعضاء منظمـة « الأوبك » بقصد دفعهم الى اتخاذ مواقف معتدلة بالنسبة لأسعار بترولهم وأن يستثمروا فـوائضهم فى بلاد العـالم الثالث الفقيرة المسـتوردة للبترول ، اذا ما أرادوا أن تستمر الولايات المتحدة فى تقديم المسـاعدات العسـكرية والفنية والاقتصادية لهم . ومـن المرجـح كذلك أن يكون أكثر فعـالية فى حـث أوربا واليابان على تقديم مساندتهما للجهـد الأمـريكى المصـمم ، لتحقيق ضـمان وصول الدول الغربية الى امدادات البترول فى الشرق الأوسـط وفى غيره مـن بلاد الأوبك .

ولذلك ، قد ينظر حلفاء الولايات المتحدة الى سياسة ريجـان الاقتصـادية والخارجية المتشددة جدا ، ، باعتبارها سياسة قومية مفرطة فى قوميتها وأنها تنطوى على تهديد لمصالحهم . ومـن هنا ، نجـد أن المشـكلة التى سـتواجه الرئيس ريجان تتمثل فى إعادة صياغة سياسة اقتصادية خـارجية وسـياسة دفاعية أكثر فعالية من شأنها أن تجذب التحالف التحالف الغربى صـدمة قـد تزيد من سوء صفوفه المضطربة بالفعل .

والواقع أن ريجان يفتقر الى معلومات عميقـة أو تفصـيلية عن الشـئون الاقتصادية ويتضح ذلك من تصريحاته العامه ومن تقـدير المسـتشارين الذين عملوا معه عن كثب ، ومع ذلك يشير سجل أعماله كحاكم لكاليفورنيا ، الى أن سيكون على استعداد لتعيين مسؤلين أكفاء وتحويلهم السلطة لاداء عملهـم . ومن الأهمية بمكان محاولة تقـدير السـياسات الاقتصـادية المحتملة لادارة ريجان ، عن طريق تجاوز تصريحات ريجان نفسه ، والاهتمـام بتصريحـات مستشاريه الأساسيين . وقد يسر هذه المهمة المجلد الذى نشرته مؤسسة هوفر بعنوان « الولايات المتحدة خلال الثمـانينيات . » والذى شـارك فى إعداده ثلاثة وعشرون خبيرا من المرجح أن يعمل عدد كبير منهم فى إدارة ريجان .

ويؤكد الفصل الأساسى عن السياسة الاقتصـادية الخـارجية ، الذى كتبه البروفسيرج .م . ميير مـن جـامعة سـتانفورد ، أنه يتعين على السـياسة الاقتصادية الخارجية الأمريكية أن تدعم حرية التجـارة وأن تشـجع وضـع خطوط إرشادية عامة للتدخل فى أسعار الصرف من جانب الحكومات القومية ، وأن تعزز دور التمويل الدولى الخاص ، وأن توسع نطاق الفرص المتاحة أمام صادرات البلاد النامية .

ويستحث البروفسير مير الولايات المتحدة على السعى لتحقيق تنسيق سياسى وثيق مع أوربا واليابان والبلاد حديثة التصنيع ، ويجب أن تعمل فى إطار هيكل قوة متعددة الاستقطاب . ويلاحظ البروفسير مير انه لا يمكن تجنب صياغة السياسة الاقتصادية الخارجية . عن طريق حالة الاقتصاد الداخلى . ذلك أنه اذا لم يتسن خفض معدلات التضخم والبطالة ، فان الضغوط ستتزايد من أجل فرض الضوابط على التجارة الخارجية وتحركات رأس المال . ، وعلى العكس من ذلك ، يمكن لاقتصاد عالمى مفتوح قائم على المنافسة أن يساهم الى حد كبير فى تحقيق التوسع الاقتصادى الداخلى . ويبدو أن ريجان قد استوعب تماما هذا الدرس .

لقد كان لاضطراب الاقتصاد الدولى آثار معاكسة بالفعل على الاقتصاد الأمريكي . ولذلك كان على إدارة ريجان أن تسعى لانجاز أهداف اقتصادية داخلية تتمثل فى تحقيق العمالة الكاملة والاستقرار الاقتصادى دون عدم توازن خارجي . غير أن هذا الهدف يبدو فى الوقت الحاضر ، لسوء الحظ ، بعيد المنال مما كان عليه منذ عقد مضى . ذلك أن الأغراءات الآن أكبر ــ ولا تزال تنطوى على مخاطر متزايدة للجوء الى مبدأ القومية الاقتصادية الدفاعية أو نشوب مواجهة بين الشرق والغرب أو الشمال والجنوب .

ويحذر البروفسير مير من أنه يوجد دائما خطر أن يتم التخلى عن تنظيم السلوك الاقتصادى الدولى اما لاجراء بسيط تتخذه إحدى الدول من جانب واحد أو لاختبارات قوة المساومة بين الأمم . ويدعو الى تنسيق سياسى أفضل حتى يمكن تجنب مخاطر القومية الاقتصادية وسياسة المنافسة بين الأمم . ويختتم وجهة نظره بقوله : « والتحليل الأخير ، أن الأمر يقتضى تخفيف حدة التوترات والنزاعات ولكن لا يكون ذلك من جانب السياسة الاقتصادية الأمريكية وحدها ، وإنما من جانب التنسيق السياسى ووحدات اتخاذ القرار .

وفى ظل هذا المنهاج الواسع الخاص بصنع السياسة ، يمكن احراز مزيد من التقدم فى اتجاه إعادة التنظيم الدولى ، وتحقيق استخدام أكبر وعلى نحو كفء لكافة الموارد العالمية .

ذلك أن زيادة توفير الموارد واستخدامها ، سواء كانت موارد بشرية أو مادية ، يعد أمراً هاماً خلال السنوات القادمة لمنع التضخم دون اللجوء الى وجود فترات من الركود الاقتصادى والبطالة المرتفعة . والواقع أن مثل هذه السياسات الخاصة بالنمو الاقتصادى يتعين أن تكون سياسات دولية فى عالم يزداد فيه تكامل الاقتصاد العالمى . ذلك أن دولة واحدة ، حتى لو كانت بمثل

ضخامة الولايات المتحدة . قد تدمر ميزان مدفوعاتها وعمولتها ، ومن ثم تزيد من سوء التضخم فيها ، اذا ماسعت وحدها لتحقيق التوسع الاقتصادى .

ولكن هل يمكن للولايات المتحدة وشركائها أن يتعلموا أن يعملوا مع بعضهم على نحو يحقق لهم مصالحهم المتبادلة ، أو هل تتجه دولة تلو الأخرى الى انتهاج سياسات تتعلق بفرض الحماية الجمركية ، مما يؤدى فى النهاية الى ركود الاقتصاد العالمى وتفسخه على نحو ما حدث خلال الثلاثينيات ـ مع ما يقترن بذلك من عواقب مدمرة على السلام العالمى ؟ إن هذه هى قضية الحياة والموت التى تواجه الرئيس ريجان وإدارته الجديدة .

وقد عرض مستشارو السياسة الخارجية لريجان التزامه بزيادة القدرات الدفاعية للولايات المتحدة لا باعتباره عبئا على أداء الاقتصادى الأمريكى ، وإنما باعتباره وسيلة لتعزيز الدور الاقتصادى للولايات المتحدةفى الخارج . ويؤكدون أنه إذا لم تتدعم الثقة فى قدرة الولايات المتحدة باعتبارها حليفا عسكريا قويا ، وخاصة فى مواجهة الاتحاد السوفييتى ، فان بلدان أوربا الغربية وآسيا سيكون أقل استعداد على نحو مضطرد للموافقة على تقديم تنازلات اقتصادية وغيرها من أجل تحقيق المزيد من حرية التجارة ، أو أن يسيروا وراء الولايات المتحدة فى المطالبة بتوفير امكانية الوصول الى امدادات الطاقة والمواد الأولية . ويرى مستشارو ريجان أن افتقار البلاد الأخرى الى الايمان بالقوة العسكرية والسياسية الأمريكية سيجعلها تحجم عن المشاركة فى تكاليف الدفاع الجماعى ، وعن تنظيم علاقاتها الاقتصادية مع البلاد النامية والشيوعية على نفس أسس تنظيمها مع الولايات المتحدة .

والواقع أن ريجان يبدى اهتماما فائقا بتدعيم الولايات المتحدة من الناحية العسكرية ، ولا يظهر أى دليل على القلق من أن الانفاق الدفاعى المتزايد والمرتفع قد يضعف الأداء الاقتصادى الأمريكى ، عن طريق تحويل الموارد من مجال الاستخدامات المدنية حيث يمكن أن تعزز القدرة الانتاجية الأمريكية ، الى الاستخدامات العسكرية التى قد تزيد من الضغوط التضخمية .

وقد تؤدى الجهود التى تبذلها إدارة ريجان لتكثيف الضغوط التى تمارسها الولايات المتحدة وحلفاؤهما على البلاد الشيوعية والبلاد المنتجة للبترول ودول العالم الثالث ، الى المخاطرة بازدياد علاقات الولايات سوء الامع هذه الكتل فحسب ، بل مع أوروبا الغربية واليابان كذلك . واذا لم تعالج هذه المسألة بمهارة فائقة ، فان حلفاء الولايات المتحدة قد يعتبرون سياسة ريجان الخارجية والاقتصادية المتشددة للغاية سياسة قومية متطرفة .

الأسلحة والانسان

بقلم : ريتشارد بيرت

كانت الساعة العاشرة صباحا فقط ، غير أن أحد مساعدى جيمى كارتر فى البيت الأبيض كان يجلس مكدودا فى مقعده وقد بدت عليه إمارات التعب والاكتئاب . وكان التاريخ هو ٢٥ ابريل ١٩٨٠ . وكان الرئيس كارتر قد أدلى ببيان موجز ، قبل ذلك بثلاث ساعات فقط ، أبلغ فيه الأمة الأمريكية أن مهمة جسورة لارسال كوماندوز الى طهران لانقاذ الرهائن الأمريكيين البالغ عددهم ثلاثة وخمسين رهينة قد انتهت بفشل مروع فى مكان ما بالصحراء الايرانية ولايزال الكثير من التفاصيل المتعلقة بهذه المهمة الفاشلة غير واضحة . وكان على الجمهور أن يشاهد على شاشات التليفزيون حطام الطائرات الهليكوبتر التى التهمتها النيران . ورغم ذلك ، لم يعرب المسئول المرهق فى البيت الأبيض الا عن شكوك ضئيلة حول احتمال التأثير السياسى لمهمة الانقاذ الفاشلة هذه على مستقبل كارتر . ولذلك « كان الدفاع القومى قد أصبح أكبر قضية مثارة فى عام ١٩٨٠ ، على نحو لم تشهده أية حملة انتخابية فى التاريخ الحديث وخاصة بعد تأكيد ريجان وغيره من الزعماء الجمهوريين أن الولايات المتحدة غدت قوة من الدرجة الثانية . وكان من شأن مهمة الانقاذ الفاشلة أن تقنع الكثيرين بأن ريجان على صواب فيما يقوله .

وبعد ذلك بسبعة أشهر ، أثبتت صناديق الاقتراع ما تنبأ به ذلك المسئول فى البيت الأبيض . وفى الوقت الذى كان بدأ فيه هو وزملائه إنهاء واجبات عملهم ، كان فريق جديد من المتخصصين فى شئون الأمن القومى يتأهبون للانضمام للحكومة ، وكانوا جميعا يأمنون بضرورة إستعادة هامش الأمن للدفاعات الأمريكية . أما فى وزارة الدفاع ، فقد كان يوجد شعور بالبهجة لا يمكن اخفاؤه بين كبار الضباط الذين أعربوا عن قلقهم ، خلال الحملة الانتخابية للرئاسة ، تجاه حالة الاستعداد العسكرى الأمريكى . وفى الوقت نفسه ، أسفر انتصار ريجان بالنسبة لحى المال بـ (وول ستريت) عن زيادة فى أسعار الطائرات وغيرها من المعدات والأجهزة الدفاعية المتصلة بها .

والواقع ، أنه فى ضوء ادراك طبيعة الأحداث بعد وقوعها بعد انتخاب ريجان ذروة لتحول فى الرأى العام على امتداد عقد من الزمان فى اتجاه الانفاق الدفاعى والقوة العسكرية الأمريكية . ففى مستهل السبعينيات ، وفى ظل إشتراك الولايات المتحدة فى عملية مؤلمة هى فك من حرب فيتنام ، إنخفضت الميزانية الدفاعية لأول مرة منذ الخمسينات . وقد دعا الرئيس فورد الى زيادة كبيرة فى الانفاق العسكرى فى ميزانية ١٩٧٦ ، غير أن الناخبين إختاروا جيمى كارتر الذى خاض حملته الانتخابية على أساس وعده بخفض ميزانية وزارة الدفاع (البنتاجون) خمسة مليارات من الدولارات على الأقل ، وهو وعد لم يستطع الوفاء به . أما ريجان فقد خاض حملته الانتخابية على أساس الدعوة الى إعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية ، وقد إستفاد بذلك من الحالة النفسية الجديدة التى لم تشكلها حرب فيتنام ، وإنما شكلتها أزمة الرهائن الامريكيين فى ايران والغزو السوفييتى لأفغانستان ، والاضطرابات التى تعم أمريكا الوسطى .

وعلى العكس من جيمى كارتر ، كان رونالد ريجان يشجع بوضوح القوة العسكرية . إذ يؤمن ريجان ، الذى كان واحدا من العسكريين القدماء أبان الحرب العالمية الثانية (حيث عمل فى كوماندوز مدينة كاليفر ، وهى أول وحدة سينمائية تابعة لسلاح الطيران) ، يمثل ما يؤمن به الكثيرون من جيله ، من أن القوة العسكرية شرط أساسى لاقرار السلام . ذلك أنه كان من الممكن تجنب هتلر والهجوم اليابانى على بيرل هاربور وغزو كوريا الجنوبية لو أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها قد أبقوا دفاعاتهم فى حالة طيبة . وهكذا كان يوجد قدر ضئيل من تكافؤ الندين بشأن القوة العسكرية الأمريكية وهو الأمر الذى نما خلال عصر فيتنام وشكل فيما يبدو وجهة نظر كارتر عن العالم . ذلك أن كارتر باعتباره مهندسا كان يعمل على غواصة نووية ، فقد طبق منهجه العسكرى على المشكلات العسكرية بحماس دينى من أجل الحد من سباق التسلح مع موسكو من خلال المفاوضات . أما ريجان فقد كان ما قال اصدقاؤه المقربون يثق فى تقدير العسكريين المحترفين ، ومن ثم يؤمن بأن الكثير من أخطر الأخطاء الاستراتيجية التى وقعت فيها الأمة ، وفى ذلك حرب فيتنام ، ينبع من محاولات « نظم التحليل » المدنية فى وزارة الدفاع وجماعات التفكير الخاصة التى استهدفت تجريد الدور القوى للعسكرية الأمريكية . وفى الوقت نفسه ، قال ريجان مراراً وتكراراً ، أن وزارة الدفاع قد وثقت الى حد كبير فى محادثات الحد من الأسلحة بينما تفوق الروس ، المرة تلو المرة بالحيلة والدهاء على الدبلوماسيين الأمريكيين السذج خلال المفاوضات .

ولكن على حين حصل ريجان على تفويض من الشعب بتعزيز القوة العسكرية الأمريكية ، لم يتضح بعد كيف يتسنى له تنفيذ ذلك بسهولة أو بسرعة . إذ أن التزامات ريجان بشأن خفض الضرائب وتقليل الانفاق الحكومى ، يصطدم مع هدفه الخاص بانفاق المزيد على الدفاع . ورغم ذلك ، اذا ما وجد المستشارون الاقتصاديون لريجان الوسيلة التى تمكنهم من زيادة ميزانية الدفاع ، فان ريجان ومستشاريه لشئون الأمن القومى سيواجهون مهمة مروعة مماثلة وهى تحديد كيفية توزيع الأموال الاضافية ، لدعم القوات النووية الاستراتيجية ، وتجهيز الجيش والبحرية للقتال فى الخليج الفارسى أو زيادة مرتبات الجيش لحث المتخصصين الفنيين من كافة الخدمات على الالتحاق به .

وقد تحدث ريجان ومساعدوه خلال الحملة الانتخابية عن عدد قليل من هذه الأسئلة الصعبة ، غير أنهم آثروا بدلا من التركيز عليها التركيز على ما أسماه ريجان « درس التاريخ » وهو أن الأمم العظيمة وحدها هى التى يتوافر لديها القوة اللازمة للذود عن بقاء مصالحها . غير أن هذا كان بمثابة العزف على الوتر الحساس لدى الناخبين الذين أصبحوا يشعرون بالقلق تجاه المكاسب العسكرية السوفيتية وتزايد المشاكل داخل المؤسسات الدفاعية الأمريكية فقد خلق تزايد الاستعدادات العسكرية السوفيتية عددا من التحديات العسكرية الجديدة بالنسبة للغرب . فقد جعل الغزو السوفيتى لافغانستان ونمو اسطول طائرات وسفن الشحن المخططين العسكريين يشعرون بقلق عميق بشأن ضمان وصول إمدادات البترول من السعودية وغيرها من دول الخليج الفارسى ، وقد أدى استحداث موسكو لجيل جديد من الصواريخ عابرة القارات ذات قدرة دقيقة للغاية فى اصابة الهدف ، وخاصة الصاروخ « الثقيل » طراز إس . اس . ـ ١٨ ، الى جعل صواريخ مينيوتمان الألف التى توجد فى حوزة السلاح الجوى الأمريكى عرضه للاصابة ، وذلك لأول مرة بالنسبة للضربة النووية السوفيتية الأولى وفى الوقت نفسه ، الغى نشر موسكو للصواريخ الجديدة المتوسطة المدى والقاذفات وتوجيهها ناحية أوروبا الغربية الميزة الامريكية التقليدية التى كانت تتمتع بها فى هذه المنطقة . وقد تصادف ظهور هذه المشكلات مع وجود عدد من الاتجاهات التى تبعث على القلق داخل المؤسسة الدفاعية الأمريكية وهى : ارتفاع تكلفة تجنيد القوى البشرية والحفاظ عليها ، والأخذ بنظام المتطوعين بالنسبة لكل قوات الجيش ، الأمر الذى يستنزف الأموال اللازمة لبرامج الأسلحة الجديدة وتزايد تعقيد الأسلحة الحديثة مما أدى الى ظهور مشاكل تتعلق بصيانة هذه الأسلحة وقلل من حالة

الاستعداد ، وانكماش القاعدة الصناعية اللازمة للانتاج العسكرى مما وضع حدودا على هذا الانتاج في حالة الطوارىء القومية .

وقد بدأ جيمى كارتر ، فى منتصف فترته الرسمية ، فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لعلاج هذه المشاكل . وأرتبط إرتباطا قوميا بالتوصل الى معاهدة جديدة للحد من الأسلحة النووية الاستراتيجية ، ورغم ذلك وافق على خطة السلاح الجوى تقضي بتطوير الصواريخ المتحركة من طراز « ام أكس » وتقدر تكلفته بـ ٣٣ مليار دولار ، وتستهدف التصدى لتهديد الضربة السوفيتية الأولى . ودعا كارتر ، فى أعقاب الغزو السوفيتي لأفغانستان وزارة الدفاع الأمريكية االى تشكيل قوة انتشار سريع قوامها ١٠٠ الف جندى من وحدات الجيش والبحريةالقائمة ، حتى يمكن استخدامها فى الأزمات التى تنشب فى المستقبل فى الشرق الأوسط . وردا على الاستعداد النووى السوفيتى فى أوربا ، حث كارتر دول شمال حلف الأطلنطى على قبول خطة أمريكية بشأن انتشار صواريخ كروز الأمريكية فى المانيا الغربية وأربع دول أخرى .

غير آن الجيل الجديد من المستشارين الدفاعيين الملتفين حول ريجان كانوا يرون ان استجابات كارتر هذه ضئيلة جدا وجاءت بعد فوات الأوان بكثير . ولعل (وليام ر . فان كليف) خير نموذج لهذا الجيل الجديد من المستشاريين . وهو متحدث شديد المراس ، ويبلغ من العمر خمسة وأربعين . وكان ضابط بحرية سابق . ويقوم الأن بالتدريس فى جامعة كاليفورنيا الجنوبية . والواقع أن (فان كليف) لينتقد السجل الدفاعي لفريق كارتر فحسب ، وإنما تساوره الشكوك كذلك تجاه السياسات التى انتهجت خلال عهد نيكسون ، وفورد ، عندما كان هنرى كسينجر وزير الخارجية يسعى الى أن يرتكز الوفاق مع موسكو على اتفاقات للحد من الأسلحة . ويعتقد (فان كليف) الذى عين عضوا فى قوة عمل فى وزارة الدفاع المعنية بمباحثات الأسلحة الاستراتيجية فى أوائل السبعينات ، أن كيسنجر قد فكر على نحو خاطىء فى أن اتفاقيات الحد من الأسلحة من شأنها أن تجمد الاستعداد العسكرى السوفيتي . وقد قال (فان كليف) مؤخرا « أن لدينا خبرة عقد من الزمان بمباحثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية (سولت) والواقع أن الأهداف والأمانى التى راودتنا عام ١٩٧٦ . لم تتمخض عن أى شىء . بل أن الاتجاهات كانت معاكسة ، أى فى اتجاه تزيد عدم الاستقرار ، ونحو التفوق السوفيتي لا تحقيق التكافؤ . لقد كانت فى اتجاه الحاجة الى إنفاق المزيد من الأموال على القوات الاستراتيجية ، واقترنت بسلوك سوفيتى أكثر عدونية وتشددا .

ويتحدى (فان كليف) وغيرة من المتخصصين فى شئون الدفاع من فـريق ريجان البرنامج الدفاعى لكارتر من الناحيتين الفلسفية والفنية . ولعل الأمـر الأكثر أهمية فى هذا الصدد هو اعتقادهم ، كما يقول (فان كليف) بأن موسكو قد بدأت السعى الحثيث لتحقيق تفوقها العسكرى . ويؤكدون أن موسكو ، التى تفتقر الى أى إيمان بتحقيق تكافؤ عسكرى مـع الولايات المتحـدة ، لا يمـكن إثناؤها عن الاستمرار فى استعدادتها العسكرية المضطرده الا بتهديد يتمثل فى استجابة عسكرية أمريكيه أكبر .

وقد أدى المفهوم القائل بأن موسكو مصممة على تحقيق التفوق العسكرى الى توصل ريجان وفريقه الى الايمان بضرورة ألا يثنى الولايات المتحـدة أى شىء عن تحقيق نفس الهدف . وقد تساءل ريجـان فى خـطبه القـاها فى الفيلق الأمريكى فى اغسطس ١٩٨٠ . « منذ متى كان من الخطأ أن تكون أمريكا القوة العسكرية الأولى ؟ كيف يكون التفوق العسكرى أمرا خـطيراً ؟ » وفضـلا عن رفض مفهوم التكافؤ العسكرى مع موسكو ، تتصور سياسة ريجان الدفـاعية دورا عالميا للقوات المسلحة الأمريكية . وعلى سبيل المثال ، تقول ورقـة عمـل سرية تم إعدادها لريتشارد (آلن) أحد كبار مستشارى الأمن القومى فى فريق ريجان خلال الحملة الانتخابية : « طالما لا تضطلع الولايات المتحدة بالمسئولية العالمية عن اقرار السلام والاستقرار ، لا توجد منطقة فى العالم تتجاوز مجـال المصالح الأمريكية اذا ما خضعت أو تعرضت لنفوذ قوة معـادية تهـدد الأمـن الأمريكى » .

وتتضمن ورقة العمل السـياسى التى أعدت بعنوان « دليل اسـتراتيجى » مبادىء أخرى لصياغة السياسة الدفاعية الأمريكية التى تمثل تحولا هاما عن المفاهيم الحالية :

● يتعين على الولايات المتحدة أن تستكشف امـكانية الدفـاع ضـد أى هجوم نووى عن طريق الاستثمار بكثافة فى مجال الدفاع المدنى وأحياء برنامج بناء الصواريخ المضادة للصواريخ . وتقـول ورقـة العمـل السـياسية « أن الولايات المتحدة لا يمكن أن تقبل الامتناع الدائم عن حماية مواطنيها من أثار الهجوم النووى » .

● يتعين على الولايات المتحدة أن تسـتهدف ضرب أهـداف عسـكرية فى الاتحاد السوفيتى فى وقت الحرب لا فى أهداف مدنية ، وذلك حتى لا يقوم الردع المتبادل على أساس قدرة الأسلحة النووية على قتل الملايين مـن الأمـريكيين والروس .

● لا ينبغى قبول المكاسب العسكرية السوفيتية فى أفغانستان أو فى أوربا الشرقية على أنها حقيقة تاريخية دائمة .

● على الرغم من أن الولايات المتحدة تضطر ، فى مناسبات معينة ، الى الاعتماد على القدرات العسكرية للبلاد الحليفة ، لردع السوفيت ، لا ينبغى لامكانية توافر دعم الدول الحليفة أن تعرقل العمل الأمريكى دفاعا عن المصالح الأمريكية .

والواقع أن هذه خطوط ارشادية عامة ، وأن الأمر سيستغرق بضع سنوات حتى نرى ، ما اذا كانت إدارة ريجان أحرزت أى تقدم فى تطبيقها ؟ وفى الوقت نفسه ، سوف يواجه ريجان وفريق دفاعه مجموعة من القضايا العسكرية المحدده الأكثر الحاحا . وببساطة ، يعتبر أكثر قرار دفاعى مثير للجدل (ومكلف للغاية) اتخذه كارتر ، هو موافقته على إنتاج الصاروخ المتحرك من طراز أم . اكس . وكانت خطة كارتر تقضى بتحريك حوالى ٢٠٠ صاروخ ضخم مزود كل منها بعشر رؤوس نووية متعددة ، على جرارات عملاقة على طول شبكة من الطرق والممرات المعقده حتى تتم أقامتها فى مناطق نائية فى (أوتا) و (نيفادا) كما تقضى بأن تتناثر على طول هذه الطرق من ٤٠٠ الى ٥٠٠ مخبأ من الأسمنت المسلح حتى يمكن استخدامها لاطلاق هذه الصواريخ وبذلك لا تستطيع موسكو تحديد مكان القوة الصاروخية هذه ، نظرا لتحرك عدد من الصواريخ الـ ٢٠٠ من طراز ام . اكس . أو اختفاء البعض الأخر فى مخابىء خرسانية ، ومن ثم سوف تشعر موسكو لدى نشوب أى أزمة ، بالاحباط أزاء محاولة القيام بهجوم « الضربة الأولى » . ويريد السلاح الجوى البدء فى توزيع نشر الدفعه الأولى من صواريخ أم . أكس بحلول عام ١٩٨٦ ، غير أن هذا النظام الصاروخى يتعرض بالفعل لهجوم عنيف من جانب الخبراء الذين يزعمون أنه نظام غير فعال ، وكذا من جانب السكان فى (أوتا) و (نيفادا) الذين يشعرون بالقلق تجاه تأثير هذه الصواريخ على البيئة .

ويؤيد (فان كليف) وغيره من كبار مساعدى ريجان فى الشئون الدفاعية تأييدا كاملا البرنامج الخاص ببناء صواريخ أم . أكس . الجديدة ، نظرا لأن الرؤوس النووية المركبة فوق الصاروخ ستكون دقيقة بما يكفى لتدمير الصواريخ السوفيتية الرابضة على الأراضى . غير أنهم يؤكدون أن النظام الحالى لصواريخ مينيوتمان الخاص بالسلاح الجوى يعد بالفعل عرضة

للاصابة اذا تعرض للهجوم ، ولذلك لا يمكن الولايات المتحـدة أن تنتظـر حتى نهاية العقد عندما يتم نشر صواريخ أم . أكس .

ويرى (فان كليف) و (سكوت تومبسون) ، وهومستشار أخر لريجان فى شئون الدفاع ، فى كتاب نشر فى العـام الماضى بعنوان « خيارات اسـتراتيجية لأوائل الثمـانينات » . أن التحليلات الموضـوعية تبين بوضـــوح أنه فى بداية الثمانينات ستتفوق أمكانيات القوة النووية الاستراتيجية السوفيتية الشـاملة على قوة الولايات المتحدة فى هذا المجال . ومما يثير مزيدا مـن القلق أن هـذه التحليلات تكشف عن وجود عدم تكافؤ كبير فى صالح الاتحاد السوفيتى فيمـا يتعلق بالقدرة على القتال والبقاء والانتصار واسترداد مقومات الحياة والقوة فى حالة نشـوب حـرب نووية . وبناء على ذلك ، يدعوا المؤلفـان الى اجـراء ترتيبات وتنظيمات سريعة فيمـا يتعلق بالترسـانة الاسـتراتيجية المعـرضة للاصابة الى حد كبير .

وقد أيد ريجان الكثير مـن الأفـكار التى اقترحهـا (فـان كليف) و (تومبسون) ، وتجرى الأن مناقشتها بجدية فى وزارة الدفـاع (البنتاجـون) وبينما يتجه السلاح الجـوى الى تنفيذ برنامـج نشر الصـواريخ أم . أكس . يدرس امكانية وضع بضعة مئات مـن صـواريخ مينيوتمـان على جـرارات وتحريكها حول سلسلة من المخابىء السرية . كما تجـرى دراسـة مقترحـات بشأن تحريك الطائرات من طراز ب ــ ٥٢ ، التى يخشى من تعـرضها المتزايد للاصابة (من الصواريخ السوفيتية) ، مـن قـواعدها الموجـودة على طـول الشواطىء الشرقية والغربية للولايات المتحدة الى قواعد داخـل عمـق البلاد . ويوجد كذلك عدد من المشروعات الخاصة بزيادة انتاج صواريخ (كروز جـو ــ جو) الجديدة ، وبدأ برنامج لقاذفات يقودها طيارون . وبناء مواقع للصواريخ المضادة للصواريخ حول المنشأت العسكرية الاساسية فى البلاد .

وفيما يتعلق بالقـوات الجـوية والبحـرية والبرية ، التقليدية تبنى خبراء ريجان فى الشئون الدفاعية الاسـتراتيجية الحـربية المسـماة بأسـتراتيجية الحرب ونصف الحرب التى انتهجها ريتشارد نيكسون منذ عقد مضى وواصلها جيمى كارتر . وتقضى هذه الاستراتيجية بأنه ينبغى على الولايات المتحـدة أن تمتلك قوات كافية بحيث يتسنى لها أن تخوض حـربا واسـعة النطـاق ضـد الاتحاد السوفيتى فى أوربا ، فى الوقت الذى تتوافـر لدية فيه قـوات اضـافية لخوض حرب على نطاق أصغر ، فى مكان مـا بالعـالم الثالث . غير أن فـريق ريجان يؤمن بأن الولايات المتحدة قد تجد نفسها خـلال الثمـانينات تخـوض حروبا فى عدد من المناطق فى نفس الوقت ــ فى أوربا ، والخليج الفارسى ، وشرق

آسيا ، وبالقرب من الوطن فى الكاريبى وأمريكا الوسطى وبناء على ذلك ، دعا بعض مستشارى ريجان مثل (راى كلين) من مركز (جورج تاون) للدراسات الدولية والاستراتيجية الى توسيع نطاق نظام التحالفات الغربية ـ وفى ذلك حلف شمال الأطلنطى والشرق الأقصى واستراليا وغيرها التى من شأنها أن توفر للولايات المتحدة وللدول المماثلة لها فى الرأى والتفكير ، القدرة على التصدى للتهديدات العسكرية على الصعيد العالمى .

غير أن مثل هذا التحالف يعد أمر بعيد التحقيق . ولذلك يؤكد ريجان ومستشاروه على ضرورة أن تتحمل الولايات المتحدة ، فى المدى القصير المسئولية الأساسية فيما يتعلق باقرار السلام وخاصة فى مناطق العالم الثالث المضطربة . ومن ثم ينتقدون بشدة قرار كارتر بشأن تشكيل قوة الانتشار السريع المخصصة للاستخدام فى العالم الثالث من أفراد القوات القائمة ، ويرون أن هذا القرار ليس قرارا ايجابيا وليس من شأنه أن يؤدى الغرض المطلوب . وبدلا من ذلك ، أكد فريد عمل جمهورى فى تقرير قدمه لريجان فى الصيف الماضى ضرورة إجراء زيادة ضخمة فى القوة التقليدية الأمريكية حتى تتمكن الولايات المتحدة من مواجهة القدرة السوفيتية المتزايدة والجديدة على ارسال قوات الى مناطق هامة لا تدافع عنها فى الوقت الحاضر الولايات المتحدة وحلفائها .

ويقول فريق العمل ، الذى كان يرأسه الجنرال المتقاعد أدوارد رونى ، وهو ممثل عسكرى سابق فى مباحثات الأسلحة مع موسكو إن الولايات المتحدة فى حاجة الى ٢٠٠ سفينة حربية اضافية ، وخمس فرق عسكرية جديدة ، و ٩ أسراب جوية تكتيكية أخرى . ولم يذكر التقريب تكلفة هذه القوات الاضافية ، غير أن دراسة مماثلة أعدتها عام ١٩٧٩ لجنة الخطر الراهن ـ وهى جماعة خاصة تربطها علاقات وثيقة بريجان ـ قالت أن وزارة الدفاع ستحتاج خلال السنوات الخمس القادمة ، الى ٢٠٠ مليار دولار بالاضافة الى تقديرات الانفاق العسكرى التى وافقت عليها إدارة كارتر .

وتكمن المشكلة الأن بالطبع فى كيفية تدبير الأموال اللازمة للانفاق على القوات التقليدية والاستراتيجية الجديدة . وقد ظهرت حساسية فريق ريجان تجاه هذه مسألة عند نهاية الحملة الانتخابية عندما أعلن (فان كليف) للصحفيين أن على الحكومة أن تبحث احتمال انفاق أكثر من ٧٪ من إجمالى الناتج القومى للبلاد على الدفاع (ينفق الآن أقل قليلا من ٥٪ من إجمالى الناتج القومى على الدفاع) . وقد بادر وليام كاسى رئيس الحملة الانتخابية

لريجان ، فور اطــلاعه على تصريح (فــان كليف) بأعلان أن (فــان كليف) لم يكن يتحدث باسم ريجان فى هــذا الشــأن . غير أن معـظم المتخصصـــين العسكريين من فريق ريجان قد أعترفــوا فى أحــاديثهم الخــاصة بأن (فــان كليف) ربما كان على صواب فى تقديره . ذلك أن الوفاء بالأهداف العســكرية التى جرى الحديث عنها أبان الحملة الانتخابية تقتضى زيادة الميزانية الدفاعية عشرات المليارات من الدولارات خلال السنوات القادمة .

غير أن إحدى العقبات الواضــحة التى تعترض ميزانية الدفــاع تتمثل فى تصميم المستشارين الاقتصاديين لريجان على التحكم فى الانفاق الحــكومى . وعلى الرغم من أن رجالا مثل (كاسبر واينبرجر) و (وليام سيمون) قد ذكروا أنه ينبغى زيادة الانفاق العسكرى ، على الرغم من ذلك توجـد بالتأكيد فجــوة بين الطريقة التى يفكرون بها بشأن امكان تحمل الأمة مثل هذا الانفــاق وبين أرقام ميزانية الدفاع التى يعتقد فريق مستشارى الدفــاع لدى ريجــان أنهــا ضرورية كما ينبغى أن ندخل فى الاعتبار الحقائق السياسية . ففى الوقت الذى يود فيه المحافظون فى فريق ريجان تقليل دور الحــكومة فى توفير المســاعدات المالية لخدمات الصحة والتعليم وغيرهما ، يقر الجزء الأكثر براجماتية منهــم بأن أفضل ما يمكن عمله فى هذا الشأن هو الحد من زيادة الانفاق .

غير أن حتى اذا تمكن المستشارون الاقتصاديون من وضع صيغة سحرية من شأنها السماح بزيادة الانفــاق العســكرى ، الى حـد كبير ، فــأن الموارد الجديدة المخصصة للدفاع من المرجح أن ينفق معظمها على أفراد الجيش بدلا من أن تنفق على أسلحة جديدة ووحدات جديدة ويرجح ذلك الى فشــل نظــام التطوع الكامل الذى يتم بناء عليه تشكيل القوات المسلحة إذ يواجه هذا النظام الذى أنشأه ريتشارد نيكسون فى الأيام الأخيرة من الحــرب الفيتنامية ، عددا من المشاكل العويصة فبالنسبة للقوات العاملة ، تتعلق المشــكلة بنوعية هــذه القوات ، وهى مشكلة تزداد سوءا فقد اشارت أحصائيات الجيش عام ١٩٧٥ الى أن ٣٢٪ من المتطوعين الجدد أقل من المستوى القــومى بالنســبة للقــدرة العقلية وقد بلغت نسبة هذه الفئة ٦٠٪ تقريبا عام ١٩٧٩ . أما بالنسبة للقوات الاحتياطية فأن المشكلة تتعــالق بالتجنيد . إذ تبلغ القــوة الحــالية لقــوات الاحتياطى المستعدة للقتال أقل من ٤٠٠ ألف جندى وبذلك يقل عددها حــوالى ٢٧٥ الف جندى عما وافق علية الكونجرس وعن احتياجات وزارة الدفاع .

وإذا ما كانت مشكلة تجنيد الأشخاص فى القوات المســلحة تعـد مشــكلة

خطيرة ، فان مشكلة ابقائهم يعتبر أكثر سوءا . وليس أدل على ذلك من أن أقل من ١٠٪ من المجندين فى السلاح البحرى قد وقعوا على بقائهم مدة أخرى . وذلك فى الوقت الذى تذكر فيه البحرية أنها فى حاجة الى أكثر من ٢٠ الف ضابط مدرب ، وأنه لا يوجد لديها سوى ٦٥٪ من عدد الملاحين اللازمين لقيادة حاملات الطائرات التابعة لها .

والواقع أن الجمهوريون لا يغفلون عن هذا الوضع . فقد صرح السناتور جون تاور ، الرئيس الجديد للجنة الخدمات المسلحة فى مؤتمر صحفى عقده فى نوفمبر ١٩٨٠ ، بأن معالجة ورطة القوى البشرية اللازمة للجيش ستحتل الأولوية بالنسبة لأعمال لجنته . وحل هذه المشكلة بسيط فهو يتمثل فى توفير المال . وقد دعا الجنرال روى ، فى تقرير قدمه لريجان خلال الحملة الانتخابية ، الى زيادة قدرها ١٧٪ فى مرتبات الضباط والمجندين كما دعا ريجان الى إعادة المزايا التعليمية الواردة فى القانون الخاص بالمجندين وقال انه يتعين أن ترتبط مرتبات العسكريين بالأسعار ، فاذا ما إرتفعت الأسعار بنسبة ١٪ مثلا فينبغى زيادة مرتبات العسكريين بنفس النسبة .

غير أن مشكلة تحديد الأولويات العسكرية بين القوى البشرية فى الجيش وبين القوات الاضافية تعد مشكلة صعبة . وحتى اذا ما تمكن ريجان ومستشاروه العسكريين من التوصل الى تحقيق التوازن بين هذين الأمرين ، فأنهم لا يزالون يواجهون خيارات مؤلمة أخرى . ومن أكثر الخيارات صعوبة كون وزارة الدفاع يتعين أن تركز على شراء الأسلحة التقليدية أو النووية . فخلال الخمسينات اختارت إدارة أيزنهاور بناء الترسانة النووية للبلاد غير أن هذه الاستراتيجية قد تغيرت أبان فترة تولى كيندى السلطة ، فقد أمر ببناء الدفاعات التقليدية تبعا لمبدأ وزارة الدفاع الخاص « بالرد المرن » .

وإنتهجت إدارة كارتر هذا السبيل الى حد كبير ، حيث أكدت أهمية القوة غير النووية ، وبدأت عام ١٩٧٧ فى تحسين القوات الجوية والبرية فى أوربا الغربية . وفى الوقت الحاضر يتعين على إدارة ريجان أن تحدد أولويات فى هذا الصدد . وقد ركز بعض المفكرين العسكريين فى فريق ريجان ، مثل (فان كليف) ، على ضرورة أدخال تحسينات على القوات النووية حتى يتسنى تقليل تعرض الصواريخ والقاذفات للاصابة المحتملة فى حالة التعرض لهجوم مفاجىء . ورغم ذلك ، وفى الوقت نفسه ، دفعت قدرة موسكو المتزايدة على تهديد مناطق حيوية مثل الخليج الفارسى ، مفكرين عسكرين أخرين مثل (الجنرال رونى) الى التأكيد على ضرورة توفير وحدات جوية وبحرية وبرية

اضافية . وعلاوة على ذلك توجد إختيارات أخرى فى مجال القـوات التقليدية .
فعلى الرغم من أن القوة الدافعة الأسـاسية وراء البرنامـج الدفـاعي لكارتر كانت تتمثل فى تعزيز حلف شـمال الأطلنطـى ، على الرغم مـن ذلك يعتقـد المفكرون العسكريون الجمهوريون أن اهتمام كارتر هذا كان خاطئا . وبداية ، يؤكدون أن الحكومات المتحالفة فى أوربا الغربية ، بالاضافة الى اليابان يتعين حثها على تحمل عبء أكبر فيمـا يتعلق بالدفـاع عن أنفسـها . وقـد أعلن (الكسندر هيج) القائد السابق لحلف الأطلنطى أمام مجمـوعة متحمسـة أثر فوز ريجان فى الانتخابات أن اليابان ودول أوربا الغربية لم تعـد تعـانى مـن تعرض اقتصادياتها الى الدمار أبان الحرب العالمية الثانية ، فهم ينافسـوننا على الأسواق فى الداخل والخارج .

وفى الوقت نفسـه ، ليست لريجان مثله فى ذلك مثل العديد من أفراد فـريقه الجديد من كاليفورنيا ليست لها علاقات وثيقة بمؤسسات الشاطىء الشرقـى أى « مؤسسة السياسة الخارجية مثل مجلس العلاقات الخـارجية فى نيويورك أو جامعتى (هارفاد) و (بيل) ولذلك ، وبدلا مـن التركيز على اوربا الغـربية باعتبارها أساس الدبلوماسية الأمريكية ، توجد بوادر تشـير الى أن ريجـان يبدى اهتماما أقل بحلف الأطلنطى ، ويبدى مزيدا مـن الحسـاسية بقضـايا الأمن فى أجزاء أخرى من العالم ـ فى الخليج الفارسى وشرق أسـيا وأمـريكا اللاتينية . وقد يعنى هذا أن ريجان ربما يتجه الى حد كبير إلىانفاق المزيد من الأموال المخصصة للدفاع على البحـرية ، باعتبارهـا أكثر أشـكال القـوة الأمريكية وضوحا فى العالم الثالث ، بدلا من الانفـاق على الجيش الذى قـام بدور أساسى فى الدفاع عن أوربا .

بيد أن ما هو أقل وضوحا هـو كيفية معـالجة ريجـان وكبار مسـاعديه للمشكلة الأكثر إثارة للاحباط والدقيقة وهى كيفية الاستفادة الى أكبر حد من ميزانية الدفاع . فقد ذكر (جيفرى ريكورد) المساعد السابق للسناتور (سـام نيون) ومستشار ريجان للدفاع خلال الحملة الانتخابية أن فشل عملية انقـاذ الرهائن الأمريكيين فى ايران قد قدمت دليلا مؤكد على « أن الولايات المتحدة قد تعثرت فى كل مغامرة عسكرية هامة قامت بها خلال العشرين عامـا الأخيرة . ويرى (ريكورد) وغيره من مستشارى ريجان أن معضلات الدفاع التى تواجه البلاد ليست نتاجا لنقص الأموال وإنما تنبع مـن مشـكل راسـخة داخـل العسكرية الأمريكية ذاتها . وهم يؤكدون أن وزارة الدفـاع أصـبحت وحشـا بيروقراطيا وأن عملياتها اليومية تتصف بالقصور الذاتى وعدم الكفـاءة بدلا

من التجديد والقدرة على تقدير الأمور ومثلها فى ذلك مثل أى مشروع أمـريكى واسع النطاق وليكن مؤسسة (كريزللر) أو (لوكهيد) .

وكانت الميزانيةالتى أقرها جيمـى كارتر تسـتهدف ، منذ أربع سـنوات مضت دفع وزارة الدفاع الى مراجعة كون الأدوار والمهمات التى تضطلع بهـا أسلحة الجيش الأربعة لأزمة للعصر العسكرى الجديد . غير أن الكثيرين مـن كبار المسئولين عن الدفاع يعتقدون فى ضوء استعراض الأحداث الماضية ، أن هذا المجهود قد فشل . وقال أحد المسئولين فى إدارة كارتر وهو المسـئول الذى أكد أن الاختلافات البيروقراطية داخـل الجيش تنطـوى على زيادة الميزانية قال : (أن استراتيجيتنا وتكتيكاتنا لاتزال ترجـع الى الخمسـينيات) . وقـد تناول تقرير أعدته لريجان مؤسسة (هيرتيج) ، وهى مؤسسة فكرية رجعية فى واشنطن ، نفس الموضوع عندمـا ذكرت أنه توجـد بعض الشـكوك العميقـة فيما يتعلق بسلامة الهيكل الراهن للقوات الأمريكية ـ أسـاليب إنتشـارها ، وأساليب خوضها الحرب ، وأولويات معداتها وأجهزتها . بيد أن ريجـان قـد يواجه صعوبات أكبر مما وواجهها كارتر بالنسبة لتشجيع أجراء اصـلاحات تنظيمية فى وزارة الدفاع . فقد ذكر مساعدوه المقـربون أن لدى ريجـان رغبة ضئيلة فيما يتعلق باعادة تقدير القوة العسكرية ، ولذلك يميل الى حد كبير الى جعل كبار الضباط يقررون بدلا من المتخصصين المدنيين نوع الأسـلحة التى تحتاجها البلاد .

وبخلاف هذه القضايا ، توجد المسألة الحسـاسة للغـاية والمتصـلة بميل ريجان الى استخدام القوة العسكرية فى الأزمات الأجنبية . ويقـول أصـدقاء ريجان أنه يعتقد أن الولايات المتحدة لا تحتاج فحسـب الى قـوات عسـكرية كافية حتى يتسنى لها ردع الحرب وإنمـا يتعين عليهـا أن تبدى اسـتعدادها لاستخدام هذه القوات . ومن المعروف أن ريجـان كان ، خـلال عهـد كارتر ، يشتكى الى أصدقائه من أن كارتر يعانى من عدم القدرة على التصدى للعدوان والارهاب الدولى فى الخارج وأيا كان الأمر ، فان ريجان ، فى التحليل النهائى ، ليست لديه أى خبرة فعلية تعينة على تقدير ايجابيات وسلبيات القرار الصعب الخاص بتكليف القوات الأمريكية خوض القتال والواقع أن كاليفورنيا ، بعـد كل شىء ، لم يكن لديها سياسة خارجية ولا ومؤسسة عسكرية . ويرى أصدقاء ريجان المقربون أنه عندما تندلع مواقف حاده ، سيفضل ريجان المصالحة على المواجهه ويقرون أن ثمة نقطة لن يسمح ريجان لنفسه بأن يندفع الى تجاوزها ولذلك ، يبقى ميل ريجان الى استخدام القوة أمرا يكتنفه الغمـوض الشـديد للغاية ، وربما كان أكثر أنواع الغموض أهمية ذلك الغموض الذى يواجه الأمة والعالم .

عالم ريجان

بقلم : هيدريك سميث

منذ الحملة الانتخابية لجون كيندى عام ١٩٦٠ لم ينبه اى واحد من المرشحين للرئاسة الى خطر تخلف الولايات المتحدة على نحو خطير عن روسيا فى مجال المنافسة على التسلح . ومنذ وزير خارجية امريكا الراحل جون فوستر دالاس لم يحذر زعيم امريكى بقوة ، من أن الولايات المتحدة تسير وهى نائمة منذ فترة طويلة جدا وانه يتعين عليها الآن أن تصحو من غفوتها ، وأن تغير موقفها وان تشترك من جديد فى الحرب الباردة العالمية .

ورغم ذلك ، وايا كان النمو الذى يتردد به صدى الموضوعات التى تحدث عنها كيندى ودالاس منذ عقدين مضيا فيما ينادى به رونالد ريجان الان ، نجد ان مما يثير السخرية فى البيت الابيض الآن ان حاكم كاليفورنيا السابق قد يبدو أنه النظير الطبيعى للرئيس السوفيتى ليونيد برجينيف اكثر مما يبدو أنه امتداد لاى زعيم امريكى .

ذلك ان برجنيف يعد شخصا ودودا من الناحية الشخصية وصانع الاجماع المتجانس فى الرأى ، القافز الى السلطة فى الاقاليم قبل ان يصل الى حكم الكرملين ، وقد اشرف على اكبر عملية بناء ناجحة ومطلقة وحازمة للقوة المسلحة فى التاريخ الروسى . والان يأتى رونالد ريجان وهو سياسى اخر دمث الخلق ولطيف العشرة ، تمتد جذوره الى الولايات الواقعة فى وسط البلاد ، وقد شق طريقه الى السلطة من كاليفورنيا البعيدة . وهو يعلن كذلك انه سيكرس جهوده من أجل تحقيق قوة عسكرية امريكية جديدة وضخمة من شأنها « أن تستعيد هامش الأمن » للعالم الحر .

ومن الواضح انه توجد فروق هامة بين هذين الخصمين الايديولوجيين . غير انه توجد بينهما كذلك اوجه تشابه مثيرة . فمثل برجينيف ، وصل ريجان الى الزعامة القومية باعتباره سياسيا يتمثل اهتمامه الاساسى فى الشئون الداخلية ، والذى لم يمارس السياسة الخارجية على نحو واسع النطاق . ففى مستهل السبعينات ، اوفد الرئيس نيكسون ريجان الذى كان حاكما انذاك

لكاليفورنيا فى جولة مساع حميدة فى عدد من بلاد الشرق الاقصى واوربا تماما مثلما كان يكلف برجينيف بالاشتراك فى الحفلات الدبلوماسية قبل تقلده السلطة الحقيقية .

وقد زار ريجان اكثر من عشرين بلدا ، واجتمع بزعماء مثل مستشار المانيا الغربية هيلموت شميث ، والرئيس الفرنسى جيسكار ديستان ، ومارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا . غير ان ريجان بعد ان فاز بترشيح الحزب الجمهورى لمنصب الرئيس فى اواخر يوليو ١٩٨٠ ، رفض القيام برحلة الى اوربا على اساس ان هذه الرحلة تتطلب منه وقتا طويلا للاستعداد لها ، ولانها ستبدو جهدا مصطنعا لتجعل منه خبيرا فى ميدان لا يزال فيه هاويا . وقبل ذلك ، بدأ ريجان خلال حديث تلفيزيونى وكأن ذاكرته قد خانته عندما لم يتذكر بسرعة اسم الرئيس الفرنسى . وعندئذ سخر كارتر من هذا قائلا انه اذا ما انتخب المرشح الجمهورى رئيسا للبلاد ، فان المشتركين فى اجتماعات القمة الغربية سيضطرون الى ارتداء شارة مكتوب عليها اسماؤهم من أجله .

وعدم خبرة ريجان تعيد الى الاذهان ، الحرج البالغ الذى واجهه برجينيف من جانب الزعماء الاوربيين منذ عقد مضى . فبعد ان عقد الرئيس الفرنسى الراحل جورج بوميدو والمستشار الالمانى الغربى فيلى برانت اول اجتماعاتهما مع برجينيف ، تردد ان الزعيم السوفيتى غير راسخ القدم فى الشئون الدبلوماسية ، لدرجة انه قرأ بالضبط ملخصات اوراق العمل التى اعدت له حول القضايا المطروحة للمناقشة ، وانه كان يلجأ فى رده على الأسئلة الى تكرار ما سبق ان تدرب عليه من اجابات . ويشكو الغربيون من ان برجينيف نفسه لم يكن مزودا بما يكفى من المعلومات بحيث يتسنى له الاستمرار فى حوار حقيقى ، غير ان هذا الانطباع قد تلاشى بعد ذلك .

وقد كون برجينيف وريجان ، اللذان ولدا بعد بضعة سنوات من اوائل القرن العشرين ، نظرتهما للعالم منذ عدة سنوات خلت ، وان مبادئهما الاساسية لم يطرأ عليها سوى قدر ضئيل من التعديل بسبب موجات التاريخ المتغيرة . فكلاهما يتحدث بلسان المؤمن الحقيقى بمبادئه ، مع ايمان مطلق بالوطن وبرسالته التاريخية فى العالم ، وبشك يتسم بالقلق تجاه خدع الاعداء الايديولوجيين وحيلهم الشريرة . فريجان عندما يتحدث عن الشيوعية يصفها بأنها الخصم العنيد . وهكذا يصف برجينيف الرأسمالية . ومن الناحية البلاغية يصف كل منهما العالم بعبارات الاسود والابيض القاطعة . فهو عالم الحلفاء والخصوم ، والوطنيين والاشرار ، الاصدقاء المخلصين والاعداء غير

الجديرين بالثقة . انه عالم تضيع فيه ، في كثير من الاحيان ، او تنسى علاقات القوى التى تتسم بالتعقيد ، والفروق الدقيقة للحياد او ظلاله ، وحيث لا يرى بوضوح او يفهم على نحو سيء القومية الجياشة لعدد كبير من الشعوب الاخرى

وأياً كان الأمر ، وعلى صعيد الممارسة يتسم كلا الرجلين بمزيد من (البراجماتية) ومزيد من المرونة وهذا مما توحى به تصريحاتهم وخطبهم . فقد بعث برجينيف القوات السوفيتية الى تشيكوسلوفاكيا عندما شعر بأن المصالح السوفيتية الحيوية تتعرض للخطر ثم أرسلها إلى أفغانستان ، عندما بدا ان ارسالها يعد رهانا مضمونا وان كانت القضية أقل حيوية . بيد ان برجينيف ، الذى يحظى بما كان يحظى به الزعماء المخضرمون السوفيت ، من قوة محافظة غريزية تجعلهم يمقتون التهور وتتيح لهم ان يتركوا وكلاءهم يخوضون معظم معاركهم ، قد تصرف بقدر كبير من الحذر مما بدا في مناسبات أخرى ، وخاصة عندما لاح في الافق احتمال المواجهة مع واشنطن .

وعلى غرار برجينيف ، نجد ان ريجان ـ رغم انه لم يختبر كزعيم في مجال السياسة الخارجية بعد ـ نجد انه خفف غلواء تصريحاته البلاغية بالواقعية عندما كان حاكما لكاليفورنيا . وليس ادل على ذلك من انه كان يتوصل الى الحلول الوسط والاتفاقات مع خصومه السياسيين ، ويغير شعارات حملته الانتخابية ، ويتراجع عما كان يعتقد انها امور لا يمكن التفكير في التراجع عنها قبل توليه السلطة . اما بالنسبة للشئون الخارجية ، فقد عدل مواقفه في ضوء الانفتاح الدبلوماسى الامريكى تجاه الصين وازاء الاتفاق الخاص بعدم السيطرة النهائية على قناة بنما ـ وكان قد أعرب عن معارضته لهما بشدة وشراسة .

وفي اطار عدم خبرته وحماسه الذى يتسم بالتعصب القومى كان ريجان يبدى ، في بعض الاحيان ، ما كان يبديه دالاس من استعداد للوصول الى حافة الهاوية مع الروس في سباق اختبار القوة حول ما كان يرى في حينه انه قضايا حاسمة . غير انه كان يتراجع بالفعل ، في كثير من الاحيان ، عندما كانت تدفعه تصريحاته الانفعالية القوية الى الوقوع في ورطة .

وكلما كان الطريق السياسى الذى أفضى به الى البيت الابيض قصيرا ، كلما كان تحديده لمقياس المصالح الامريكية ضيقا للغاية . وكلما كان اكثر شغفا بتأكيد انه في اعماقه يعد رجل سلام وليس رجل حرب وانه لا يتوق الى

شن المعارك . ولذلك اتسمت تصريحات وبيانات رونالد ريجان خلال حملته الانتخابية من اجل الرئاسة بصيغة القوة الضمنية التى لم تكن متحمسة فى اصرارها على تحقيق قوة عسكرية اكبر فحسب ، بل اكتنفها الغموض فيما يتعلق بكيفية ممارسته سلطته كرئيس .

وفى ايجاز ، يوجد شخصان داخل رونالد ريجان ، ومن المحتم تقريبا ، فيما يبدو ، ان تنذر التوترات المحتدمه بينهما بنشوب الخلافات داخل الادارة الجديدة ، واثارة العواطف المتضاربة داخل الكونجرس ، وبين الشعب عامة . ومثلما كان الامر بالنسبة لادارة كارتر ، يترجح ان تسفر الدوافع الرئاسية المتضاربة عن تغيرات وعدم اتساق فى السياسة ، مما يؤدى الى حيرة الاصدقاء والخصوم على السواء . ومن ثم سيكون اختيار ريجان لكبار مستشاريه فى مجال الشئون الدفاعية والدبلوماسية ، سيكون امرا حاسما بالنسبة لمسار السياسة الخارجية الامريكية خلال السنوات الاربع القادمة ذلك ان هؤلاء المستشارين الذين يعدون اقرب المسئولين اليه واكثرهم تمتعا بثقته سيكون لهم تأثير كبير على اى من شخصيتى ريجان التى ستصبح لها الغلبة فى لحظات القرار الحاسمة .

ان احدى شخصيتى ريجان تتمثل فى اليمين المتطرف الذى يدعو بشدة الى التحرر الشعبى الواسع من وهم الدبلوماسية الامريكية لسنى ما بعد حرب فيتنام ، والذى يعرب من ادراكه بأن العالم يعتبر مكانا خطرا وفظا ويبدى استياءه من ان امريكا قد تراجعت امام اوجه التقدم السوفيتى . ان هذا هو ريجان رجل المواجهة . ويعزف ريجان هذا على وتر حساس عندما يجهش صوته بالعاطفة الوطنية وهو يعلن « لا فيتنام اخرى ، لا تايوان اخرى » او عندما يشير من حين الى اخر بأن الوقت قد حان لاظهار ان امريكا لم تعد كما وصفها ريتشارد نيكسون ذات يوم بأنها « عملاق عاجز يثير الشفقة » . ان هذا هو السياسى الذى التقط مستشارى السياسة الخارجية المتشددين ليقفوا الى جانبه فى حملته الانتخابية من اجل الرئاسة .

أما ريجان الآخر ، فهو شخص يمارس السلطة بطريقة (براجماتية) اذ تتسم بياناته بمزيد من الحذر ، وتتصف لغته بمزيد من الغموض الدقيق والاقتدار . فاذا ما دعا اليمينى ريجان الى فرض حصار اقتصادى على كوبا ، فان البراجماتى ريجان يرفض بذكاء ان يستدرج الى الدفاع عن التدخل الامريكى فى ايران ، وقد قال ريجان (البراجماتى) فى الصيف الماضى : « اننى لا اريد ان اندفع وانا الوح بسيف مخضب بالدماء صائحا « الى الامام

يارجال » ، « فلا اعتقد ان هذا امر ضرورى . وعليكم ان تستخدموا اى انواع القوة اللازمة لتحقيق الهدف ، غير اننى اود ان اشير الى انه لن توجد ضرورة لاستخدام القوات المسلحة اذا ما اوضحنا ان لدينا الارادة لاستخدامها اذا ما اقتضى الامر » . ان هذا هو ريجان رجل المواءمة ، الذى يتحدث عن علاقة « متوازنة ومعقولة » مع روسيا . والواقع ان ريجان يعتمد على النصائح التى يسديها اليه اشخاص محافظون يتمتعون بالخبرة والفطنة مثل جورج شولتز وزير الخزانة السابق ، وهو رجل تربطه علاقات بزعماء اوربا وعالم التجارة والتمويل الدوليين .

وأيا كان الجانب الذى سيسود من شخصية ريجان فى لحظة معينة ، فان اساليب الرئيس للتعامل مع العالم ترتكز على نظرة فلسفية اساسية تمتد جذورها الى الخمسينات عندما كانت القوة الامريكية متعاظمة ، وقد تستند اساليب الرئيس للتعامل مع العالم على حقائق اكثر تعقيدا لعقد الثمنينات . وتقوم نظرته الفلسفية هذه على اساس عالم الاستقطاب الثنائى الذى نشأ منذ مستهل الحرب الباردة . ولذلك ، نجد ان صراع القوة الدولى مع موسكو يعد بالنسبة لريجان ـ اكثر من الرؤساء الامريكيين فى الحقبة الاخيرة ـ محركا لتفكيره حول الشئون الخارجية بل يعد ـ الى حد كبير ـ المنظار الذى يرى ريجان من خلاله العالم بأسره . ومن ثم ، نجده من الناحيتين الثقافية والنفسية يشعر باستياء بالغ من انتشار القوة فى أنحاء العالم ، وقد وضع نصب عينيه منع انهيار القوة الامريكية .

ورغم ذلك ، لم يتفوه بأى كلمات اخرى عند اعلانه ان الاولوية الاساسية للسياسة الخارجية لادارته ستكون العمل السريع والحاسم لاعادة تسليح الولايات المتحدة ، حتى يمكن القضاء على ما يعتبره تهديدا خطيرا لقوات الردع النووى الامريكية ، وان يستخدم التهديد بسباق تسلح جديد حاد لمحاولة اقناع القيادة السوفيتية باعادة النظر فى استراتيجيتها النووية والتفاوض فى النهاية فى ضوء شروط يعتبرها ريجان مواتية لواشنطن وحلفائها . ويقول مساعدوه انهم وريجان يتأهبون لبذل جهد ضخم يستغرق فترة طويلة من الزمن لتغيير اتجاه الرياح .

وحتى ابان لجوئه الى المبالغة خلال حملته السياسية ، كانت تصريحات ريجان العنيفة المناهضة للسوفيت ، كانت تقترن دائما بالتنبيه الى الخطر . ذلك ان رؤيته للخطر الذى يهدد الولايات المتحدة والغرب تتسم بالغموض : « فقد حذر فى بداية عام ١٩٨٠ من اننا ندخل واحد من اكثر عقود الحضارة الغربية خطورة » . وقارن بين ضعف الغرب وتردده عقب غزو هتلر

لتشيكوسلوفاكيا عشية الحرب العالمية الثانية ، وشبه رد فعل جيمي كارتر تجاه الغزو السوفيتي لافغانستان بنيفل تشامبرلين ، رئيس وزراء بريطانيا الذى غدت المظلة التى كان يمسكها فى ميونيخ عام ١٩٣٨ رمزا للتهدئة . وقال ريجان ساخرا فى احدى جولاته الانتخابية : فى اعتقادى اننا نرى نفس الموقف عندما كان مستر تشامبرلين يمشى بخطى بطيئة فوق الحصوات الكبيرة التى رصفت بها شوارع ميونيخ .

ويقول ريجان « لقد وقعت الحرب العالمية الثانية بدون استفزاز . لقد وقعت لان الامم كانت ضعيفة وليست قوية ، فى مواجهة العدوان . وتنطبق نفس دروس الماضى هذه على ايامنا هذه . والواقع ان الحزم القائم على قدرة دفاعية قوية ليس استفزازا لاحد . بيد ان الضعف يمكن ان يكون استفزازا لانه ببساطة ، يغرى الامة الا ة التى لم يعد لطموحاتها الامبريالية اية حدود بالعدوان . واننا نجد انفسنا فى وضع يتسم بالعزلة الخطيرة المتزايدة . ويفقد حلفاؤنا ثقتهم فينا ، وان اعداءنا لم يعدوا يحترموننا .

والواقع ان ريجان قد وجد ـ مثلما وجد غيره ، فى الغزو السوفيتى لافغانستان ، وللتورط الكوبى والسوفيتى فى الانقلابات الماركسية فى اثيوبيا وانجولا واليمن الجنوبية ، وفى التأييد الكوبى للارهاب والاضطرابات التى تعم حوض الكاريبى ـ دليلا على التهديد السوفيتى . ويعرب ريجان عن اسفه لذلك بقوله : « فى كافة ارجاء العالم ، فى وسعنا ان نرى انه فى الوقت الذى تتدهور فيه القوة الامريكية ، نجد السوفيت واصدقاءهم يتقدمون » .

ويرى ريجان بوضوح ان السوفيت يقفون وراء التيارات التى تتسم بالاضطرابات فى افريقيا واسيا والشرق الاوسط . وقال فى تعليق صريح لصحيفة « ذى وول ستريت جورنال » دعنا لانخدع انفسنا ، ان الاتحاد السوفيتى يكمن وراء كافة الاضطرابات التى تجرى فى العالم . فلو لم يكن الاتحاد السوفيتى مشتركا فى لعبة (الدومينو) هذه ، لما وجدت مناطق ازمات ساخنة فى العالم .

غير ان التقدير الذى يتصف بالعموم ينم عن جهل أو الافتقار الى الاهتمام بالاسباب الداخلية و (ديناميكيات) القومية للثورة التى وقعت فى ايران ، وللنزاع العربى الاسرائيلى وللاضطراب السائد فى افريقيا الجنوبية ، وللتوتر فى تركيا وللارهاب فى ايرلندا . كما يكشف عن جهل او اهتمام ضئيل بالمواجهة الاقتصادية الواسعة النطاق بين البلاد المنتجة للمواد الاولية فى نصف الكرة الجنوبى وبين البلاد الصناعية المتقدمة فى الشمال وفى اطار رؤية

ريجان للامور ، نجد أن الاوضـــاع المتفجـرة والمضـطربة فى العـالم الثالث ، والتيارات الصاخبة والمتضاربة التى تمر عبر قوس الازمـــات جنوبى الاراضى الاوربية الاسيوية ، والتى تحدث بمعزل عن المغامرة الســوفيتيه ، لا تدخـل فى تقديره بالضرورة ذلك انه يحكم على الامم تبعا للمواقف التى تتخـذها فى لعبة الشطرنج العالمية ، وتبعا لكون هذه الامم راسمالية ام حـكومات مـاركسية . ويتم تقدير المواقف تبعا لتقدم قضية الحرية الى الامام او لتراجعها للخلف .

ولذلك ، كان من الطبيعى بالنسبة لريجان ، على سبيل المثال ، ان يقدم على مخاطرة سياسية باثارة انقسامات حادة بين الناخبين الامريكيين عندما اعلن فى اغسطس ١٩٨٠ ان الحـرب فى فيتنام كانت « قضـية نبيله » . ولقـد كانت فيتنام قبل ان يعلن ريجان هذا ، قضية ميته وغير مثارة فى الحملة الانتخـابية للرئاسة ، غير انه شعر بقوة انها كانت معركة من اجل الحـرية ، وان العـدل كان يقف فى صف امريكا فى هذا الصدد . وكان يعنى بذلك انه كان من المـكن تحقيق النصر لو ان « حكومتنا » كان فى حوزتها كافة وسائل القـوة اللازمـة لدعم القوات الامريكية ، ولو انها لم تخشى شـيئا مـن تحقيق هـذه القـوات للنصر . ولذلك كان ضعف ارادة الزعماء الامريكيين هو العنصر الاسـاسى فى النقد الذى يوجهه ريجان للسياسة الخـارجية الامـريكية خـلال ربع القـرن الماضى .

ويقول ريجان ، لقـد تم التخلص مـن (تايوان) بدون وعى وسـاد اوربا الارتباك على نحو يدعو لليأس بسبب سياسة كارتر المترددة ، وتم التخلى عن شاه ايران فى صمت . وأيا كان حذر ريجان وهو يدلى بتصريحاته السـياسية عن الوضع الدقيق للرهائن فى ايران ، فانه اكد باستمرار انه كان من المـكن تجنب الأذلال الذى تعرضت له امـريكا اذا مـا كانت الادارة الامـريكية قـد تمسكت بالشاه ويرى ان الكارثة قـد وقعـت عندمـا ســحب الرئيس كارتر « البساط من تحت اقدام حليف لنا لمدة حوالى ٣٠ عامـا » . وكان يتعين على كارتر ان يدعم حكومة الشاه ويقف الى جانبها ، ولو فعـل ذلك لما قـامت ثورة ناجحة فى ايران .

والواقع ان الاخلاص للحلفاء كان الســمة الاســاسية لخـطب ريجـــان ومواقفه خلال الحملة الانتخابية . فهو يتحدث وكأن الاضـطراب الذى يسـود التحالف الغربى ناجم ببساطه من جراء ضعف الارادة والزعامة الامـريكية ، الامر الذى اتاح للسوفيت ان يستغلوا اوجه التصدع والخلافات بين الحلفاء . وهو يفسر على نحـو خـاطىء ، القـوة المتزايدة للاوربيين ونزعتهـم الاكيدة

للاستقلال ويفكر بصفة خاصة تقريبا فى ضوء التفوق الامريكى فى اطار التحالف ونتيجة لذلك ، يعتقد ، فيما يبدو ، أنه يمكن حل معظم مشكلات التحالف وان الاوربيين سينضموا ، مرة اخرى ، وعن طيب خاطر تحت مظلة الزعامة الامريكية لو ان واشنطن صححت التوازن الاستراتيجى وابدت حزما عالميا ، واتسمت سياستها تجاه الحلفاء بالاستمرارية .

وسوف يقول ريجان « ينبغى ان نكون ترسانة الديمقراطية وهو يسترجع بقوله هذا سنى ما قبل الحرب العالمية الثانية عندما استخدم فرانكلين د . روزفلت — بطله فى مستهل حياته — هذه الجملة كصيحة للمعركة لتعبئة المساندة الشعبية للحرب ضد المانيا النازية . ويقول ريجان وهو يشعر بالحنين للعصر السابق للسلام الامريكى : « اننا لا نسعى لزعامة العالم الحر ، بيد انه لا يوجد أحد آخر يمكنه تولى هذه الزعامة ، وبدون زعماتنا لن يكون هناك سلام فى العالم » .

وقد جعلت نفس هذه الفطنة التى تتسم بالكبرياء ريجان يشعر بغضب عارم عندما يرى ما عانته بلاده ومواطنوه من اذلال خلال السنوات الاخيرة ، وهو يؤكد ، مرارا وتكرارا ، انه يتعين على امريكا ان يكون رد فعلها قويا للغاية بقصد حماية مصالحها والزود عن شعبها فى جميع انحاء العالم . فعلى الرغم من كافة انواع الاحباط التى يعانى منها الشعب الامريكى ، لا تزال امريكا منارة للشعوب الاخرى ، وان العالم لا يزال ساحة يمكن للقوة الامريكية والتكنولوجيا الأمريكية والقيم الامريكية والنموذج الامريكى ان يكون لها فيه وقع مؤثر ، لو ان الزعماء الامريكيين تحلوا بقدر كاف من الجسارة . وفى هذا الصدد يقول ريجان فى لقاء صحفى معه : « ان واحدة من احب ذكرياته الى نفسه وقعت عندما كان يشاهد نشرة اخبار مصورة سينمائيا عن الحرب الاسبانية حيث سارت مجموعة من جنود البحرية الامريكية فى الشوارع بخطى سريعة قاصدين دار المفوضية الامريكية فى مدينة ساحلية اسبانية لانقاذ مواطنين امريكيين » ويعلق ريجان على ذلك بقوله : « لا يسعك سوى الشعور العارم بالكبرياء لهذا العمل » . « ولقد كانت امريكا تحظى باحترام كبير لدرجة ان القتال فى تلك المنطقة قد توقف مؤقتا حتى يتسنى لبعثة الانقاذ الامريكية ان تواصل مهمتها » .

والواقع ان ريجان قد يكون اقل ميلا لتوريط القوة العسكرية الامريكية مما يخشى نقاده . فخلال الحملة الانتخابية ، بالغ الرئيس كارتر فى تصوير اعتزام ريجان اصدار الانذارات وذلك فى اطار جهوده لتصوير ريجان على انه

راعى بقر (كاوبوى) متهور يتمنطق بست مسدسات وعلى اهبة الاستعداد لاطلاق الرصاص لدى شعوره بادنى استفزاز . غير ان ريجان فى تصريحاته التى انتزعها كارتر من سياقها كان بدافع فى الواقع عن استخدام القوة الامريكية لاغراض حفظ السلام ـ فى قبرص ولبنان وروديسيا (زيمبابوى) .

غير ان ريجان كان مستعدا فى مناسبات اخرى ـ على الاقل من الناحية البلاغية ـ للمخاطرة بالدخول فى نزاع فعلى دفاعا عن المصالح الامريكية . ففى عام ١٩٧٥ ، عندما استولت الاكوادور على قوارب صيد التونا الامريكية لانها تصطاد داخل المياه الاقليمية للاكوادور ، اقترح ريجان ارسال مدمرة تابعة للبحرية مع قوارب صيد التونا لتجوب فى البحر على بعد ١٣ ميلا من شواطىء الاكوادور لحماية قوارب الصيد وذلك تبعا لقول مأثور لتيدى روزفلت : « تحدث بنعومة ولكن احمل فى يدك عصا غليظة » . وعندما حدث ما هو اخطر من ذلك ، عندما اثرت كوريا الشمالية عام ١٩٦٨ سفينة التجسس الامريكية « بويبلو » ، اعلن ريجان ان « الرد الامريكى على هذا الاجراء ينبغى ان يتمثل فى : اما ان يتم اطلاق السفينة وطاقمها خلال ست ساعات او ان تعمل القوات الامريكية على اطلاق سراحهم ، وذلك بأن تستخدم الطائرات والمدفعية والالغام الناسفة » . وقد اقترح ريجان مؤخرا ان على امريكا ان تفرض الحصار على موانى كوريا الشمالية .

وفى عام ١٩٧٦ ، عندما كانت الحرب الاهلية الانجولية مشتعلة ، ويزود الشرق والغرب الجماعات الانجولية المتصارعة بالدعم والاسلحة ، قال ريجان بلغة تتسم بمزيد من الغموض : ان الوقت قد حان للتصدى لروسيا وان مكان بدء هذا التصدى هو انجولا . ولكنه ربما كان يعنى فحسب ارسال معونات واعدادات سرية للجماعات الموالية للغرب . ومثلما ارسل كارتر طائرة امريكية الى السعودية فى عاملى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ كعلامة على استعراض القوة وللاعراب عن دعم الاصدقاء الذين استبد بهم القلق فى شبه الجزيرة العربية والخليج الفارسى بعد الغزو السوفيتى لافغانستان نجد ان ريجان دافع عن تواجد عسكرى امريكى فى سيناء وباكستان فى اعقاب الغزو السوفيتى لافغانستان . وبعد احتجاز الرهائن الامريكيين فى ايران حذر ، على نحو غامض ، قائلا : « ماذا تقولون فى وضع من هذا النوع ـ لا تتحدثوا عن هذا الوضع فى الصحف ـ ان عليكم ان تتحدثوا مباشرة معهم اننا نريد ان يعود افراد شعبنا ، نريدهم ان يعودوا اليوم والا فان النتائج ستكون غير سارة » .

غير ان اكثر دفاعه عن استخدام القوة خطورة واثارة للجدل كان يتمثل فى

دعوته المستمرة لفرض حصار بحرى حول كوبا انتقاما للغزو السوفيتى لافغانستان . وقد قال ريجان ابان احتدام الانتخابات التمهيدية فى ولاية نيوهامبشاير فى فبراير ١٩٨٠ : « فى اعتقادى انه الى جانب التلويح بالعلم فى الشرق الاوسط اشارة الى انهم قد يتعرضون لمواجهة معنا ، يتعين ان تكون لدينا خطة للتصدى لهم فى المناطق السهلة ، وانى اقترح مثلا فرض الحصار حول كوبا » . وعلى الرغم من ان جورج بوش ، نائب الرئيس الان ومنافسه انذاك ، اكد ان فرض الحصار الكامل على كوبا من شأنه ان يكبد الولايات المتحدة نفقات باهظة ، كما انه ربما يكون من المستحيل فرض الحصار دون المخاطرة بوقوع صدام مع الروس ، الا ان ريجان اصر على انه « لا يتحدث عن الحرب » . « فلسنت من دعاة الحرب لم لا نفرض حصارا حول كوبا ، ثم نقول لهم « عندما تنسحب قواتكم من افغانستان ، سوف نرفع الحصار من حول كوبا . ؟ » ويضيف ريجان قائلا : « وفى اعتقادى ان هذا الاجراء سينطوى على ممارسة ضغط كبير ، ولا احسب ان فى وسعهم ان يتحملوا الحصار لفترة طويلة ، واعتقد ان مكالمة تليفونية مقتضبة عبر الخط الساخن مع موسكو بشأن هذا النوع من التهديد قد تؤدى الى انسحاب القوات السوفيتية من افغانستان » .

ومع ذلك ، وعلى الرغم من كل تحذيرات بشأن التفوق العسكرى السوفيتى المتزايد ، يؤكد ريجان — على نحو غير متسق ودون تقديم اى دليل — ان موسكو سوف تتراجع الى الوراء محدثة جلبة . ان موسكو التى تشكل خطرا داهما فى خطبه وبياناته البلاغية ، من المعتقد ان تكون طيعة على نحو يثير الدهشة فى الواقع ، ذلك ان ريجان يؤكد : « اننى لا اعتقد ان الاتحاد السوفيتى لديه ما يكفى من التفوق العسكرى بحيث يرغب فى مواجهة » .

ان الكثير مما قاله ريجان طوال سنوات عديدة يعكس الان الحالة النفسية لامريكا . فخلال حكم كارتر ، طرأ تغير على الشعب والكونجرس والادارة ذاتها ، اذ تم التحول تدريجيا عن العزلة الجديدة والشعور بادانة الذات القومية الذى كان له تأثير شبيه بالشلل ، والذى اعقب فيتنام . فقد بدأت استطلاعات الراى العام تبين ان الغالبية تؤيد تخصيص مبالغ ضخمة للانفاق العسكرى . وبدا الشعب الذى هزته الثورة الايرانية ، وتهديد امدادات البترول اللازمة للغرب ، والغزو السوفيتى لافغانستان ، مستعدا لعهد جديد من التورط الامريكى على نحو اكبر فى شئون العالم .

والواقع ان جيمى كارتر تخلى عن حديثه بشأن خفض ميزانية وزارة

الدفاع ، وسحب القوات البرية الامريكية من كوريا الجنوبية ، وبدلا من ذلك ، بدأ فى تخصيص اعتمادات اكبر لميزانيات الدفاع وتشكيل قوة الانتشار السريع للتصدى للازمات التى تندلع فى الخارج ، كما بدأت المفاوضات مع سلطنة عمان وكينيا والصومال من اجل الاتفاق على الحصول على تسهيلات بحرية حول المحيط الهندى . وتم الاعلان عن استراتيجية نووية جديدة اكثر حزما . ولقد هتف جمهور المستمعين ، وقفزوا من اماكنهم ليقفوا على اقدامهم ، وومضت عيونهم ، عندما اعلن ريجان ان الوقت قد حان ليدرك البيت الابيض : « اننا لا نعبأ بكون بقية العالم يحبوننا ــ اننا نريد ان نحظى باحترام العالم » .

ولكن ما ان تولى ريجان السلطة ، حتى واجه حدودا خطيرة على القوة الامريكية فى الخارج ، وعلى سلطته ومرونته كرئيس فى الداخل وكذا فى الخارج . فعلى الرغم من المكاسب التى احرزها اعضاء الحزب الجمهورى فى الكونجرس فى نوفمبر ١٩٨٠ ، وخاصة سيطرة الحزب على مجلس الشيوخ . مما ضمن له مناخا مواتيا مع الكونجرس بالنسبة لسياساته الخارجية والدفاعية ، على الرغم من ذلك لا يزال العدد الكبير من اعضاء الحزب الديمقراطى فى مجلس النواب على استعداد لخوض المعارك لمنع تقدم ريجان لتحسين الدفاع القومى عن طريق خفض البرامج الداخلية . غير ان دعوته فى مستهل توليه السلطة لتأييد الحزبين لسياسته الخارجية سوف يساعده فى هذا المقام . ولكن ، مع وجود توازن ضيق داخل مجلس الشيوخ بين الجمهوريين والديمقراطيين ، قد لا يتمكن ريجان من التهرب من وخز معارضة اعضاء مجلس الشيوخ فيما يتعلق بمعدلات المعونة او تزويد الدول الصديقة فى الخارج بالاسلحة أو الوقود النووى ، وهى المعارضة التى عرقلت رؤساء اخرين ، وبصفة عامة ، يشير القلق الشعبى الواسع النطاق ، خلال الحملة الانتخابية ، بشأن الاتجاه المفرط للتدخل فى الخارج ، يشير هذا القلق الى ان الشعب القلق قد يكون عاملا معوقا فى هذا الصدد .

اما بالنسبة للخارج ، فان ريجان يواجه عالما شديد التعقيد والتشابك أكثر مما تصور فى خطبه التى القاها ابان الحملة الانتخابية . ذلك ان القوة العسكرية السوفيتية وحدها لا تضع حدودا على سياساته فحسب ، وانما القوة الاقتصادية لأوربا واليابان ، والاعتماد الأمريكى على بترول الشرق الأوسط ، وضعف الاقتصاد الأمريكى . والواقع أن تعقيدات المثلث الاستراتيجى والتحالف الغربى والعالم الثالث لا يمكن ان تخضع بسهولة لتصنيفات الأسود والأبيض القاطعة . تبعا لرؤيته الجيوبوليتيكية . وليس ادل

على ذلك من ان الحلفاء فى اوربا يرون هجومه الشرس المناهض للشيوعية اسلوبا عتيقا ولا يحقق الغاية المرجوة منه . ذلك ان لدى الصين ودول منظمة الاوبك واوربا الغربية وغيرهم ، قوة ضاغطة اقتصادية وسياسية تستخدمها ضد واشنطن ، الامر الذى لا يؤدى الى امكان تحقيق قوة عسكرية امريكية اكبر . كما ان هذه الدول لا تؤدى ، كما يرى ريجان ، بعض الالعاب السوفيتيه وانما تتصرف فى ضوء تحقيق مصالحها . ومن ثم ، يتحتم فى كل مكان تقريبا ان تصطدم دوافع ريجان الايدولوجية التى تتعلق بالحنين للعودة الى الماضى ، بالحقائق المعاصرة التى تغاضى عنها أو نحاها جانبا ، والتى تنصب الان كالصخور فى طريقه .

والواقع انه لا يمكن التكهن بدقة سياسة ريجان الخارجية بسبب عدم ممارسته من قبل الشئون الخارجية . غير انه قد وضع من الناحية الفلسفية اساس التحويلات الجذرية عن السياسات التى كان ينتهجها الرئيس كارتر . فقد اعترض على الوفاق ، والمعاهدة الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية (سولت ــ ٢) واعادة قناة بنما الى بنما . ويعتقد ان تصعيد سباق التسلح قد يؤدى إلى خفض التسلح نهائيا . وينذر ، فيما يبدو ، حديثه البلاغى الصاخب عن استخدام القوة وذكرياته عن حرب فيتنام باعتبارها « حرب نبيله » بانتهاجه سياسة متشددة تجاه العالم الثالث . والواقع انه سيتخذ مواقف جديدة تجاه العالم الثالث وازاء موسكو . واما بالنسبة لمجالات اخرى ، فان طريقه قد لا ينحرف انحرافا حاسما عن طريق كارتر ، وعلى نحو ما أوضح ذلك كل منهما خلال الحملة الانتخابية ، وسوف يضطر ريجان الى تقليم مواقفه لتتواءم مع الحقائق .

ويقول ريتشارد آلن مستشار ريجان الاساسى للشئون الخارجية ابان الحملة الانتخابية لا يمكننى ان اتنبأ بتحولات سياسية جذرية فى ادارة ريجان . ثم يضفى مسحة عمليه (براجماتية) على ريجان بقوله : « ان هناك حقائق واقعية ستواجه الرئيس عندما يتولى السلطة فى ٢١ يناير . ونحن لا نسيطر على الحوادث ، وكل ما بوسعنا ان نفعله هو ان نشكلها » .

وقد اضطر ريجان ، فى حالة كلاسيكية ، الى التحول الى طريق كارتر فى منتصف حملته الانتخابية وذلك بالنسبة لموقفه تجاه الصين . ذلك ان الصين تعد نموذجا نمطيا للمواقف التى تنم عن اسلوب التفكير الايديولوجى المتسرع والعتيق لريجان وهى التى سببت له المتاعب ، والتى اضطر الى تغيير موقفه تجاهها .فقد لجأ ريجان الى انتهاج اسلوب (براجماتى) اكثر مما كان

متوقعا منه عادة ، واحجم عن حديثه المناهض للشيوعية تجـاه الصـين وعن شـكه العميق فى نظـام بكين ، وبدأ يرى فى الصـين شريكا محتمـلا فى لعبة (البوكر) الثلاثية الاستراتيجية مع الاتحاد السـوفيتى ، ثم بدأ بعـد فـوزه بترشيح الحزب الجمهورى لتولى منصب الرئيس يؤيد اقامة علاقـات اوسـع نطاقا مع الصين ، واوفد جورج بوش المرشح لمنصب الرئيس فى مهمة « حسن نوايا » الى بكين فى محاولة لكسب نقاط بين الناخبين بشأن الاسلوب المعتدل والحساس لادارة ريجان .

ولكن ، بدلا من ذلك ، نجد ان ريجان المولع بالبلاغة الخطابية قـد نسـف مهمة ريجان البراجماتية قبل ان تبدأ ، وذلك عندمـا انخـرط فى واحـدة مـن موضوعاته الايدلوجية الاثيرة وهى : تايوان ففى ديسمبر عام ١٩٧٨ ، وافقت ادارة كارتر على ان يمثل الولايات المتحدة فى تايوان مـكتب خـاص يضـطلع بالعمل فيه دبلومـاسيون امـريكيون ، غير ان ريجـان ، الصـديق المخلص لتايوان ، قد استشاط غضبا لرؤية حليف قديم يعامل على هذا النحـو . ولذلك اعلن خلال حملته الانتخابية فى شهر مايو ١٩٨٠ انه لو تم ترشيحه رئيسـا ، سيسعى الى اعادة « العـلاقات الرسـمية » مـع تايوان ، التى يطلق عليهـا « جمهورية الصين الحقيقية » . ومن ثم ، وعلى الرغم مـن اهتمـامه المتوازى بتوسيع نطاق العلاقات بين واشـنطن وبكين اعرب الصـينيون عن غضـبهم بسبب اعادة اثارته لقضية تايوان واحيائها مـن جـديد وهـاجمت صـحيفة « الشعب » الصينية ريجـان بقـولها « انه يعتزم اعادة عقـارب السـاعة الى الوراء ، وانه يدير السياسة الخارجية الامريكية وكأنه توجد دولتان صينيتان . ان هذا امر بالغ الخطورة . »

ولذلك ، اتجه ريجان الى الحديث عن قضايا اخرى اقرب الى الاهتمامات الداخلية ، بينما حاول ريتشارد آلن اصلاح ما افسده وانهاء الجدل الذى اثير حول مسألة تايوان . فقد اكد فى شـهر يوليو ان ريجـان قـد تخلى عن فـكرة استئناف « علاقـات رسـمية » مـع تايوان ، وانه لم يكن يعتزم تغيير الامـر الواقع ، ومن الجدير بالذكر أن آلن يدرك أكثر من ريجان متاعب الدبلوماسية ، وشروط الاتفاق الدبلوماسى الامـريكى الصـينى ، والدقـائق الفنية لقـانون العلاقات مع تايوان الذى يعرب عن موافقة الكونجرس على اقامة علاقات غير رسمية معها .

ورغم ذلك ، وبينمـا كان بوش يسـتعد لركوب الطـائرة التى تقله الى الصين ، آثار ريجان من جديد هذا الموضـوع الشـائك الخـاص بالعـلاقات الرسـمية مع تايوان فى مـؤتمر صـحفى عقـده فى مـطار لوس انجلوس فى

١٨ أغسطس ١٩٨٠ . ومن ثم ، نجد انه فى الوقت الذى كانت تحلق فيه طـائرة بوش فوق المحيط الهادى ، انتقدت بكين ريجـان بسـبب مـوقفه « الوقـح » « والسخيف » الذى من شأنه ان يدمـر ، فى الواقـع ، المبدأ الاسـاسى لتطبيع العـلاقات بين الولايات المتحـدة والصـين ، والذى يؤثر بالتأكيد على تطبيع العلاقات بين البلدين . وبعبارة اخـرى ، نختارهـا نحـن ، كانت بكين تقـرع ريجان .

وطوال عدة ايام حرجة ، وبينما بوش يحاول خلالها ، اثناء تناوله العشاء فى بكين ، طمأنة مضيفيه الصـينيين بأن ادارة ريجـان لا تعتزم تغيير شروط العلاقات التى تم المو فقة عليها ، طوال ذلك واثناءه استمر ريجـان على نحـو اخرق فى اشاعة الارتياك فى امريكا فقـد عاد مـرة اخـرى الى الحـديث عن « العلاقات الحكومية الرسمية » مع تايوان . ولذلك ، واثناء ان كان بوش يغادر بكين ودعه الصينيون بطريقة عاصفة ، قائلين : « ان مهمته قد فشلت فى طمأنة الصين تجاه نوايا ريجان » .

وعندما عاد بوش الى كاليفورنيا ، عقد هـو وريج ن مـؤتمرا صـحفيا فى ٢٥ أغسطس خضع خلاله ريجان للواقع ــ ان الصين اكثر اهمية من تايوان ، وقد سبق السيف العزل . واعترف بتصريحـاته السـيئة السـابقة وتخلى عن اضراره على اقامة « علاقات رسمية » مـع تايو ن . ولجـأ ريجـان الى بعض التبريرات ، عندما اكد انه طالما ان المكتب الامريكى فى تايوان يكتظ بعدد كبير من العاملين فيه من الدبلوماسيين الامريكيين ، فمن النفاق الواضح ان ندعى ان هذا المكتب يعد وكالة غير رسمية ــ على الرغم من ان هـذا هـو مـا قـاله ريجان نفسه فيما مضى ــ وقال ريجان انه سيعتبر منذ الآن فصاعدا أن هـذا المعهد له سمة رسمية فى الواقع ، وان لم يكن فى الاسم .

وهكذا ، انتهى هذا المشهد بالنسـبة لريجـان ، واصـبح ريجـان (البراجماتى) يؤكد منذ ذلك الحين ، على نحو أقـوى مـن ذى قبل ، رغبته فى تشجيع « النمو السريع أى لعلاقات امريكا مـع الصـين ، على الرغم مـن انه لم يحدد بوضوح ما يعنيه هـذا ، هـل يعنى تزويد الصـين ببعض المعـدات العسكرية وتنسيق الاستراتيجيات فيما بينهـم وصـولا الى احتواء الاتحـاد السـوفيتى . وكذا دعم التبادل التجـارى والثقـاف بين البلدين ؟ وأيا كان ما يعنيه ، فانه كان يبدو أكثر توافقا مـع سـياسة كارتر بشـأن الصـين كلما اقترب من موعد الانتخابات . ومع ذلك ، يعد ريجان الآن مقيدا فى حركته ، اذ تستمر بكين فى انتقاداتها وغضبها . وقد بدأ ريجـان فترة رئاسـته بميراث

جديد من عدم الثقة فى بكين بسبب تصريحاته الخرقاء الأمـر الذى كان يتعين عليه ان يتغلب عليه .

وقد يكون هذا الحادث برمته دلاله على نوع الصعوبات التى قد يواجهها ريجـان ـ قـوى عالمية كبرى أخـرب ـ مثل اوربا ـ وذلك بسـبب عدم خبرته النسبية وحساسيته تجاه التغييرات التى طـرأت خـلال العقـد أو العقـدين الماضيين . والواقع ان دافع ريجان لدعم التحالف الغربى يتوازى مع المنهـاج الاساسى لكارتر فى هذا الصدد . ولكن اذا كان كارتر لم يحظ باحترام دائم من جانب الزعماء الاوربيين بسبب فشله فى ان يقدر بشكل كاف وجهات نظـرهم المستقلة ، فان ريجان قد يعقد هذه المشكلة .

ويلاحظ (جون سـيرز) ـ المحـامى بواشـنطن والذى تولى ادارة حملة ريجـان الانتخـابية عام ١٩٧٦ وعام ١٩٨٠ الى ان فصلـه ريجـان اوائل ١٩٨٠ ـ انه : « توجد فجوة جيل بين ما يعتقد ريجـان انه يعـرفه عن العـالم وبين الواقع . ان عالمه هـو عالم ١٩٥٢ . انه يرى العـالم فى اطـار الاسـود والابيض . ولا بأس من ذلك اذا ما كان لديه وزير خارجية ومسـتشار للامـن القومى جيدين . والواقـع ان الشىء الخـطير ليس الروس ، وانمـا المواقـف الأخرى التى تتجاوز مواقف الروس . فسوف يشعر ريجان بالقلق اذا ما وجد ان بعض بلاد اوربا الغربية الصديقة تنتقد عددا مـن القضـايا . فهـو يعتزم تحقيق وحدة فى الاهداف والتكنيكات على السواء للتصدى للروس .

والواقع ان التعامل مع دول التحالف الغربى سـيكون اختباراً اسـاسيا لمدى قدرة ريجان على التكيف . فقد جاء الى السـلطة دون ان يفـطن ، فيمـا يبدو ، الى ان النفوذ الامريكى داخل التحالف قد تضاءل الى حد كبير كنتيجـة طبيعية للبعث الاوربى ذلك ان رؤيته للامور تنطبع بسمة العصر الاكثر بساطه حين كانت القوة الامريكية بارزة بحيث تحدد قرارات واشـنطن مسـار حلف الاطلنطى . وفى الوقت الحاضر ، وعلى الرغم من حديثه عن تحسـين التعـاون بين دول التحالف ، يؤمن ريجان بالفلسفة الامريكية ذات الطابع الفـردى التى تفترض انه اذا ما دللت امريكا على وجود زعامة قوية فيهـا ، فـان الحلفـاء المخلصين سوف يتبعونها كامر طبيعى .

وتبعا لوجهة نظر ريجان التى تتسم بمزيد مـن الكآبة والحـزن نجـد ان الصعوبات الراهنة التى تعانى منها امريكا فى علاقاتها مع حلفائها ترجع الى زعامة كارتر المترددة والانزلاق الاستراتيجى فى اطار المنافسـة القـائمة مـع موسكو . ويرى ريجان ان كارتر قد سبب الارتباك بدفعه قنابل النيوترون الى

المسرح الاوربى ، ثم تراجع وغير موقفه عندما اعرب الالمان عن استعدادهم للتعاون معه . ويقصد ريجان من ذلك انه فى الامكان تحقيق توافق أوسع نطاقا عن طريق الضغط فى اتجاه نشر قنابل النيوترون دون ان تعبأ بالانقسامات بين الدول الاوربية حول موضوع ، او المعارضة الشعبية التى تواجه بعض الحكومات التى تبدى استعدادها للمضى فى هذا السبيل ومما لا شك فيه ان تأكيد ريجان على الاستعداد العسكرى من شأنه ان يرفع الروح المعنوية فى بعض الدوائر الاوربية . غير ان حديثه المتشدد بشأن التصدى للروس قد اثار بالفعل القلق لدى الاوربيين الاخرين . ومن ثم يعتبر الدرس المستفاد الذى يتعين الانتباه اليه فى المستقبل ، هو ان زعامة التحالف تتطلب ما هو اكثر من اطلاق صرخة مدوية معينة .

وقد عمد ريجان ، فى اول مؤتمر صحفى عقده اثر انتخابه الى اشاعة الطمأنينة بين الحلفاء ، واكد اهمية الاوربيين ، واعرب عن رغبته فى اقامة علاقات « وثيقة جدا » مع فرنسا ضمن غيرها من الدول الاوربية . غير انه لم يبد — فى اطار التناسق البسيط لفكرته عن الاستقطاب الثنائى الدولى — سوى قدر ضئيل من الفهم بأن الزعماء الاوربيين ، مثل الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان ، يرون ميزة ايجابية فى وجود اوربا مستقلة وقوية وقادرة على التعامل على قدم المساواة مع الولايات المتحدة وان تدبر شئونها مع الروس بدلا من ان تتحدث واشنطن نيابة عن الغرب المتحد ، والواقع انه فى ظل البعث الاوربى ، يشع التنافس الاقتصادى والقوى الطاردة المركزية ، تشبع الانقسام بين الدول الغربية ، ناهيك عن المكائد السوفيتيه والقصور فى الترسانة العسكرية الغربية . ولذلك اذا ما عامل ريجان اوربا باعتبارها فرعا من فروع العلاقة الامريكية السوفيتية ، فانه سوف يواجه المتاعب .

وليس ادل على ذلك من انه خلال الحملة الانتخابية ، عندما كان الزعماء الاوربيون يعرقلون الاجراء الانتقامى الذى اتخذه الرئيس كارتر بشأن حظر تصدير الغلال للروس ، كان ريجان يشكو من ان هذا الاجراء معتدل للغاية . ذلك ان ريجان كان يدعو الى فرض مقاطعة اقتصادية كاملة ضد الاتحاد السوفيتى ، الامر الذى يكشف عن ادراك ضئيل من جانبه بأن الالمان والفرنسيين ودول القارة الاوربية الاخرى لا يحبذون المواجهة مع موسكو بشأن افغانستان لأن سياسة الوفاق تحقق لهم فوائد اقتصادية اكبر مما تحققه لامريكا واذ ما اتبع ريجان دوافعه اليمينية التاريخية الخاصة بالتصدى للروس ، فمن المرجح ان يجد نفسه وحيدا وليس معه سوى تأييد

لا معنى له من جانب الحلفاء . وفى هذا المقام ، ومثلما كان الحل بالنسبة للصين ، يترجح ان يضطر ريجان (البراجماتى) الى تعديل موقفه .

ومن الواضح ان السناتور هوارد بيكر من تنيسى كان يتكهن بالصعوبات الكامنة فى المستقبل عندما اصدر تقريرا اثر زيارة قام بها لاوربا فى اغسطس ١٩٨٠ جاء فيها ان الاستجابة الاوربية الموحدة تجاه افغانستان قد عرقلها فى اوربا ، تفسيرات الحياد المختلفة عن تفسير المراقبين الاكثر حصانة فى الولايات المتحدة وقال بيكر « انه وجد ان الاختلاف الجوهرى يتركز حول طبيعة السياسات العسكرية والسياسية اللازمة لادارة علاقات مستقرة بين الشرق والغرب » ويعنى هذا بتغييرات محددة ، انه فى الوقت الذى كان فيه خبراء ريجان يتحدثون عن ضرورة تحقيق زيادة تتراوح من ٧ الى ٩ فى المائة فى الميزانية العسكرية (زيادة حقيقية بعد تقدير معدل التضخم) ، نجد المستشار الالمانى شميت يصرح بأن المشكلات الاقتصادية التى تعانى منها المانيا الغربية قد تحول بينها وبين والوفاء بهدف زيادة الانفاق الدفاعى لبلاده بنسبة ٣ فى المائة سنويا .

وتشكل المنافسات الاقتصادية وكذا الاساليب المختلفة بالنسبة للحاجة المشتركة لاستيراد الطاقة كذلك ــ الاسافين التى تثير الارتباك فى التحالف الغربى . ولم يبد ريجان حتى الان سوى قدر ضئيل من التقدير للطريقة التى تختلف بها امريكا واوربا حول هذه المسألة . ذلك ان الاوربيين ــ الذين يشعرون بأنهم اكثر اعتمادا على بترول الشرق الاوسط من امريكا ومن يشعرون بأنهم اكثر منها عرضة للاصابة بآثاره فى حالة فرض العرب حظرا بتروليا اخرا وقطع امداداته عند نشوب حرب اقليمية ــ قد اتخذوا منهاجا مختلفا فى دبلوماسيتهم وقد ينتهون بمزيد من الخلاف مع ريجان أكثر مما كانوا مع جيمى كارتر .

ورغم ذلك ، يعتبر مما يدعوا الى التفاؤل ، ان كلا من ريجان وبرنامج الحزب الجمهورى يتحدثان عن العمل على احياء منظمة حلف شمال الاطلنطى وعن توسيع نطاق الحماية الامريكية الى مناطق استراتيجية مثل المحيط الهندى . وقد توفر الحرب العراقية الايرانية ــ التى آثارت حافزا غربيا مشتركا لحماية التدفق الحيوى للبترول عبر الخليج الفارسى ومضايق هرمز ــ منفذا لهذا النوع من التعاون الذى تود ادارة ريجان اتباعه .

وقد تنجح الدبلوماسية الماهرة . ولكن اذا ضغط فريق ريجان من اجل اقامة بنيان جديد للتحالفات الاقليمية ، فى ضوء ما حدث خلال الخمسينات ،

فانهم سيواجهون شركاء مترددين فى اوربا . ذلك انه باستثناء المواقف الحادة للغاية ــ وهى مواقف مؤقته عادة ــ لا يشارك الزعماء الاوربيون ريجان فى ميله الى التصدى للروس أو غيرهم ممن يهددون المصالح الغربية . وبدلا من مشاركة ميل ريجان البلاغى للتهديد باستخدام القوة يحبذ الاوربيون انتهاج دبلوماسية السلام الصعبة التى تتسم بالتعاطف مع الفلسطينيين ، والتى قد تضعهم فى طريق التصادم مع ريجان . ومن ثم ، تطلع الاوربيون منذ وقت لتحقيق اتفاق سلام عربى اسرائيلى عادل باعتباره افضل ضمان طويل الامد لتوفير امداد مضطرد من بترول الشرق الاوسط للغرب .

ان العالم الثالث يعد احدى منطقتين (الاخرى هى الاتحاد السوفيتى) من المرجح ان تختلف سياسات ريجان تجاهها على نحو ملحوظ للغاية عن السياسات التى كان ينتهجها كارتر ازاءه . وعلى الرغم من ان كارتر حذر الامريكيين من ان ريجان على استعداد لاثارة المنازعات واشعال الحرب ، وانه ميال الى استخدام القوة ، نجد ان هذا ربما لا يكون المشكلة الاساسية التى يواجهها ريجان فى مناطق العالم الثالث الاكثر اضطرابا . ذلك ان ريجان يعد رجلا واثقا من نفسه ، وليس هو الرجل الذى تستبد به اسباب عدم الاستقرار الشخصى التى من شأنها ان تدفعه كرئيس الى اللجوء الى استعراض القوة لاثبات ذاته . ويعرب بعض الاشخاص الذين تتسنى لهم معرفته لفترة طويلة ، مثل (جون سيرز) عن اعتقادهم بأن ريجان لن يكون متهورا أو عدوانيا كما تصوره بلاغته اليمينية .

وليس ادل على ذلك من ان ريجان قد احجم عن استخدام القوة ، خلال احدى ازمات العالم الثالث التى كانت قائمة خلال الحملة الانتخابية . بل انه كان اقل مغامرة من الرئيس كارتر الذى حذر فى خطابه عن حالة الاتحاد فى اول يناير ١٩٨٠ من ان الولايات المتحدة على استعداد لاستخدام اية وسيلة ــ وفى ذلك القوة ــ لصد اية محاولة خارجية كفرض السيطرة على الخليج الفارسى . وعندما سئل ريجان فى سان فرنسيسكو فى مايو الماضى هل سيوجه انذارا عنيفا الى الاتحاد السوفيتى يحذره فيه من التدخل فى ايران ؟ او هل سيخاطر بأن تتخذ الولايات المتحدة اجراءات مضادة ضد موسكو ؟ اجاب بقوله : « انه سيقول ما سبق ان ردده مرارا وتكرارا خلال الحملة الانتخابية : ان امريكا ليست لديها القوة الكافية او فى وضع يمكنها بما يكفى لاصدار مثل هذا التهديد .

وتساءل ريجان . ان فى وسعنا ان نوجه انذارا ، ولكن بأى شىء سوف

ندعم هذا الانذار ؟ . واكد ان روسيا تحشد ١٥٠ الف جندي على الحدود الايرانية ، وهم يتفوقون بذلك على الامريكيين . ويقول ريجان . وعلى صعيد نقل الجنود وايوائهم وتموينهم ، فنحن نتحدث عن الاف والاف الاميال البعيدة من حدودنا . ولذلك فقد تكون الاشارة التلا يتعين علينا ان نرسلها (ضد التدخل السوفيتى) اقل فى بعدها ، وربما تكون السعودية واذا ما ارسلنا هذه الاشارة ، فينبغى ان نرسلها بالتعاون مع حلفائنا ، اليابان واوربا ، الذين يعتمدون على بترول منظمة « الاوبك » . وقد حدث مثل هذه التعليقات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى الاسبق الى ان يقول فيما بعد « ان التهور سيكون اخر مشكلة تواجه ريجان » .

ومع ذلك يترجح ان تكمن سقطة ريجان فى جهله بتعقيدات القوى التى تضطرب داخل العالم الثالث ، والتى لا يمكن التكهن بها وفى تفكيره التقليدى الذى يتجه الى تصنيف الدول الى اصدقاء او اعداء ، واقامة دبلوماسيته على هذا التقدير الوحيد . ولذلك ، وخلال سنوات حكم ريجان ، سوف يحل محل اهتمامات كارتر الاساسية بحقوق الانسان والحوار بين الشمال والجنوب والانتشار النووى جهد خاص يبذله ريجان لتكوين شركاء اقليميين يمينين فى اطار الصراع الاستراتيجى مع موسكو وممارسة الضغوط ضد أنصار الجانب الآخر .

ومن المرجح ان تتحرك ادارة ريجان فى اتجاه اقامة علاقات مستقرة ومحددة مع حلفاء مثل كوريا الجنوبية والفلبين . ولكن على عكس ذلك ، قد لا يؤدى ولع ريجان البلاغى باصدار احكامه وتقديراته على البلاد على اساس ايديولوجى ، قد لا يؤدى هذا الى نفور دول عدم الانحياز ذات الميول اليسارية مثل الهند والعراق ، واغلاق الباب امام امكانية التوصل الى مصالحة فى النهاية مع نظم ماركسية مثل انجولا ونيكاراجوا ، فحسب ، بل قد تؤدى الى اثارة المتاعب لاصدقاء مترددين مثل باكستان والسعودية والاردن الذين يتذبذبون على نحو قلق تجاه رغبتهم فى الحصول على دعم امريكى او فى وجود عسكرى امريكى فى اراضيهم .

والواقع ان اتجاه ريجان نحو دعم الاصدقاء فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ينطوى احيانا على نظرة ساذجة واضحة عن العالم وينم عن عدم خبرته او افتقاره الى النظرة الثاقبة بشأن ادراك التوترات القائمة بين اصدقاء امريكا فى الخارج تلك النظرة التى من شأنها ان تحد من مجال المناورة امام واشنطن وترغم الدبلوماسية الامريكية على السير بحذر لتجنب

اثاره غضب بعض البلاد التى يحتمل ان تصبح حليفة فى اطار النشاط الامريكى لمساندة الآخرين .

وفيما يتعلق بالشرق الاوسط ، وبينما كان كارتر يحاول اقامة علاقات متوازنة بين دوله ، كان ريجان يتحدث بحماس عن اسرائيل باعتبارها حليفا استراتيجيا للولايات المتحدة ــ مما اثار ارتياح البعض ، واثار قلق البعض الاخر . وقد اعلن ريجن مرارا وتكرارا ، ان الدعم الامريكى لاسرائيل لا ينبع اساسا من واقع وجود علاقة تاريخية خاصة بين البلدين أو من وجود التزام اخلاقى موروث من تعرض اليهود للابادة فحسب، وانما يرتكز على نحو جوهرى على حسابات الصراع العالمى ، ذلك ان اسرائيل حليف استراتيجى يمكنه ، على نحو غير محدد ، المساهمة فى تأمين منطقة جغرافية حيوية .

ويقول ريجان . ان اسرائيل هى الدولة المستقرة الوحيدة التى يمكن ان نعتمد عليها فى المنطقة عندما تنشب المعركة الفاصلة الكبرى بين الشر والخير . وان المسئولية الكبرى الملقاه على عاتق الولايات المتحدة هى حفظ السلام ــ ونحن نحتاج الى حليف لنا فى تلك المنطقة . اذ يتعين علينا ان نمنع الاتحاد السوفيتى من التسلل الى منطقة الشرق الاوسط . ولم تنجح ادارة نيكسون فى ابعاد السوفيت من المنطقة . ولو لم تكن اسرائيل موجوده فى المنطقة ، لكان يتعين على الولايات المتحدة ان تتواجد فيها . ويتحدث ريجان بتحديد اكثر ، عن تشكيل تحالف دفاعى مناهض للسوفيت من اسرائيل ومصر والسعودية ــ وهو تعديل لاستراتيجية حلف بغداد المنحل خلال الخمسينات والذى انشأه وزير خارجية امريكا الراحل جون فوستر دالاس . وفى اوقات اخرى يبدو ريجان كما لو كان يود ان ترابط قوات امريكية ، بصورة دائمة فى اسرائيل .

بيد ان ريجان باعلان صداقته ودعمه لاسرائيل ، على نحو يتسم بالحماس خلال الحملة الانتخابية ، قد تغاضى ، فيما يبدو ، علن الثمن الذى يتعين عليه ان يدفعه بين العرب اذا ما انتهج استراتيجيته هذه عندما يتولى السلطة . ذلك ان مثل هذا التأييد المتحمس للغاية لاسرائيل من شأنه الا يثير غضب العرب الراديكاليين فحسب ، بل يؤذى ايضا مشاعر العرب المعتدلين مثل السعودية وامارات الخليج والاردن . وفضلا عن ذلك ، فان بلاغة ريجان الحماسية خلال الحملة الانتخابية تشير الى انه لم يكن يرى المشكلة الفلسطينية باعتبارها موضوعا جوهريا بالنسبة للسعودية وغيرهم من العرب . وربما تحدث ريجان

باعجاب عن الرئيس المصرى انور السادات او يشير الى ان الحماية الغـربية قد تشمل النظام الملكى السعودى . غير ان سعيه الحماسى للاعراب عن دعمـه ومساندته لليهود خلال سباقه للوصول الى الرئاسة ، قـد كان بمثابة تصـديق نهـائى ، وبغير شروط ، للمـوقف الاسرائيلى ، متخليا بذلك عن السـياسة الامريكية القائمة عن طريق مساندته لاندفاع اسرائيل لاقامة المسـتوطنات ق الضفة الغربية واعلانها توحيد القدس وجعلها عاصـمتها . وقـد اعلن امـام مجموعة مبتهجة من زعماء اليهود ف نيويورك ان مدينة القدس الموحـدة تعنى سيادة اسرائيل على المدينة . اما الضفة الغربية فينبغى على اسرائيل والاردن ان تتخذا قرارا بشأنهما . وانني لن اؤيد ابدا ازالة (المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية والقدس) .

وقد استخف ريجـان ، مثله فى ذلك مثل اخـرين ، بمنظمـة التحـرير الفلسطينية باعتبارها «جماعة ارهابية » ، تربطها علاقـات تنذر بالسـؤ مـع موسكو . كما اعتبر القضية الفلسطينية مشكلة لاجئين يمكن حلهـا بالتوصـل الى معادلة حسابية ، وليس باعتبارها مشكلة سياسية معقدة ومتفجرة تنطوى على تأثيرات متشعبة على العـلاقات بين امـريكا والعـالم العـربى ، وعلى العلاقات مع اوربا . ويقول ريجـان فى احـدى المناقشـات السـياسية « ان فلسطين لم تكن بلدا قـط انهـا كانت اراضى ، ومنطقـة تحـت الانتداب البريطانى . وان الحكومة البريطانية هـى التى انشـأت المملكة الاردنية التى تشكل ٨٠ فى المائة من فلسـطين . ولذلك لم يحصـل الاسرائيليون على ٢٠ فى المائة من فلسطين . ومن ثم تبدو لى مشكلة اللاجـئين الفلسـطينين مشـكلة اردنية بنسبة ٨٠ فى المائة واسرائيلية بنسبة ٢٠ فى المائة » .

ومنهاج ريجان هذا من العسير ان يحقق اى نجاح بدون اشـتراك الاردن فى مفاوضات السلام . ومن ثم ، اعرب ريجان فور فوزه فى انتخابات الرئاسـة عن رغبته فى الاجتماع مع الملك حسين ملك الاردن . غير ان المواقـف العـامة لريجان لم ترق للملك حسين . ذلك ان ريجان قـد ذهـب ابعـد مـن اى رئيس امريكى سابق فى اختلافه مع الشروط الاردنية لتحقيق التسوية فى المنطقة عن طريق مساندته للمستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغـربية ولجعـل القـدس عاصمة لاسرائيل . وسوف تغدو وجهات النظر هـذه عقبة كأداء بالنسـبة لاى جهد يبذله ريجان لحث الملك حسين على الانضمام لمفاوضات السلام العـربى الاسرائيلى .

وفى النهاية ، اذا لم تتسم مـواقف ريجـان بالاعتدال ، ويبدأ دبلومـاسية

متعمدة لاستمالة العرب المعتدلين ، فانه قد يجد نفسه فى وضع صعب لابقاء الرئيس المصرى السادات مستمرا فى المفاوضات مع اسرائيل . ذلك ان صبر السادات كان يرتكز ، الى حد كبير ، على صداقته الشخصية مع جيمى كارتر ، وفى ايمانه بسياسة كارتر المتوازنة بين مصر واسرائيل . والواقع ان حدوث انهيار علنى لعملية السلام فى الشرق الاوسط تفجر عنفا واسعا النطاق فى منطقة مضطربة بالفعل .

ومتأخرا ، الى حد ما آثار ريجان جلبه ودية تجاه السعودية ، اكثر البلاد المورده للبترول اهمية ، والدولة التى قاومت ، مرارا وتكرارا ، زيادة اسعار بترول دول الاوبك زيادة كبيرة ، وزادت من انتاجها البترولى لمساعدة الغرب خلال الازمة الايرانية . ومن المرجح ان يختبر السعوديون ريجان بسرعة عن طريق تجديد طلبهم بشأن حصولهم على معدات متطورة من شأنها زيادة القدرة الهجومية للطائرات الامريكية طراز ا ف ــ ١٥ التى اشتروها من ادارة كارتر .

وقد رفض ريجان هذا الطلب السعودى عشية فوزه فى الانتخابات نظرا لان اسرائيل قد جاهرت بالاعتراض على بيع هذه المعدات للسعودية ، وذكرت بأن كارتر كان قد وعد مجلس الشيوخ الامريكي بعدم تزويد طائرات اف ــ ١٥ بهذه المعدات ــ. ولكن من المحتم ان تجدد السعودية طلبها لادارة ريجان الجديدة وسوف يعتبر رد فعل ريجان بمثابة حجر الزاوية لمواقفه تجاه السعودية خلال تولية السلطة .

والواقع انه لو وضع ريجان موضع الممارسة دوافعه الايديولوجية فى اى مكان آخر من العالم الثالث ، فسوف يتمخض هذا عن اثارة الانقسامات التى سعى كارتر الى تجنب حدوثها . ففى امريكا اللاتينية مثلا يترجح ان يتجه ريجان الى دعم علاقات امريكا مع الارجنتين والبرازيل وشيلى ــ وهى البلاد التى كانت العلاقات متوترة بينها وبين ادارة كارتر حول حقوق الانسان . وعلى العكس من ذلك سوف تؤدى سياسته الى وقوع مصادمات دبلوماسية ــ وربما ما هو اكثر من ذلك ــ مع كوبا بزعامة فيدل كاسترو واليساريين فى منطقة الكاريبى .

وقد قال ريجان نفسه ان امريكا اللاتينية هى حجر الزاوية فى العلاقات الامريكية مع العالم الثالث وساحة المعركة المتزايدة مع الشيوعيين . وقد انتقد ادارة كارتر بسبب تجاهلها الحقائق السياسية وخلافها « المثالى » مع بلاد مثل البرازيل والارجنتين وحذر من تصاعد التهديد اليسارى فى نيكاراجوا

والسلفادور ، واجواتيمالا وهندوراس . وانتقد بشدة كارتر لمساعدته الحكومة الساندينستا اليسارية فى نيكاراجوا . غير ان مخاوف ريجان الاساسية تتجه نحــو كاســترو الذى يقـــوم بدور العميل للكرملين ، والذى يثير الثورة والاضطراب حول الكاريبى بقصد تحويله الى « بحر احمر » على حــد وصــف ريجان ، مما يؤدى فى النهاية الى ابتلاع المكسيك وترك الولايات المتحدة ولهــا جار معاد وغنى بالبترول على حدودها الجنوبية .

ولقد كان السمة الاساسية لمنهاج ريجان تجــاه امــريكا اللاتينية طــوال سنوات ، تتمثل فى حملته العنيفة على المعــاهدات الخــاصة باعادة قناة بنمــا وانهاء السيطرة الامريكية عليها . وكان يقول فى هــذا الشــأن : لقــد شــيدنا القناة . ودفعنا ثمن ذلك انها قناتنا . وسوف نعمل على الاحتفاظ بهــا . والان قد تم التصديق على معاهدة قناة بنمــا ، ولذلك اكتفــى ريجــان البراجمــاتى (العملى) الذى اثار ذلك الامر حنقه ، اكتفى بالتحذير من أنه يتعين على بنما ان تلتزم بروح المعاهدة ونصها .

والواقع ان برنامج الحزب الجمهــورى قــد اطلق نفير المعـــركة ضـــد اليساريين فى الكاريبى ، غير ان ريجــان فى خــطبه اســاسية عن الســياسة الخارجية القاها فى ١٩ اكتوبر ١٩٨٠ وعد ببدء برنامــج للتنمية الاقتصــادية المكثفة بالتعاون مع بلاد الكاريبى وكان ريجان ، فيما يبدو ، يفرق ، فيما وراء سطور خطبته ، بين اليساريين بصفة عامة وبين الموالين لكاسترو والكرملين ، واوحى على نحو غامض باحتمال تقديم المعــونات الفنية والمالية لاولئك الذين يحصلون على المساعدات الامــريكية . غير ان الممــارسة وحــدها هــى التى ستحدد من سوف تشملهم هذه المعونات .

وأيا كان الأمر ، فمن الواضح أن ريجان يعتزم انتهــاج ســياسة نشــطة تجاه المكسيك لا بسبب أهميتها وثروتهــا ومســاحتها الشــاسعة فحســـب وإنما لأنه تعامل شخصيا أبان توليه منصب حاكم كاليفــورنيا مــع مــوضوع المهاجرين المكسيكيين غير القانونيين ، وزار خلال ترشيحه للرئاسة المكســيك وتحدث مع الرئيس لوبيز بورتيلك . ثم تحدث عندما عاد إلى الوطن عن اتفــاق الشمال الأمريكى الذى يضم المكســيك وكندا والولايات المتحــدة وهــو أحــد التحويلات الحقيقية فى السياسة الخــارجية خــلال حملته الانتخــابية . وكان تصور ريجان لهذا الاتفاق يتمثل فى اقامة مجلس ثلاثى لتمكين الجيران الثلاثة من التعامل على نحو فعال مع القضايا التى تنشأ بســبب اقتصــادياتهم التى يعتمد بعضها على البعض الآخر . كما عاد إلى الوطن وهو يدافع عن ســياسة

فتح الحدود الأمريكية أمام العمال المهاجرين المكسيكيين ، وهو واثق من أن هذه الدعوة ستجد استجابة لدى أصحاب المشروعات الزراعية الأمريكية فى الولايات الجنوبية والغربية الذين يساندون ريجان غير أن هذه الدعوة كانت تستهدف كذلك احتمال تخفيض التوترات السياسية بين أمريكا والمكسيك وقال ريجان عن المكسيك : لم لا نتوصل إلى إتفاق بشأن مشاكلنا المتبادلة يجعل من الممكن بالنسبة لهم ان يأتوا هنا بطريقة قانونية مع تصريح عمل ، « فهذا هو صمام الأمان الوحيد الذى يتوافر لهم الآن فى ظل البطالة والذى من المحتمل أن يؤدى إلى عدم إنفجار الاناء الذى يغلى هناك » .

ويؤكد مساعدو ريجان ان موقفه تجاه المكسيك يشير الى مرونته اذا ما تسنى له ان يعرف الموقف معرفة مباشرة . ويقولون : انه ليس متصلبا ايديولوجيا بحيث لا يمكنه العمل مع حكومة يسارية تأخذ بنظام الاقتصاد المختلط مثل المكسيك ، وخاصة اذا ما كان يوجد شبح تجاهلها على نحو خطر الى اقصى اليسار وهكذا ، فان « بعبع » التطرف الماركسى او الدب السوفيتى قد يتخذ اكثر القرارات البراجماتية لادارة ريجان تجاه العالم الثالث .

وحتى الان فان ابرز تحول عن السياسة الخارجية فكارتر يتمثل فى منهاج ريجان تجاه الاتحاد السوفيتى فقد رفض « وهم الوفاق » الذى زعم انه هدأ من مخاوف الغرب وجعله يتوقع ان يمارس السوفييت ضبطا للنفس فى جميع انحاء العالم وبالنسبة لسباق التسلح وقد اقسم بان يسحب من مجلس الشيوخ معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية التى جرى التفاوض بشأنها من ١٩٧٢ حتى ١٩٧٩ والتى وقع عليها كارتر وبريجنيف فى فيينا باعتبارها معاهدة تفيض بالعيوب التى تسمح للسوفيت بالمضى قدما فى استعداداتهم العسكرية بينما تقيد الولايات المتحدة أو تجمد الولايات المتحدة وضع ادنى بصفة دائمة على نحو ما يحلو لريجان ومستشاريه وصف هذه المعاهدة وكان ريجان حتى قرب نهاية حملته الانتخابية يتحدث لغة المواجهة مع السوفيت غير انه خلال الاسبوعين الاخيرين ، بينما كانت احتمالات نتائج الانتخابات معلقة ، اتخذ موقفا اكثر (براجمانية) واقسم منهاجه بالتوازن تجاه الحد من الاسلحة والتعاملات العامة مع الروس على السواء .

بيد ان مواقفة الاخيرة جاءت مخالفة لوجهات نظره العميقة التى يؤمن بها منذ أمد طويل حول وجود خطة شيوعية لغزو العالم وان الولايات المتحدة ستكون الهدف النهائى لهذه الخطة وليس ادل على ذلك من ان ريجان فى خطبته التليفزيونية الشهيرة فى عام ١٩٦٤ والتى كان يدعو فيها لتأييد

السناتور باري جولد ووتر المرشح الجمهوري للرئاسة آنذاك طرح الصراع العالمي في عبارات درامية وخطيرة حيث قال اننا في حالة حرب مع اخطر عدو واجه البشرية من قبل في سعيه الحثيث للصعود من المستنقع الى النجوم ويقال اننا اذا خسرنا هذه الحرب ـ وبذلك نفقد الحرية التى نتمتع بها ـ فان التاريخ سيسجل بدهشة بالغة ان الذين كان لديهم الكثير مما يتهدده الضياع كانوا أقل الناس بذلا للجهد للحيلولة دون فقدانه .

ويرى ريجان ان المخاطر التى تحدق بالغرب قد بلغت ذروتها فى عصر الوفاق بسبب التوقعات الزائفة . وقد تساءل ريجان فى ربيع عام ١٩٨٠ أين ضبط النفس السوفيتى الذى جرى الوعد به فى اتفاق الوفاق عام ١٩٧٢ ؟ هل يبدو فى الحشد العسكرى السوفيتى فى كوريا الشمالية ؟ أو فى الجزر المحتلة فى شمال اليابان ؟ هل رأيناه فى ضم هانوى للهند الصينية ؟ فى التواطؤ السوفيتى لتجويع شعب كمبوديا ـ ؟ فى تقديم السوفيت للغاز السام الذى استخدم ضد رجال القبائل فى تلال لاوس ؟ هل يتضح ضبط النفس الروسى فى تدخلهم العسكرى الى جانب وكلائهم الكوبيين فى الحروب فى انجولا واثيوبيا ؟ هل يبدو فى غزوهم الامبريالى لدولة أفغانستان المحايدة والمستقلة حيث عدموا الرئيس العميل الذى عينوه وعائلته بأسرها وفيها أبنته ذات الثلاث سنوات ؟ .

وايا كان الامر ، فان ما يثير ثائرة ريجان الى حد كبير هو اندفاع موسكو لتحقيق التفوق النووى الاستراتيجى ، الذى اذا لم يتم كبح جماحه وتحقيق التفوق عليه فانه سيهدد الغرب ويضعه امام خيار نهائى هو إما الحرب أو الاستسلام على حد قول ريجان للمحاربين القدماء فى شيكاغو فى اغسطس ١٩٨٠ وأكد ريجان ان السوفييت يريدون تحقيق السلام والانتصار معا . فهم يسعون لاحراز التفوق فى مجال القوة العسكرية التى من شأنها فى حالة نشوب مواجهة ان تضعنا امام خيار لا يمكن قبوله وهو اما الخضوع أو الدخول فى النزاع .

وقد قال ريجان فى ربيع ١٩٨٠ « اننا نواجه وضعا يتفوق فيه عدونا الاساسى وهو الاتحاد السوفيتى فى كافة مجالات القوة العسكرية ثم قررنا فيما بعد ان السوفيت يتفقون علينا (فى كافة فئات القوة العسكرية الاستراتيجية الاربعين) باستثناء ست أو ثمان منها ، وقد يتفوقون علينا بالنسبة لها كذلك اذا ما استمرت الاتجاهات ، الحالية ويرى ريجان ان موسكو انفقت خلال العقد الماضى ٢٤٠ مليار دولار وهذا أكثر مما انفقته واشنطن على الدفاع ، وان انفاقها الدفاعى يزيد عن امريكا الان بحوالى ٥٠ مليار دولار سنويا ».

ولقد كانت اسباب القلق هذه تساور المحافظين والصقور طوال سنوات عديدة بيد انهم حققوا الان اجماعا عريضا فى الرأى بين صانعى السياسة فى واشنطن ويعبرون عن الحالة النفسية الشعبية السائدة ويمكن لفريق ريجان ان يستشهد فى هذا الصدد لا بخبرائه فحسب بل بكبار العسكريين فى ادارة كارتر . وليس ادل على ذلك من انه فى الوقت الذى كان فيه ريجان يذكر المشاهدين فى خطبته التليفزيونية فى ١٩ اكتوبر ١٩٧٩ بالتفوق العسكرى السوفييتى ومخاطره على الغرب ، اعربت لجنة الخدمات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ عن قلقها تجاه اتجاهات سباق التسلح حتى انها توصلت فى ديسمبر ١٩٧٩ الى ان معاهدة سولت ـ ٢ بوضعها الراهن ، لا تتفق مع مصالح الأمن القومى للولايات المتحدة الامريكية .

غير ان ما هو اكثر دلالة واهمية ان مؤيدى ريجان وانصاره كانوا مسلمين بأول اعتراف يدلى به هارولد براون وزير دفاع كارتر حيث اقر بان الاتحاد السوفيتى قد طور قواته النووية على نحو كبير فى أواخر ١٩٨٠ بحيث يمكن تدمير الترسانة الامريكية التى تضم ١٠٥٤ صاروخا ارضيا خلال وقت قصير كنتيجة اولى لوقوع هجوم سوفييتى مفاجىء وعلاوة على ذلك وبسبب تحسن المقدرات العسكرية السوفيتية على نحو أسرع مما توقعت المخابرات الامريكية منذ عاما أو عامين مضيا ، اكد براون ان البرامج السوفيتية من شأنها ان تهدد على اقل تقدير امكانية نقاء كل عنصر من عناصر قواتنا الاستراتيجية ـ الطائرات القاذفة والغواصات وكذا الصواريخ الارضية من طراز أ .س . س . ام غير ان براون غير فيما بعد تقديره هذا تغييرا طفيفا ولكن حجة ريجان كانت قد تدعمت بالفعل .

وتقضى استراتيجية ريجان فى هذا الصدد بسحب اتفاقية سولت ـ ٢ الخاصة بالحد من الاسلحة الاستراتيجية وممارسة ضغوط على الزعماء السوفيت حتى يوافقوا على اتفاقية اكثر ملاءمة لواشنطن وذلك عن طريق مواجهة الكرملين بتحقيق دفعة اساسية عسكرية جديدة بحيث يتسنى سد الفجوة القائمة مع موسكو والوصول فى النهاية الى وضع عسكرى متفوق وذلك تبعا لما ورد على نحو يتسم بالتفاؤل فى برنامج الحزب الجمهورى ورغم ذلك نجد ان مفهوم التفوق نتيجة الجدل والخوف لدى الكثيرين من الناخبين الامريكيين لدرجة ان مجرد ذكره يجدد ، المناقشات القلقة حول احتمال سباق التسلح الى ما لا نهاية الامر الذى قد يقوض نهائيا احتمالات الحد من الاسلحة وقد وجد ريجان خلال الحملة الانتخابية ملاذا فى اعلان غامض قال

فيه انه يريد استعادة « هامش الامن » بالنسبة لامريكا وقد استنتج المحافظون ان هذا يعنى التفوق بينما داعبت الآمال المعتدلين والليبراليين بأن هذا التعبير يعنى شيئا أقل .

ويقول ريجان فى حديث هام ادلى به لوكالة الاسوشيتد برس فى اول اكتوبر ١٩٨٠ ان اعتراضى يتركز على « معاهدة سولت ــ ٢ » وليس على الحد من الاسلحة ذلك ان هذه المعاهدة تضفى الشرعية على سباق التسلح فهى تبدأ باطلاق يد الاتحاد السوفيتى لانتاج اكثر من ٣ الا صاروخ ومن ثم يكون فى وسعنا ان ننتج عددا من هذه الصواريخ لنلحق بالاتحاد السوفيتى ولن يتسنى لنا اللحاق به الا عام ١٩٩٠ . ولذلك اعتقد انها معاهدة مليئة بالعيوب والثغرات القاتلة وانها لا تتعلق بالحد من الاسلحة واذا ما كان ينبغى علينا ان نقضى حقا على الخطر الذى يهدد العالم فى الوقت الحاضر فان علينا ان نجلس معا لنتوصل الى اتفاق يؤدى بصورة عادلة الى خفض الاسلحة الاستراتيجية (للجانبين) بحيث لا يمكن لأى منا أن يهدد الآخر .

غير انه يصر على ضرورة ان يختلف الموقف الامريكى من مباحثات السلاح عما كان عليه فى الماضى ويقول ريجان لا اعتقد انه يتعين علينا ان نجلس على مائدة المفاوضات مثلما كنا نجلس فى الماضى لقد تم نزع سلاحنا من جانب واحد فى نفس الوقت الذى كنا نتفاوض فيه حول الحد من الاسلحة المفترض ان يقوم به الجانب الاخر ، وكل ما فعله الجانب الاخر هو الجلوس على المائدة دون ان يتخلى عن اى شىء فى الوقت الذى يتزايد فيه تفوقه العسكرى وسوف يكون اكثر ميلا الى التفاوض بنية حسنة اذا ادرك ان الولايات المتحدة تضطلع ببناء قوتها العسكرية فهم يعرفون قوتنا الصناعية وهم يعرفون قدرتنا وان الورقة التى ضاعت فى هذه المفاوضات هى احتمال استمرار سباق التسلح ، والان يتسابق السوفيت فى هذا المضمار دون ان ينافسهم احد اذ لا يوجد متسابق اخر . ومن ثم اعتقد اننا يمكننا ان نحصل على الكثير على مائدة المفاوضات اذا علموا ان الوقت الذى يستمرون فيه فى سباق التسلح يواجهون فيه قدرتنا الصناعية وهذا ما يمكننا ان نفعله .

ويستطرد ريجان قائلا : إن اهدافه تتمثل فى اقناع الكرملين بقبول خفض مطلق فى الاسلحة او تحسين الوضع الدفاعى الامريكى الى حد القضاء مرة

اخرى على احتمال الضربة الوقائية (السوفيتية) . ورغم ذلك تجنب ريجان ومساعدوه خلال الحملة الانتخابية تحديد فترة زمنية او تخصيص الميزانية اللازمة للدعم العسكرى الامريكى المتوقع . وقد اكتفى لأيجان بان تعهد ببساطة بانفاق كل ما هو ضرورى لتحقيق ذلك الهدف .

وعلى الرغم من عدم تحديد ريجان لارقام الميزانية اعرب بوضوح عن رغبته فى اعطاء الاولوية للانفاق الدفاعى لا بالنسبة للبرامج الداخلية فحسب وانما بالنسبة لموازنة الميزانية كذلك بالرغم من انها احد اهدافه التى ينشد تحقيقها على المدى الطويل ويقدر بعض مستشاريه ان ميزانيات ريجان الدفاعية من الان وحتى ١٩٨٥ ستبلغ ما لا يقل عن ٥٠ مليار دولار وربما تصل الى ٢٥٠ مليار دولار اكثر مما اعتزمت ادارة كارتر انفاقه .

بيد ان الامر يقتضى مزيدا من الاموال للانفاق الدفاعى وذلك تبعا لتوصيف ريجان ويقول ريجان انه اذا ما كان على امريكا ان تحقق السلام من خلال القوة فان عليها ان تستعيد ارادتها وحزمها كما يتعين عليها ان تتخلص مما يسميه الاغراض المرضية لحرب فيتنام ويؤكد ان دروس هذه الحرب لا تتمثل فى انها كانت حرب خاطئة او غير اخلاقية وانما تتمثل ببساطة فى الاتى ، اذا ما ارغمنا على القتال فينبغى ان تكون لدينا الوسائل والتصميم لتحقيق النصر او سوف تكون حوزتنا خالية مما يعيننا على تحقيق السلام .

وقد حذر الرئيس كارتر ، فى سعيه للاستفادة سياسيا من طابع برنامج ريجان الذى ينذر بالسوء ، من ان منافسه يدفع الامة نحو الحافة النووية . وقال ان ريجان يبدو ساذجا بطريقة غير عادية تجاه سباق الاسلحة النووية والسيكولوجية السوفيتية وانه لا يفهم خطورة عواقب ما يدعوا اليه . وذكر كارتر انه من واقع تجربتى ، سيكون افتراضا ساذجا ان نتصور ان استجابة السوفيت تجاه كافة هذه الاجراءات ستتمثل فى الموافقة على تقديم تنازلات واجراء تخفيضات جديدة فى الترسانة النووية السوفيتية . وعندما يقول كارتر هذا يتعين تدبر هذه النقطة التى يثيرها ، فيما يبدو ، بصفة خاصة وذلك ان كارتر قد بدأ تولية السلطة عام ١٩٧٧ بطرحه جانبا جهود نيكسون وفورد نحو التوصل الى اتفاقية سولت ــ ٢ ، واوفد وزير خارجيته سيروس فانس الى موسكو فى محاولة لاقناع السوفيت لاجراء خفض هام فى أسلحتهم . غير ان موسكو رفضت بشدة هذه الفكرة بل وآدانتها علانية . وارغمت ادارة كارتر على احياء صيغة فيلاد بفوستك التى توصل اليها عام ١٩٧٤ الرئيس الامريكي السابق فورد ، واستخدمها كأساس للاتفاقية الجديدة للحد من الاسلحة .

وقد هاجمت الصحف السوفيتية ، خلال الحملة الانتخابية ، ريجان باعتباره عدوانيا وجاهلا ، لا يتذكر اسم الرئيس الفرنسى ، ويخلط بين فيتنام الشمالية وكوريا الشمالية ، ويشير مرارا وتكرارا الى اندونيسيا باعتبارها الهند الصينية . غير ان الصحف السوفيتية غيرت لهجتها بعد الانتخابات ، بسبب السياسة الواقعية التى توجه التفكير السوفيتي . فلم تغلق موسكو الباب على الفور امام منهاج ريجان الخاص باتفاقية سولت . وابلغ السوفيت الوفد الامريكي الذى زار موسكو فى نوفمبر ١٩٨٠ أن الامر يتوقف على الادارة الجديدة بشأن اقتراح التغييرات المرجوة فى اتفاقية سولت ــ ٢ وقد شجع استعداد موسكو للاستماع بعض افراد الوفد الامريكي . وقد نظر برجنيف فى ١٧ نوفمبر ، الى اسلوب ريجان البلاغى فى حملته الانتخابية باعتباره شيئا عفى عليه الزمن ، وأكد ان اية اجراءات بناءة تتخذها واشنطن سوف تحظى برد فعل ايجابى من جانبنا .

غير ان الممارسة لن تحول هذا الى امر يشير بالامل كما يبدو فقد قال (لينكولن بلمونيلد) المتخصص فى الحد من الاسلحة وله خبرة طويلة فى التعامل مع الروس ، واحد الذين اشتركوا فى المباحثات الامريكية السوفيتية غير الرسمية « ان الاجتماع الاخير كان واحد من اكثر الاجتماعات الكئيبة التى شهدتها . واعتقد ان السوفيت كانوا متشائمين للغاية فى تقديراتهم للفترة القادمة » .

وايا كان ما يقال فى العلن ، فان ريجان يتحمل ازدراء الزعامة السوفيتية بسبب رفضه لاتفاق حول الحد من الاسلحة الاستراتيجية تفاوض بشأنه رئيسان امريكيان سابقان . وما هو اكثر اهمية من ذلك ، ان الزعماء السوفيت من غير المرجح ، بعد ان حققوا التعادل الاستراتيجي التقريبى على الاقل مع الولايات المتحدة طوال ثمانية عشر عاما من بناء قواتهم العسكرية ان يدعو هذا الامر يفلت من قبضتهم . وليس ادل على ذلك من ان برامج تسليحهم قد اكتسبت قوة دفع اكثر مما توقع الخبراء الامريكيون منذ اعوام مضت . ولقد اقتضى الامر الدخول فى مساومات شاقة وطويلة معهم حتى وافقوا على الاتفاقية التى يعتقد ريجان انها تحقق مصالحهم . ولذلك لم يترجح ان يوافقوا فى اى وقت قريب على ما يرى ريجان بوضوح انه شروط تحقق مصالحه .

وثمة تعقيدا آخر قد نشأ من جراء التصريحات الأولى التى ادلى بها ريجان أثر فوزه فى انتخابات الرئاسة ، التى قال فيها : « انه سيربط بين مفاوضات الاسلحة والسلوك السوفيتى فى جميع ارجاء العالم » . وقال ريجان

فى هذا الصدد « اننى اؤمن بالربط » ، مجددا بذلك مفهوم عهد نيكسون الذى تخلت عنه ادارة كارتر . ويعلن ريجان « ان سياسة العدوان التى ينتهجها الاتحاد السوفيتى . . . ينبغى ان تكون جزءا من المناقشات والمفاوضات الجارية . فلا اعتقد ان نجلس ببساطة على مائدة المفاوضات لبحث الحد من الاسلحة مثلا ، وانما ينبغى ان نبحث الموقف برمته الموقف العالمى ، ان نبحث : هل نتجه لتحقيق عالما يسوده السلام ، أو هل نتحدث فحسب عن الاسلحة ولا تشمل احاديثنا هذه الموضوعات الاخرى » . وادلى ريجان بحديث لمجلة « تايم » الامريكية قال فيه انه اذا لم ترق لموسكو فكرة ان تصبح سياستها العدوانية الشاملة جزءا من الموضوعات المطروحة للمناقشة على مائدة المفاوضات . . . فقد يكون مما لا يحقق صالحهم ان نتوقف عن المفاوضات » .

وقد يثير خط ريجان المتشدد هذا ــ الذى يأتى فى وقت التحول السوفيتى الى زعامة جديدة ــ السوفيت لبذل جهد آخر لتحسين علاقاتهم مع الصين ، وتدبير مكائد جديدة لاثارة الفرقة بين امريكا والاوربيين الغربيين الذين يعتبرون اتفاقيات الحد من الاسلحة اساسا ضروريا بالنسبة للوفاق .

وعندما ادرك ريجان القلق الذى يثيره منهاجه هذا سعى الى تهدئة مشاعر الناخبين الامريكيين بأن وعدهم فى ١٩ اكتوبر ١٩٨٠ بأن يبدأ الاستعدادات على الفور لاجراء مفاوضات بشأن عقد اتفاقية سولت ــ ٣ ثم اكد اننا لا نسعى الى المواجهة أو النزاع و أعرب عن اعتقاده بأنه فى وسعنا ، بالاشتراك مع حلفائنا ، ان نتخذ سياسة واقعية متوازنة تجاه الاتحاد السوفيتى وقد بدا ريجان اكثر ايجابية عن ذى قبل بالنسبة لاتفاقية سولت ــ ٢ خلال أول مؤتمر صحفى عقده بعد فوزه فى انتخابات الرئاسة فقد قال انه لا يرفض المعاهدة كلية وانما يدعو الجانبان الى ان يتخذ الاجزاء الصالحة فى سولت ــ ٢ كأساس لمناقشات جديدة أو اعتبارها اتفاق مؤقتا ، بينما يسعيان الى التوصل الى اتفاقية سولت ــ ٣ التى من شأنها ان تحقق خفضا هاما فى الاسلحة الاستراتيجية .

ولكن ، على الرغم من ان منهاجه يبدو اكثر (براجماتية) لم يطرأ منطقة اى تغيير . ذلك انه لا يزال يعتقد ان القوة الضاغطة للصناعة الامريكية ، والعبقرية التكنولوجية ، والمرونة الاقتصادية ستؤدى فى النهاية الى جعل الكرملين يعيد النظر فى سياساته نظرا لانه يواجه احتمال التفوق عليه فى سباق تسلح جديد خلال الثمانينات ، على غرار ما حدث ابان السباق للوصول الى القمر خلال الستينات . وقد قال له مستشاروه ان الزعماء السوفيت قد

ضغطوا بالفعل على المستهلكين وعلى الاقتصاد ، الى الحد الذى جعله يعتقد ان الاقتصاد السوفيتي لا يعاني من اى ركود حقيقي بحيث يلقى بمزيد من الموارد فى اتون منافسة الاسلحة المتزايدة .

وقد قال ريجان فى الصيف الماضى « إننى لا أعرف : هل السوفيت سيشاركوننا باخلاص تطلعنا من اجل تحقيق استقرار استراتيجى ، ورغبتنا فى خفض الاسلحة النووية ؟ اننى لا اعرف هل يرغبون فى اخفاء الاعتدال على منافسة التسلح لصالح تحقيق الحد من الاسلحة على نحو تعاونى من الجانبين ؟ . غير اننى اعتقد اننا قدمنا لهم حافزا صغيرا ليفعلوا ذلك . . . وينبغي علينا ان نقنعهم بأن يقللوا من اهدافهم الاستراتيجية الطموحة لان تكلفة السعى لتحقيقها مرتفعة جدا ، وفرص نجاحها ضئيل للغاية .

والواقع ان الاعراب عن درجة معينة من التشدد واظهار الرغبة فى اطلاق التكنولوجيا الامريكية فى وجه تهديد الحشد العسكرى السوفيتى يعد امرا ضروريا فى بعض الاحيان . بيد انه من السهل ان نبالغ فى هذا المقام . وبالنسبة للمراقبين يبدو خط ريجان المتشدد البلاغى هذا كصيغة لعرقلة اجراء مفاوضات فعالة حول الاسلحة أو على الاقل تعليقها لمدة عام أو عامين أو ربما أكثر من ذلك . ففى بداية الحملة الانتخابية ، كان المساعدون المقربون لريجان يرون انه لن تبدأ مفاوضات حول الاسلحة الا بعد عام أو عامين . غير أن هذه المدة كانت تقل ، كلما اقترب يوم انتخابات الرئاسة .

وحتى يهدأ قلق الناخبين ميز مساعدو ريجان فى مجال السياسة الخارجية مثل (ريتشارد آلن) ميزوا بين اجراء مفاوضات رسمية وبين اجراء مباحثات . واكد (آلن) ان المباحثات يمكن ان تبدأ فى وقت مبكر للغاية والا تتناول سباق التسلح فحسب ، بل تشمل كذلك موضوعات أساسية هامة مثل تجنب النزاعات العارضة فى ارجاء العالم . وعلاوة على ذلك ، كانت القيادة العليا لحملة ريجان الانتخابية تصور عقد اجتماعات منتظمة على مستوى ــ عال وان لم تكن على مستوى القمة ــ مع الروس وكانوا يعتزمون رفع أهمية ومهام السفارة الامريكية فى موسكو بحيث تغدو وسيلة للاتصال مع المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى .

ورغم ذلك ، كان ريجان نفسه يدرك ، فيما يبدو ، ان الأمر سيستغرق وقتا حتى يتوائم السوفيت مع وجهة نظره تجاه العالم واسلوبه فى آداء عمله . ويؤكد انهم سيختارون ان يكونوا اكثر مرونة عندما يواجهون بالحقيقة العملية لتجدد التصميم والاستعداد العسكرى والامريكى من اجل حماية

المصالح الحيوية لامـــريكا وللحلفـــاء للخـــارج . وفيمـــا يتعلق باعرابه قبل الانتخابات عن عدم رغبته فى المواجهة مع السوفيت يوجد ما ينم عن اعتقـــاده بان الامر يقتضى القيام باختبار للقوة لدفع السوفيت لتغيير حساباتهم .

الحملة الانتخابية النهائية

بقلم : آدام كليمر

خرج رونالد ريجان من المسرح عام ١٩٧٦ بعد أن أشاد ببرنامج الحـــزب المحافظ للغـــاية الذى تنازل عنه مـــؤيدوه ، الى القـــوى المؤيده لجيرالد فـــورد باعتبار البرنامج « علما لألوان زاهية لا تخطئها العين ، حيث لا توجــد فيه اى ظلال باهته لألوان الباستيل » ثم كان دخوله التالى على المسرح ينطـــوى على تحرك واضح الى الوسط ، لا من حيث المضــمون ، وانمـــا مـــن حيث النغمـــة بالتأكيد . ففى الوقت الذى اعلن فيه رسميا ترشيح نفســـه لمنصـــب الرئيس فى ١٣ نوفمبر ١٩٧٩ ، كان يتودد الى العناصر المعتدلة فى الحزب وهو يتطلع الى الانتخابات العامة التى ستجرى بعد وقت قـــريب . وقـــد وصـــف بصراحـــة (جيمس لاك) السكرتير الصحفى لريجان خطبة مرشحه المعتدلة التى القاها تلك الليلة بقوله : « لقد استخدمت كلمات غاضبة ربما لتفوز بترشيح الحـــزب ، لا لتفوز فى الانتخابات » .

لقد كان الطريق الذى قطعه ريجان من مدينة (كانساس سيتى) حيث عقد المؤتمر الحزبى فى اغسطس ١٩٧٦ إلى القـــاعة الضـــخمة فى فندق (والدورف استوريا) فى نيويورك عام ١٩٧٩ طريقا بسيطا الى حد ما ، وواضحا الى حد ما . فبعد ان قام بجولة انتخابية خـــاطفة فى خـــريف عام ١٩٧٦ ، اســـتهدفت مساندة المرشحين الجمهوريين المحافظين ، والاشادة بفضائل برنامج الحزب اكثر مما استهدفت مساندة فورد ــ عاد ريجان الى الانشغال بكتابة التعليقات للصحف ، والقاء التعليقات فى الاذاعة ، والحديث فى الاجتمـــاعات ومـــؤتمرات الحزب الجمهورى . ويقول صديقه وليام فرنش سميث ، وهو محام مـــن لوس انجلوس كان جزءا من الدائرة الداخلية لريجان منذ بدأ انخـــراط ريجـــان فى السياسة : « لقد كان يفعل نفس الشيء الذى يمكن للمرء أن يفعله اذا مـــا كان يشغل وظيفة تقتضى منه ان يعمل ساعات كاملة ، وان خياراته كانت مفتوحة . فلم يكن يوجد شيئا مؤكدا ، غير انه كان نشطا ومفعما بالشبـــاب مـــن الناحية الجسدية بالنسبة لسنه .

غير أن ريجان اتخذ خطوة ذات معنى خاص ، عندما أنشأ لجنة العمل السياسى التى انفق عليها من الأموال التى تبقت من الحملة الانتخابية لعام ١٩٧٦ (وهى الأموال التى تم جمعها فى وقت متأخر ولم يكن استخدامها فى ذاك العام وكان يحق لريجان قانونيا ان يحتفظ بها بعد ان يسدد الضرائب اللازمة عليها) . لقد خصص حوالى مليون دولار لهذه اللجنة التى كانت تدير أعمالها من مكتب صغير فى (سانتا مونيكا) بكاليفورنيا ، والتى اضطلعت بمساندة المرشحين الجمهوريين ، وخاصة المحافظين منهم ، والتى كانت تصدر نشرة عنيفة كان من شأنها ان تبقى على الصلات القائمة بين ريجان وبين مؤيديه . وكانت هذه النشرة تصدر تحت عنوان « المواطنون من أجل الجمهورية » .

وقد هاجم ريجان فى عام ١٩٧٧ معاهدة قناة بنما وأعرب عن معارضته لها فى حديث تليفزيونى . بيد ان تصديه لهذه المعاهدة لم يشغل وقته كله انذاك . وعلى اية حال ، تم التوقيع على هذه المعاهدة فى العام التالى ، ورغم ذلك استطاع (السناتور بول لاكزالت) من (نيفادا) وهو من اوثق صديق لريجان فى السياسات الانتخابية : استطاع ان يحظى بشهرة فى واشنطن لتزعمه المعارضة للمعاهدة ، على نحو يتسم بالكبرياء وعدم الديماجوجية ، وهى السمعة التى زادت من قدرته على اقناع زملائه بقبول ترشيح ريجان للرئاسة بعد ذلك .

وفى عام ١٩٧٨ ، عمل ريجان بجدية من اجل الدعوة لانتخاب المرشحين الجمهوريين ، وفيهم اعضاء مجلس الشيوخ المعتدلون مثل (السناتور تشارلز بيرسى) من (اللينوى) . غير ان الحديث الذى دار حوال اعتدال وجهات نظر ريجان والقلق بشأن سنه ـ فقد كان سيبلغ التاسعة والستين من عمره قبل ثلاثة اسابيع من الانتخابية التمهيدية فى نيو هامبشاير ـ ذلل احد التحديات ، وهو ترشيح (فيليب كرين) عضو مجلس النواب ، الوسيم الجمهورى المحافظ جدا من (اللينوى) ، الذى قال فى ٢ أغسطس ١٩٧٨ أنه سيرشح نفسه ، ولكنه وعد بالتخلى عن هذا الترشيح اذا ما بدا له أن ذلك سيلحق الضرر بفرض محافظ حقيقى للفوز بترشيح الحزب . (والواقع ان عدد الاصوات المبعثرة المؤيده (لكرين) فى المؤتمر الحزبى عام ١٩٨٠ ربما كانت تكفى لعدم فوز ريجان فى هذا المؤتمر ، غير أن (كرين) لم يعلن تخلية عن ترشيحه الا بعد ان تحقق من فوز ريجان بترشيح الحزب بعد ذلك بشهرين) .

وفى عام ١٩٧٩ ، بدأ ريجان بتشكيل لجنة استطلاعية ، وهى واحدة من

اللجان السياسية التى يتم ابتكارها لجمع الأموال وانفاقها دون ان يخضع المرشح المرتقب لرقابة حقيقية . وفيما يتعلق بريجان ، مكنته هذه اللجنة من استمرار برامجه الاذاعية دون ان تعرقلها قاعدة الوقت المتساوى . واستمر ريجان فى تنفيذ برنامجه الخاص بالقاء الخطب فى جميع انحاء البلاد وكان يجمع ما بين الحفلات والاجتماعات السياسية بحيث يمكنه شد انتباه الصحف المحلية عن طريق وجهات نظره التى يصوغها ببراعة ، مثل التعليق الذى أدلى به فى اعقاب اغتيال السفير الأمريكى فى افغانستان ، وقال فيه « لقد بدأت الدهشة تعترينى حول كون رمز الولايات المتحدة سوف يكون فى القريب العاجل سفيرا يضع تحت ابطه علماً ، بينما يهرع الى تسلق طائرة هليوكبتر لتهرب به » .

وإذا ما كان ريجان قد القى خطبة هامة قبل ١٣ نوفمبر ١٩٧٩ ، فهى الخطبة التى القاها فى سبتمبر من ذاك العام وأعرب فيها عن معارضته لاتفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية وهى الخطبة التى اشار فيها الى أن المعاهدة مليئة بالعيوب والثغرات نظرا لأنها لم تضمن اجراء خفض فى الأسلحة ، ولأنها لا تحقق الأمن للولايات المتحدة بدرجة كافية . ولقد كانت معارضته الأساسية هذه هى ما يريده الناخبون المحافظون . بيد ان النغمة التى اعرب بها عن معارضته كانت هادئة ومتعلقة . ولم تكن تنطوى على اى نزاع ايديولوچى .

ومن ناحية اخرى ، عاد معظم افراد فريق الحملة الانتخابية لعام ١٩٧٦ للعمل فى الحملة الانتخابية لعام ١٩٨٠ . وكانوا يتحدثون بثقة للصحفيين عن تخطيطهم لحملة صحيحة هذه المرة وكان (جون ب . سيرز) يجوب انحاء البلاد مبشرا بمزايا وفضائل ريجان لغير المؤيدين له ، ولحكام الولايات المعتدلين مثل (وليم ج . ميليكين) فى (ميتيشيجان) أو (جيمس أ . رودس) فى (اوهايو) . واعرب المؤيدون القدامى عن تأييدهم مرة اخرى لريجان ، بينما ابدى تأييدهم اصدقاء جدد . وكان من ابرزهم (دور لويس) رئيس الحزب الجمهورى السابق فى ولاية (بنسلفانيا) الذى كان مؤيدا لجيرالد فورد عام ١٩٧٦ ، لكنه أيد ريجان فى مستهل عام ١٩٧٩ .

غير ان الحملة الانتخابية لريجان كانت تبدو حملة جيدة من بعيد اكثر مما كانت تبدو من قريب . فعلى الرغم من الوعود المستمرة ، لم يحدث الكثير بالنسبة لتطوير المواقف التفصيلية حول القضايا التى يتفق الجميع على هميتها بالنسبة لريجان وكانت خطبته حول معاهدة الحد من الأسلحة

الاستراتيچية (سولت) استثناء من ذلك ، ف الوقت الذى بذل فيه جهـدا كبيرا لاطلاع ريجان على النقاط الاسـاسية الخـاصة بهـذا الموضـوع قبل كتابة الخطبة .

واما من الناحية الجغرافية ، فقد شـملت الحملة الانتخـابية الشـواطىء الشرقية والغربية للولايات المتحدة . وكان سيرز يقسم وقته بين لوس انجلوس وواشنطن ، بينما كان (تشارلز بلاك) يرأس العملية الميدانية . غير انه ف ظل اضطلاع (سيرز) بادارة الحملة بدأت الخلافات تظهر مما أدى ف البداية الى تخلى (لين نوفزيجار) عن اشتراكه ف الحملة ، وكان يعمل لمدة طويلة مساعدا صحفيا لريجان . ثم تخلى (مايك ديفر) وهو احـد الأفـراد المحنكين ف هـذا المجال ، الذى اختلف مـع سـيرز . امـا (ديفيد كين) الذى عمـل ف الولايات الجنوبية خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٧٦ فلم ينضم للعمـل ف حملة ١٩٨٠ واختار بدلا من ذلك العمل كمدير سياسى لجورج بوش ، وهو منصب افضل من انضمامه لحملة ريجان .

ورغم ذلك ، لم تتعرض الحملة الانتخابية لأية انتكاسات هامة خـلال عام ١٩٧٩ . وكان بعض المرشحين الآخرين يسـعون لتحقيق الشـهرة والاحترام من خلال فوزهم ف الانتخابات التمهيدية التى يجريها الحزب ف ولاية (ايوا) ف اغلب الأحيان . ذلك انهم يسـعون الى اختصـار الطـريق معتقـدين ان الانتخابات التمهيدية ف اكتوبر عام ١٩٧٥ كانت اساس شهرة جيمى كارتر . ولقد حقق جورج بوش قدرا ضئيلا من الفـوز ف ايوا ، حيث بذل جهـدا كبيرا كما أحرز انتصارا آخر ف مؤتمر الحزب الجمهـورى الذى عقـد ف ٣ نوفمبر واستغل العنوان الرئيسى الذى كتبته صحيفة « نيويورك تايمـز » عنه ف جمـع مئات آلاف من الدولارات لتمويل حملته الانتخابية غير ان الخاسر الحقيقـى فيهذه المنافسة كان (السناتور هوارد بيكر) من (تينس) الذى قـرر ان يعلن ترشيحه ثم يقوم بأولى حمـلاته الانتخـابية لمدة يومين ليحقـق الانتصـار ف بورتلاند . اما ريجان فقد قام بعمل افضل بعد ذلك بأسبوعين . فقد بدأ جـولته الانتخابية الأولى بزيارة مدينة (كيسـيمى) بولاية (فلوريدا) ممـا أدى الى تبديد آمال (جون كونللى) ف ان يحظى باهتمام الصـحف والشـهرة خـلال المؤتمر الحـزبى ف (فلوريدا) عن طـريق فـوزه . غير ان (كونللى) جـاء ف المرتبة الثالثة بعد (جورج بوش) بعد ان انفـق اكثر مـن ٣٠٠ ألف دولار ف المنافسة الانتخابية .

بيد ان الحملة الانتخابية لريجان كانت تبذل جهدا شاقا لتحـاول البقـاء

نوق المعركة الانتخابية . وقد اعادت الحملة بسبب ثقتهـا مـن نفسـهـا ـ إلى الأذهان ، الشعار الذى كان مطروحا عام ١٩٧٢ والذى يقول : « أيها الرئيس ماسكى الا تشعر بأنك فى وضع أفضل ؟ » . وقد ظهر هذا الموقف عندمـا رفض ريجان دعوة للانضمام مع المرشحين الجمهوريين الآخرين فى (ديز مواتيه) فى ٥ يناير ١٩٨٠ وذلك قبل ١٦ يوما من اجتماع الحزب الجمهورى ، وبدء عملية اختيار المندوبين الذين سيشتركون فى المؤتمر الحـزبى فى (ديترويت) فى يوليو ١٩٨٠ . وقـد لبى الآخـرون الدعوة وهـم : (بوش) و (بيكر) و (كرين) و (السناتور بوب دول) من (كنساس) و (جون اندرسـون) عضـو مجلس النواب من (الينوى) وقد اختلف الآراء حول الذى فاز منهم فى المناظـرة بيدا انه كان من الواضح من ردود الفعل المباشرة من الجمهوريين فى (ايوا) ثم من استطلاع الرأى الذى اجرته مجلة « دى مواتيه ريجستر ، إن ريجان قـد خسر بسبب عدم اشتراكه فى المناظرة »

ولم يكن تجنب هذه المناظرة ، على اساس ان من شأنها اشـاعة الفـرقة والانقسام ـ هـو الدليل الوحيد على التفـكير فى سـلامة منهـاج الحملة الانتخابية . غير ان ريجان قام بحملات انتخابية اقـل كثيرا مـن منافسـيه . وعلى الرغم من الروح المحـافظة التى تسـود العناصر الجمهـورية فى ايوا ، وحقيقة ان الأيام التى عمل خلالها ريجان كمذيع رياضى فى (ديفنبور) و (دى مواتيه) قد تركت ذكريات طيبة عن ريجان « الهولندى » كما كان يعـرف ابان الثلاثينات ، على الرغم من ذلك خسر امام (بوش) فى الاجتمـاعات الحـزبية التى عقدت فى ٢١ يناير . أو أنه ربما خسر على الأقل ذلك ان اخطاء الكمبيوتر والانهاك قد أديا الى عدم اسـتكمال حصر النتائج ، مـع تقـدم بوش بنسـبة ضئيلة ، وذلك عندما اقلع الحزب الجمهورى فى ايوا عن حصر النتائج .

وكان يخيم على الحملة الانتخابية لريجان جو من الاهمال فى تلك الأيام . ففى حديث اذاعى فى ٢٧ يناير ١٩٨٠ اقترح ريجان فـرض حصـار على كوبا انتقاما من الغزو السوفيتى لأفغانستان ثم أعلن فى مـدينة (جـاكسون فيل) بفلوريدا ، بعد ذلك بثلاثة ايام ، انه يعتقد ان حيازة باكسـتان لأسـلحة نووية امر يدعو للأسف إلا أنه أعرب عن اعتقاده بأن هذا الأمر لا يعنينا . وقد حاول مساعدوه اقناعه بتعديل موقفه ورتبوا مؤتمرا صحفيا خاصا ليدلى فيه ريجان بتصريحات للصحفيين حول هذه المسألة ، إلا أنه تمسك بموقفه ثم القـى بعـد ذلك بأيام قلائل بنكته عن بولندا وايطاليا خلال حديثه مع الصحفيين . وكان رد الفعل معاديا .

غير انه كان يوجد تغيير اساسى فى الاستراتيجية . فقد قرر ريجان ان تجرى مناقشات مع المرشحين الآخرين . ذلك انه وافق على مناظرتين فى (نيوهامبشاير) وأخرى فى (كاليفورنيا) الجنوبية . ولعل هذه القرار كان ضروريا بالنسبة لترشيحه النهائى من جانب الحزب الجمهورى ، غير ان الذى شجعه على ذلك ايضا الأخطاء التى وقع فيها منافسة الجديد . إذ أن الحملة الانتخابية لجورج بوش لم تستفد من الانتصار المفاجىء للمدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى ايوا . وكانت استطلاعات الرأى العام تبين التقدم الذى يحرزه بوش بالنسبة لريجان فى ضوء آراء الجمهوريين ، بيد أنها لم تبين الا نادرا اسلوب التزام مؤيدى بوش تجاهه . ولم يستفد بوش من الشهر الذى حقق فيه الذيوع والشهرة ، وهى الفترة بين المؤتمر الحزبى فى ايوا والانتخابات التمهيدية فى نيوهامبشاير ، بحيث يقدم خلالها للناخبين المبررات التى تجعلهم يرشحونه ، فيما عدا طرح شعاره « إلى الأمام من اجل الثمانينات » . وكان يتحرك يوميا تقريبا ويبدو فى الواقع اكثر نشاطا من ريجان . غير ان هذا لم يكن كافيا طالما أن ايقاع حملة ريجان لم يضعف . وقد احتفل بعيد ميلاده احتفالا عاما صاخبا .

والواقع ان المناظرات والمناقشات التى تتم فى اطار الحملات السياسية تنطوى على تجميد نشاط الحملات . إذ أن انتصار هذه المناظرات يفوق فى اهميته الجدل الذى يواكبها ، وليس ادل على ذلك من تعليقات ريجان حول كوبا ، أو تأكيداته أن (الاسكا) يوجد بها بترول اكثر مما يوجد فى اى مكان آخر . وكان ريجان فى الواقع يضع اساس قيامه بحملة انتخابية جادة فى هامبشاير قبل المناظرات الأولى التى حدثت فى ٢٠ فبراير فى مانشستر ، والتى أسفرت عن حصول ريجان على اصوات ايوا . وقد احدث ريجان انطباعا قويا بدفاعه عما يثير قلق الجمهوريين بشأن قضايا صغيرة مثل مراقبة الأسلحة والأجهاض باعتبارها تعبر عن استياء جانب من الجمهوريين وعن الشعور بأن القيم التقليدية التى ترتكز عليها حضارتنا آخذة فى الزوال » . وقد أكدت استطلاعات الرأى بعد ذلك ان ريجان قد فاز ، فى الوقت الذى كان فيه معظم مندوبى الصحف والتليفزيون يعتقدون انه لم يتضح بعد من التقدم من المرشحين او من المتخلف منهم .

غير أنه كان يوجد ثمة تأكيد بشأن المتخلف ، ولذلك غير ريجان وسيرز فى ٢٣ فبراير ١٩٨٠ الصورة السياسية واستدرجا بوش . فقد وافق ريجان على الدخول فى مناظرة مع بوش ، الذى كان يعد المنافس الرئيسى له آنذاك ، وذلك

قبل ثلاثة ايام من أول انتخابات تمهيدية فى مـريلاند (وكان بوش قـد حقـق انتصارا قبل ذلك بثلاثة ايام فى بورتوريكو ، غير ان احدا لم يحفل بذلك) . وقد اعرب المرشحون الخمسة الآخرون عن تذمرهم بمرارة ، قـائلين : انه يجـرى استبعادهم بطريقة غير عادلة من الاشتراك فى حدث هام فى ولاية هامة .

والواقع ان الانتخابات التمهيدية فى نيوهـا مبشـاير تعـد فـكرة غربية . إذ أنها تتم فى ولاية تسيطر عليها صحيفة يمينية جداً هى « مـانشستر يونيون ليدر » ، وهى ولاية لا يوجد لها شبيه بالنسـبة للأمـة كلهـا نظـرا لأن جميع سلطاتها تقريبا من البيض ولا توجد فيها مدينة كبيرة واحدة . ومنذ بدء نظـام الانتخابات الأولية عام ١٩٥٢ لم ينتخـب اى مـرشح رئيسـا للبلاد بدون ان يكون قد فازوا بترشيح الحزب لهم ، ولكنهم فشلوا فى الانتخـابات العـامة) . وتحظى هذه الانتخابات الأولية بتغطية تليفزيونية واسعة النطـاق . وتنطـوى على تأثير يتجاوز المندوبين الجمهوريين الأثنين والعشرين الذى يتم انتخابهم او نسبة الـ (١,١) فى المائة من الذين يشتركون فى المؤتمر الحزبى الذى يعقد فى ديترويت .

. قد نجح المرشحون الآخرون فى جعل اللجنة الفيدرالية للانتخابات تصدر قرارا يقضى بأن عقد هذه المناظرة بين ريجان وبوش يعد مساهمة غير قانونية بالنسبة للحملة الانتخابية اذا ما اضـطلعت صـحيفة ناشـوتلجراف بتكاليف المناظرة . ولذلك دفع ريجان ٣٥٠٠ دولار لاستئجار مدرسة ثانوية عقدت فيها المناظرة ، وأكد سيرز أن المرشحين الآخرين سيشتركون فى المناظرة . ثم وجه اليهم ريجان الدعوة للاشتراك . وقد جاء كل فرد الى (ناشـو) وهـو يشـعر بالدهشة ، ترقبا لما سيحدث ، واحتشد المرشحون ومديروا حملاتهم الانتخابية ومئات الصحفيين حـول المدرسـة الثانوية فى شىء مـن الأرتباك والفـوضى . وأصرت الصحيفة على استبعاد المرشحين الآخرين . وأعرب بوش عن تمسكه بالتزامه تجاه الصحيفة التى كانت ادارتها وثيقـة الصـلة بهيوكريج الحـاكم السابق ومدير حملة بوش الانتخابية .

وهكذا ، سار ريجان متقدما الى داخل القاعة وفى اعقابه ٤ من المرشحين الآخـرين . ذلك ان (كونالى) كان يقـدم بحملة انتخـابية فى (كارولينا) الجنوبية . وأصر رئيس تحرير صحيفة تلجراف « على الا يتحدث المرشـحون الآخرون . وحاول ان يسحب الميكرفون من ريجان عندمـا كان يحـاول شرح الموقف للمشاهدين الذين استبدت بهم الحيرة . وعندئذ اندفع ريجـان وصـاح قائلا : لقد دفعت ثمن الميكرفون يا مستر (جرين) . » وقال ريجان للمشاهدين

انه يريد ان يشترك المرشحون الآخرون فى المناظـرة الا أن الصـحيفة لا تريد ذلك . وانه قرر البدء فى المناظرة لأن المشاهدين ينتظرون . وهـذا مـا حـدث . وغادر المرشحون الآخرون القاعة ، ليعقدوا مؤتمرا صحفيا هاجموا فيه بوش واتهموه بالوقاحة والعمل على انقسام الحزب وقال (السناتور دول) : انهـم عوملوا كأنهم مواطنون من الدرجة الثانية . وأكد (بيكر) ان تصرفـات بوش تقلل من فرصتنا لالحاق الهزيمة بالديمقراطيين .

وقد استطاع ريجـان بسـهولة ان يتفـوق على بوش المرتبك فى المناظـرة نفسها . فقد كان ريجان خلال المناظرة قويا وحـاسما ومهمتمـا بالآخـرين ، بينما كان بوش جـامدا وقـانونيا ، ولم يكن مهمـا على الاطـلاق ان يكون رئيس تحرير صحيفة « تلجراف » الذى حاول سحب الميكرفون من ريجان هو (برين) لا « جرين » .

وكان يوم ٢٦ فبراير ١٩٨٠ يومـا حـاسما بالنسـبة للحملة الانتخـابية لريجان ، غير ان اهمية ذلك اليوم لم تكن بسبب الانتخابات التمهيدية . فبعـد ظهر ذلك اليوم فصل ريجان سيرز ، وخرج معه (بلاك وليك) . فقد جرى اقناع ريجان بأن (سيرز) لا يدير الحملة الانتخابية ، بالرغم مـن مـواهبه كرجـل استراتيجى . وكان (لاكزالت) و (دوين ميز) الذى كان يعمـل رئيسـا لهيئة مكتبه وقت توليه منصب حاكم كاليفورنيا ، هما المحركيين الأسـاسيين لعملية اقصاء (سيرز) ، وذلك كهجوم مضاد ناجح لحركة اسـتهدفت التخلص مـن (ميز) . غير ان التفسير العام لعملية اقصاء (ميز) يرتكز بشدة على الايقاع الخطير الذى تنفق به الحملة الانتخابية بادارة (سيرز) الأموال ، وهى مشكلة عويصة نظرا لأن القانون يمنع انفـاق اكثر مـن ١٨ مليون دولار . ورغم ذلك كان من الواضح انه توجد معارضة خافته لسيرز من جانب الانصار القـدامى لريجان ومن جانب المحافظين الذين لا يزالون يشعرون بالاستياء مـن جـراء حركة (شيزويكر) عام ١٩٧٦ . ولذلك قـال الكثيرون منهـم بفخـر فى اليوم التالى : انه بعد التخلص من (سيرز) سوف يكون من الميسور أن نعتمـد على تأييد المحافظين لريجان .

وبعد ذلك بساعات قلائل ، كان من الواضح ان ريجان قد حقـق انتصـارا ساحقا فى نيوهامبشاير ، لدرجة ان التأييد المعتدل لبوش قد ذوى تماما خـلال الأيام القلائل الأخيرة . وأوضح استطلاع للرأى العـام اجـرته صـحيفة « نيويورك تايمز » ومحطة تليفزيون (سى . بى . اس) ان احداث (ناشو) قـد زادت الى حد كبير من مكاسب ريجان . فقد حصل ريجان على ٥٠ فى المائة من الأصوات ، بينما حصل بوش على ٢٣ فى المائة فقط .

وبعد ذلك بعدة أشهر ، قــال (لاك) الذى اقصى مـن الاشــتراك فى الحملة الانتخابية لريجان : ان ريجان قد فاز بترشيح الحزب تلقــائيا بعــد فــوزه فى (نيوهامبشاير) . وقد سارت الأمور سيرا حسنا ، غير ان الحملة الانتخــابية واجهت بعض المصاعب . ففى البداية ، لم يكن واضحا كون (وليم كاسى) وهو جمهورى من نيويورك وفى مثل عمر (ريجان) و (ميز) اللذين يرأسان الحملة الانتخابية يتحلى بنفس المهارات التى كانت لدى (سيرز) و (بلاك) وخاصة القدرة على الاستجابة للمشكلات التى تنشأ فجأة .

وفى صباح يوم الأحد عقب الانتخابات التمهيدية فى نويهامبشاير كان يبدو ان (كاسى) و (ميز) ربما يتمتعان بهذه القدرة . فقد أدلى الرئيس الأمــريكى السابق جيرالد فورد بحــديث لصــحيفة « نيويورك تايمــز » دعا فيه الحــزب الجمهورى الى ترشيحه لمنصب الرئيس . وقال فــورد : ان عددا مــن زعمــاء الحزب قد حثوه على الاشتراك فى الانتخــابات ، غير انه لم يذكر اســماؤهم . (وفى أواخر اكتوبر ذكر ان رودس حاكم ولاية اوهايو كان واحــدا مــن هؤلاء الزعماء) . وقال فورد : ان ريجان لن يفوز فى الانتخابات العامة لأنه معــروف بأنه من اكثر الجمهوريين محافظة .

وقال فى حديثه الصحفى الذى أدلى به فى مــوطنه (برانكو ميراج) بولاية كاليفورنيا « إن الجمهورى المحافظ جــدا لا يمــكن ان يفــوز فى الانتخــابات العامة . »

وبينما أعرب ريجان ببسالة عن ترحيبه باشتراك فــورد فى الانتخــابات ، كان مساعدوه يشعرون بالقلق . ولقد كانت محاولة فورد متأخرة جدا ، ذلك ان العديد من مواعيد الانتخــابات التمهيدية التى يتم خــلالها انتخــاب المندوبين الذين يشتركون فى المؤتمر القومى للحزب الجمهورى قد حــددت بالفعــل . بيد أنهم كانوا يشعرون بالقلق من أن يبادر فورد بحشد التأييد له وانفاق الأموال بحيث يمكنه ان يحقق الانتصار على ريجان » .

ولم يكن فى وسعهم أن يفعلوا اى شىء سوى ان ينتظروا وقد اجرى فــورد مشاورات فى كل مكان ، غير انه وجد انه لن يحظى بالتأييد الذى كان يتوقعه . وقد تأثر رودس تأثرا بالغا عندما ســحق ريجــان (كونالى) فى الانتخــابات التمهيدية التى جرت فى كارولينا الجنوبية فى ٨ مــارس ١٩٨٠ . وعندئذ حــث الرئيس السابق فورد على ألا يجعل من نفســه اضــحوكة ولا يزج بنفســه فى منافسة حمقاء . وكان ان اعلن فــورد فى ١٥ مــارس انه لن يرشــح نفســه للانتخابات .

وقد اتسمت بقية الانتخابات التمهيدية للحملة بالهدوء ولم تشهد اية احداث مثيرة بصفة اساسية . فقد هزم بوش ريجان فى بنسلفانيا ، واقترب منه على نحو يدعوا للدهشة فى تكساس ثم هزمه فى ميتشيجان فى مايو . ولكن مما آثار استياء ريجان ان شبكات التليفزيون اعلنت ليلة اجراء الانتخابات التمهيدية فى ميتشيجان ان ريجان قد حصل على اصوات عدد كاف من المندوبين بحيث يضمن ترشيح الحزب له .

ولكن حتى اذا فاز ، واستطاع ان يجتذب اصوات العمال ذوى الياقات الزرقاء والديمقراطيين الأسميين فى ولايات مثل (اللينوى) و (وسكونسين) ، فانه لن يتجاوز نسبة الـ ٥٠٪ من الأصوات . وكان ريجان قد حقق فوزا على نحو مريح بحيث لم يكن يخالجه أى قلق بشأن ترشيح الحز . والواقع انه لم يحصل بصفة خاصة على الأصوات فى الأحياء الجمهورية التقليدية . اما بوش الذى كان يشبه الى حد كبير سكان بنسلفانيا) و (برمنجهام) و (ميتشيجان) أكثر من ريجان ، فقد حصل على اصواتهم .

غير ان ريجان كان يحقق الانتصار عن طريق منهاجه الذى يقول : انه من الممكن ايجاد حل بسهولة نسبية للمشكلات التى تسبب المتاعب للأمة مثل : التضخم والطاقة ومشكلة الرهائن فى ايران ، وحتى مشكلة تفكك العلاقات العائلية . وكانت دعوته الوحيدة المحددة والمتسقة تتمثل فى خفض ١٠ فى المائة من ضريبة الدخل الفيدرالى فى كل عام من الأعوام الثلاثة القادمة . وعموما كان العلاج الذى يقترحه لهذه المشاكل يكمن فى تقليص دور الحكومة . وقد تحدث فى مدينة (جرين سبورج) بولاية (بنسلفانيا) فى ١٠ أبريل ١٩٨٠ عن أزمة الطاقة بنفس الطريقة التى يتحدث بها عن القضايا الأخرى . ثم يتساءل بحماس بلاغى : « هل يحتاج الأمر منا الى تفكير عبقرى لنشير الى ان الاجابة لحصولنا على كافة احتياجاتنا وإلى الحد من اعتمادنا المتزايد على « الأوبك » تتمثل فى اتجاهنا الى اطلاق الحرية بالنسبة لصناعة الطاقة لتنتج كل البترول الطبيعى والغاز الطبيعى الموجود فى بلادنا ؟ » . وقد أصر ، فى كلمة القاها فى مدينة (اماريللو) بولاية تكساس ، فى اليوم السابق ، على ان التضخم يرجع الى الانفاق الحكومى وأوضح « ان الحكومة هى سبب التضخم » . ثم كرر قوله هذا فى كل مكان بعد ذلك .

وكا يتعين اتخاذ قرارات بشأن زيادة عدد العاملين معه ، والبدء فى وضع الخطط اللازمة للخريف عندما يحين موعد الانتخابات العامة ، لكن ما ان حل ٣ يونيو ١٩٨٠ معلنا نهاية الانتخابات التمهيدية ، حتى كان يتعين اتخاذ قرار

واحد هام فى موعد محدد ــ الا وهو القرار الخاص باختيار المرشـــح لمنصــب نائب الرئيس . ومرة أخرى ، وكما حدث عام ١٩٧٦ عالج ريجان القرار بقــدر ضئيل من تبجيل التقاليد المرعية فى هذا الصدد ولقد كانت حيلة (شـــيزويكر) عام ١٩٧٦ مغامرة تقتضـــيها الضرورة أمـــا فى عام ١٩٨٠ ، فقــد طــرحت فى البداية فكرة اختيار فورد لهذه المنصب .

ومن المؤكد انها كانت فكرة جسورة ، أن يسعى ريجان ومساعدوه لاقناع رئيس سابق بالموافقة على خوض غمار المعركة الانتخابية للفوز بمنصب نائب الرئيس ، خاصة بعد ان فكر فى الاشـــتراك فى الانتخـــابات التمهيدية منافســـا لريجان فى الفوز بترشيح الحزب له وكان ريجان يعتقــد ان فــورد ســيوفر له افضل الفرص للفوز ، وكان يشاركه فى هذا الاعتقاد عدد كبير من مستشاريه .

وحتى يقنع فورد بقبول هذا المنصب ، حاول ريجان التغلب على مخـــاوف الرئيس السابق (فورد) من ان مـــوافقته لا تعنى التقليل مـــن أهمية منصـــبه السابق واضطلاعه بمسائل تافهة ذات اهمية ثانوية فقــد حـــاول ريجـــان ان يعطى لفورد سلطة حقيقية ودورا اشرافيا فى البيت الأبيض على بعض مهـــام الحكومة . ولكن بقيت بعض مسائل مـــا حـــدث فى دويتريت فى ١٦ يوليو محـــل خلاف وكان الخلاف الأساسى يتركز على الوظائف التى ســيطلبها مســاعدو فورد وخاصة هنرى كيسنجر وزير الخارجية الســابق ، ومـــا ســوف يوافــق المفاوضون التابعون لريجان على تقــديمه لهــم دون ان يطلب منهــم وظـــائف او مناصب محددة .

بيد ان المفاوضات لم تسفر عن اى شىء فيمـــا يتعلق بمناصــب الحــكومة الفيدرالية ولكنها تمخضت عن أثر جانبى هام وهو تخلص فورد من شــكوكه تجاه ريجان ، مما زاد من ثقته به الى حد اشــتراكه فى الحمـــلات الانتخـــابية المؤيدة لريجان فى الخريف . (وقد كان لاستياء فورد من كارتر دور كبير فى هذا المضمار ، بيد انه تراجع عن انتقاداته السابقة لريجان حيث كان يصــفه بأنه يميل الى تقديم الحلول البسيطة للمشاكل المعقدة للغاية) . وكان موقف فــورد تجاه فشل الجهود التى بذلت فى دويتريت ، يتمثل فى ضوء اســتقراء الأحـــداث الماضية ، فى ان كل شىء كان يعمـــل مـــن اجـــل الاختيار النهـــائى لبوش نائبا للرئيس . وقال فورد عن مبادرة ريجان « اننى لا اخطئه لأنه أراد ان يحـــاول . واعتقد ان المبادرة تنم عن بعض التجديد . ولقد بذل جهدا مخلصا للغـــاية . بيد اننى اعتقد ان محاولة الاتفـــاق بشـــأن اختيار نائب الرئيس فى غضـــون ٤٨ ساعة وسط جو المؤتمر كانت امرا صعبا جدا » .

والواقع ان هذه المبادرة ، وكذا حركة (شيزويكر) ، تثيران الاهتمام وربما تنطويان على دلالة هامة نظرا لأنهما يعكسان منهاج رجل سياسة انخرط في مهنة السياسة في وقت متأخر من حياته ، ودون ان ينشأ على الاعتقاد بأنه توجد محرمات في مجال السياسة لا يمكن تجاوزها . ويقول وليام فرانش سميث : « من المؤكد ان ريجان يحترم التقاليد لا من اجل التقاليد في حد ذاتها . فاذا ما كان ثمة سبب قوى لتجاوزها . حسنا فلم يتجاوزها ؟ . أو كما يقول (سيرز) اذا ما طرحت على ريجان فكرة مختلفة ، فهو لن يقول لك ان الأمور لن تسير على هذا النحو ، وانما سيطلب منك ان تشرح له فكرتك واذا ما كانت مقنعة فسوف يرحب بها » .

وقد أدى الأرتباك الذى احاط بمسألة اختيار نائب الرئيس وما اكتنف ذلك من انتقال الرسائل صعودا وهبوطا من الدور العلوى الى الدور الذى يليه في فندق (بلازا) بديترويت وما اقترن بذلك من شائعات في الدور الأرضى حيث يعقد المؤتمر الى بعث الحياة في المؤتمر الثانى والثلاثين للحزب الجمهورى . فقد ادلى فورد بتصريح تليفزيونى لوالتركرونكايف تحدث فيه عن فكرة « الرئاسية المشتركة » . وكان بعض مساعدى ريجان يخشون ان يخدع كيسنجر (ميز) و (ورثلين) . وكان بوش ينتظر بشجاعة في فندق آخر . ثم بلغه بنبأ اختياره ــ نائبا للرئيس مما آثار دهشه وقد انفجر (لاكزالت) في ثورة ــ غاضبة عندما سمع بقرار اختيار بوش ذلك انه كان يريد اختيار فورد لهذا المنصب ، بينما كان يعتبر نفسه الاختيار الثانى لهذا المنصب . ولم يستمع (لاكزالت) للخطاب الذى القاه ريجان في الليلة التالية وأعلن فيه رسميا اختيار بوش نائبا للرئيس وقلت صحيفة شيكاغو من تايمز « إن فورد وافق على ان يشترك في الحملة الانتخابية لريجان ومؤتمرات جمع الأموال ــ للحزب اما « صحيفة نيويورك تايمز » فقد آخرت إصدار طبعتها الثانية الى ان اتضحت الصورة ، وبعد ان قدم ريجان بوش باعتباره مرشحه لمنصب نائب الرئيس .

وقد استهل ريجان خطابه الذى اعلن فيه اختياره لبوش بالتعهد لتأييد الحقوق المتكافئة للمرأة ، واختتمه بعبارة اقتبسها من فرانكلين د . روزفلت عن ضرورة تقليص حجم الحكومة الفيدرالية ولقد كانت سياسات طيبة ، حظيت بتغطية تليفزيونية جيدة . ولكن كان لا يزال هناك « سيرز » ليلة الأربعاء حيث ينعقد مؤتمر الحزب الأمر الذى يعيد الى الاذهان ما كتبه هـ . ل . ماشكين عام ١٩٢٤ : « ان هناك شيئا ما في المؤتمر القومى للحزب يجعله شيقا وحيويا أو يستحق الاعدام شنقا انها (السوقية) ، انه القبح ، انه

الغباء . انه الأرهاق . ورغم ذلك ، ينطـوى على امـر سـاحر ومثير . ان المرء يجلس خلال الجلسات الطويلة وهو يتمنى مـن صـميم قلبه لو مـات جميع المندوبين والقى بهم فى الجحيم . ثم يظهر فجأة عرض يتصف بالبهرجة ويبعث على المرح ، عرض يتسـم بـ (الميلودرامية) والبذاءة ، عرض يثير الفـرحة بطريقة لم يكن من الممكن تصورها حتى ان المرء ليتصور انه عاش سنة كاملة فى ساعة واحدة » .

إن من السهل المبالغة بشأن اهمية استراتيجية اى فـرد بالنسـبة لتأكيد نتائج انتخابات الرئاسـة عام ١٩٨٠ . ان هـذه النتائج لم تحـددها اخـطاء الحملة الانتخابية لكارتر او براعة الحملة الانتخابية لريجان ، ولا الجهود التى بذلها مساعدو الرجلين ، ولا الملصقات الدعائية ولا المستشارون الآخـرون ايا كانت اهمية ذلك كله .

وذلك ان الحقيقة البسيطة هو أن الأمة كان على قمتها رئيس ديمقـراطى غير شعبى تركزت انجازاته فى مجالات لا توجـد فيهـا اصـوات انتخـابية . (اتفاقية قناة بنما ، وحتى اتفاق كامب ديفيد) الذى اصاب فشـله ، وخـاصة البطالة ، ولايات الشمال حيث يوجد الناخبون فى المدن الكبيرة ولا يمـكن لأى مرشح ديمقراطى ان يفوز فى الانتخابات بدون حصـوله على اصـواتهم . ولم يجد وسيلة يبرر بها فشله خـلال فترة رئاسـته الأولى ، وبينمـا كان يتلمس طريقة لتقديم رؤية للمستقبل ، كانت طريقة تقديم رؤية للمستقبل تبدو كمشروع اكثر منها رؤية ولقد خاض معركة مريرة من اجل الفوز بترشـيح الحـزب له . دون ان يقدم تنازلات كامنة للمهزومين كى ينال ولاءهـم ومـن ثم اشـتركوا فى الانتخابات من اجل الحاق الهزيمة بريجان ، وليس من اجل ان ينتصر كارتر . ولقد واجه شخصية (جون اندرسـون) المرشـح المسـتقل الذى كان عليه ان يتنافس معه كذلك . وقد اجتذب (اندرسون) ، فيما يبدوه ، المزيد من الأصوات المحتملة المؤيدة لكارتر اكثر مما اجتذب الاصـوات التى كان يحتمـل ان تؤيد ريجان كما كان الجمهوريون اكثر تنظيما من الديمقراطيين فى كثير من انحـاء البلاد . وقد استفادوا من ثغرات القانون الانتخـابى الفيدرالى بحيث انفقـوا المزيد من الأموال خلال الحملة الانتخابية . وأهم مـن ذلك كله ، ان الرسـوم البيانية لأصوات المجتمع الانتخابى اوضـحت ان كارتر سـيفوز بعـدد اكبر مما سيفوز به ريجان .

وكانت استراتيجية ريجان فى حـاجة ، فى الواقـع ، الى منهـاج هـادىء ومضطرد ، بحيث يمكنها ان تحقق تقدما ، بالرغم من الانتقادات التى تسـمع

عن حماقة توليه السلطة . ولقد كانت حملته انتخابية بطيئة فى ايقاعها ، تغيرت خلالها النسب المئوية للمرشحين منذ الاحتفال بعيد العمال حتى أواخر شهر اكتوبر . وكان الجمهور سعيدا ، فيما يبدو ، باختياره للمرشحين . بيد ان ريجان كان يحظى بشخصية مكنته من التمسك بالنصيحة ومن ان يفوز .

وكان العنصر الأول من هذا المنهاج ينطوى على عدم التصريح بأى شىء يتم عن حماقة ، بحيث لا يعطى لكارتر الفرصة لانتقاد منافسه بأنه جاهل وليس جديرا بالمنصب الذى يسعى اليه وقد تجنب ريجان ذلك تماما . وقد حدث خلال ابريل انه لم يستطع ان يحصل على حقائق ومعلومات على نحو مباشر عن موضوعات مثل قانون الحقوق ، بيد ان هذا كله كان يبدو امر تافها .

وأيا كان الأمر ، ففى خلال شهر اغسطس ظل ريجان يدلى بتصريحات تثير الحيرة والحرج . وليس أدل على ذلك من انه فى الوقت الذى اوفد فيه بوش الى الصين فى محاولة لاقناع الصينيين بأنه يمكنهم ان يتعايشوا مع الجمهوريين المحافظين الذى عارضوا شروط اقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين ، وهى العلاقات التى اقامها كارتر عام ١٩٧٨ — فى ذلك الوقت بدأ ريجان تأكيد تقديره الكبير لتايوان ، والتحدث عن اعادة اقامة علاقات « رسمية » بين الولايات المتحدة والجزيرة . وعندما اشترك ريجان فى المؤتمر المسيحى (تولد مسيحيون مرة اخرى) فى دالاس ، قال فى مؤتمر صحفى ان شكوكا اكيدة ومشروعة تثار حول نظرية التطور لداروين ، واعرب عن اعتقاده بضرورة تدريس النظريات المختلفة المتضاربة فى المدارس . وفى شيكاغو ، قال فى كلمة القاها امام المحاربين القدماء ان الحرب فى فيتنام كانت « قضية نبيلة » وباختصار ، كان ريجان يرغب ، فيما يبدو ، فى مطاردة الحيوانات ذات الأشواك وأحياء القضايا القديمة لسنوات ١٩٢٤ و ١٩٥٢ و ١٩٦٨ ، التى لم يقترع عليها اى احد عام ١٩٨٠ ، ما لم يصوتوا ضد مرشح يبلغ ٦٩ عاما ويبدو مولعا بالقضايا القديمة .

ولعل الأمر الأكثر اهمية من اى رد فعل سلبى تجاه تصريحات ريجان وتعليقاته هذه ، هو أن انها كانت تثير الأرتباك . والواقع انه اذا ما كانت هناك وسيلة اكيدة لالحاق الهزيمة بجيمى كارتر فهى تركيز الاهتمام على الاقتصاد . بيد ان ريجان لم يفعل ذلك خلال شهر اغسطس .

ولكن قد لا يكون هذا الأمر مهما خلال اغسطس . فمن الناحية التقليدية ، تبدأ انتخابات الرئاسة ذروة جديتها يوم عيد العمال . وقد كان ريجان فى افضل حالاته فى ذلك اليوم حيث القى كلمة فى حديقة الحية فى مدينة جيرسى

تحدث فيها عن عظمة امريكا بينما كان تمثال الحرية وجزيرة (اليس) وراءه . وشن هجوما عنيفا على سياسة كارتر الاقتصادية . لقد ركز هجومه ، بصفة خاصة ، على توضيح الفرق بين الكساد والركود (وكان مستشارو كارتر قد انتقدوا ريجان قبل ذلك باسبوع لانه وصف الواقع بأنه ركود) . لقد قال ريجان « ان الكساد يكون عندما يفقد جارك وظيفته ، اما الركود فيكون عندما تفقد انت وظيفتك . ويبدأ الانتعاش عندما يفقد جيمى كارتر وظيفته » .

وكانت تلك هى الرسالة التى اذاعتها نشرات الأخبار التى اذاعها التليفزيون فى تلك الليلة ، ثم اقام مأدبة اشترك فيها العمال ، وبعضهم من المتعطلين ، فى دويتريت . ثم هاجم كارتر فى كلمة القاها بمعرض ولاية ميتشيجان ، وتحدث عن ظهور الرئيس فى ذاك اليوم فى مدينة (توسطامبيا) بولاية (الاباما) قائلا : « انه بدأ جولته الانتخابية فى المرتبة التى ولدت فيها حركة (كوكلوكس كلان) . وقد انقض عليه كارتر ولامه بسبب هذا التصريح ، وكذا فعل فى الوقت نفسه عدد من حكام ولايات الجنوب وقد اعتذر ريجان بسرعة . ولكن كان يبدو لعدد قليل من اهالى الجنوب ان ريجان يرغب فى التضحية بتقديرهم لذاتهم من اجل الحصول على اصوات فى بعض الأماكن الأخرى .

غير ان ذلك كان المرة الأخيرة التى ادلى فيها ريجان بتصريح سبب له فى الواقع ضررا . وكان قد اعلن انه امكن السيطرة على مشكلة تلوث الجو فى ولاية اوهايو ، غير انه حول بعد ذلك مسار طائرته فى طريق عودته الى كاليفورنيا بسبب اسوأ ضباب ودخان تشهده الولاية خلال سنوات خلت . وقد ادلى ببعض التصريحات التى كانت غير صحيحة مثل نفيه انه اقترح جعل الضمان الاجتماعى اختياريا او انه قال ان حظر الانتشار النووى لا يدخل فى نطاق اهتمام الولايات المتحدة . بيد انه لم يتعرض فى الواقع لأية متاعب مرة اخرى . وقال لوى كانون المحرر بصحيفة « الواشنطن بوست » واحد المراقبين لحملات ريجان الانتخابية » ان ريجان يبدأ اى سباق يشترك فيه بداية سيئة » .

وكان العامل الأساسى الثانى فى استراتيجية ريجان هو ان يتصدى للنقد الذى يوجهه اليه كارتر ، وخاصة خط الهجوم الذى يوحى بأن ريجان مجنون بشن الحرب ، على نحو ما قال ريجان نفسه ذات مرة . ولقد كان لهذا الهجوم من جانب كارتر تأثيره . وليس ادل على ذلك من ان استطلاعا للرأى اجرته صحيفة نيويورك تايمز ومحطة تليفزيون سى . بى . اس فى أواخر اكتوبر كشف

ان ٩٣٪ من الجمهور قد اجابوا « بنعم » عندما سئولوا هل يعتقدون ان رونالد ريجان اذا ما انتخب رئيسا عام ١٩٨٠ سوف يدفع البلاد الى خوض غمار الحرب ؟ .

وقد تصدى فريق ريجان لهذا الموضوع بطرق واساليب شتى . من ذلك ان ريجان اعلن فى اول برنامج تليفزيونى تجارى فى الخريف « ان اول وأهم الأهداف التى يسعى الى تحقيقها هو اقرار السلام العالمى » . ثم اجرى فيما بعد نصف ساعة من برامج التليفزيون القومى تحدث خلالها عن السياسة الخارجية والدفاع دون ان يثير مخاوف أحد .

ولكن ، من المرجح ان اكثر الأسلحة فعالية التى استخدمها مساعدو ريجان لدحض اتهام كارتر بأن ريجان ميال الى شن الحرب وانه عنصرى ، هو كارتر نفسه . ذلك ان كارتر قد بالغ فى هذا الهجوم . صحيح انه قد اجاد استخدام هذا الهجوم على فترات متباعدة ، قائلا ان تاريخ تصريحات ريجان عن استخدام القوة فى ازمة تلو الأخرى كان فى حد ذاته تهديدا للاستقرار الدولى . بيد انه أثار مزيدا من الاهتمام عندما ذهب الى ما هو ابعد من ذلك ، عندما قال للمشاهدين فى مدينة تورانس بولاية كاليفورنيا فى ٢٢ سبتمبر ان اصواتهم « ستحدد نوع الحياة التى سيعيشونها هم وعائلاتهم ، وهو ما اذا كانت هذه الأمة ستسير الى الأمام ام ستتراجع الى الخلف ، ما اذا كنا سنحقق السلام ام سنخوض غمار الحرب » . غير ان ريجان رد بقوله ان هذا الهجوم اقل من المستوى اللائق .

غير ان ريجان حقق وضعا افضل عندما قال كارتر ان انتخاب ريجان قد يعنى انفصال الأمريكيين ، انفصال السود عن البيض واليهود عن المسيحيين ، والشمال عن الجنوب ، والريف عن الحضر ولقد استفاد ريجان الى حد كبير من هذا الهجوم عندما رد عليه على جميع شبكات التليفزيون قائلا : « اننى لا يسعنى الا ان اشعر بالغضب . اننى اشعر بالحزن لأن شخصا ما ، وخاصة اذا كان هذا الشخص يشغل مثل هذا المنصب (رئيس الجمهورية) يصرح بمثل هذا الكلام ، اننى لا اطلب منه ان يعتذر لى . اننى اعرف لمن ينبغى ان افسر تصرفاتى . انه (كارتر) مدين بأن يقدم اعتذارا للبلاد . »

والواقع ان سلوك ريجان كان يتناقض مع النص البسيط للعديد من التصريحات التى يدلى بها . فهو لا يبدو ميالا لشن الحرب . واخيرا ، نجد ان افضل وسيلة اعتمد عليها مساعدو ريجان فى التصدى للهجوم عليه بدعوى انه يدعو الى الحرب ، كانت هى سلوك ريجان نفسه خلال مناظرته مع كارتر فى

٢٨ اكتوبر ١٩٨٠ . وليس ادل على ذلك من ان النسبة المئوية للأمريكيين الذى اعربوا عن خشيتهم من اندلاع الحرب اذا تم انتخاب ريجان رئيسا قد انفخضت من ٣٩٪ قبل المناظرة الى ٣١٪ بعد المناظرة .

اما العامل الثالث فى استراتيجية ريجان فكان ببساطة عدم الشعور بالذعر او الفزع . ذلك ان استطلاعات الرأى العام القومى كانت تبين ان ريجان وكارتر يحصلان على اصوات متقاربة ، وان كارتر كان فى بعض الأحيان يتقدم على ريجان . وكان من المهم داخل معسكر ريجان ان يتذكروا ان الانتخابات ليست اقتراعا قوميا ، وانما هى عملية انتخابية منفصلة يتم خلالها اختيار ٥٣٨ صوتا انتخابيا . وان حساب هذه الأصوات الانتخابية لم يبين قط تخلفهم . ولقد كانوا يتذكرون ذلك ، ولم يتصرفوا على نحو متسرع .

غير ان اكثر ما كان يثير مخاوفهم هو ان تحدث « مفاجأة اكتوبر » فى السياسة الخارجية ، اى عودة الرهائن الأمريكيين من ايران ، وهو موضوع خدم كارتر خلال الانتخابات التمهيدية وعندما بدأ ان شيئا ما قد يحدث بالنسبة لاطلاق سراح الرهائن فى منتصف اكتوبر ، هاجم ريجان كارتر لتسامحه بالنسبة لاستمرار احتجاز الرهائن ، بينما غطى جمهوريون آخرون نيران الاتهامات هذه بالاشارة الى ان كارتر يستغل موضوع الرهائن ليفوز فى الانتخابات . ولقد سلك ريجان بصفة عامة الطريق السهل معلنا فى نيويورك انه ايا كان الأثر السياسى لاطلاق سراح الرهائن فانه لا احد سيشعر بالسعادة فى امريكا اكثر مما سأشعر لدى عودة الرهائن . ولقد كانت استجابته تجاه هذه الموضوع تتسم بالحذر وليس ادل على ذلك من انه عندما بدا ان التوصل الى اتفاق حول اطلاق سراح الرهائن وعودتهم الى البلاد قد اصبح وشيكا فى اليوم الأخير من الحملة الانتخابية ، استعد لذلك ، بيد انه لم يتحدث فى خطبة تليفزيونية عن هذا الموضوع وانما ركز حديثه الى حد كبير على الاقتصاد .

غير ان عدم الشعور بالفزع أو الخوف لا يعنى ان تغير قط ما تفعله . لقد بدا ، طوال عدة اسابيع ، ان الحملة الانتخابية لريجان لا يجب ان تغير ما تفعله . ثم فى اسبوع واحد فى منتصف اكتوبر ، وعد ريجان بأن تعمل امرأة فى المحكمة العليا ، واتخذ قرارا بالدخول فى المناظرة مع كارتر . ولقد كان يريد فى البداية مناظرة ثلاثية يشترك فيها اندرسون المرشح المستقل . غير ان كارتر اعترض على ذلك . وكان مساعدو ريجان يتوقعون ان « اندرسون » سيلحق اضرارا بالغة بكارتر . وعندما اشترك ريجان مع اندرسون فى مناظرة جرت فى بلتيمور فى ٢١ سبتمبر ، استفاد ريجان كثيرا منها لا من أية منافسة محددة .

وانما من طريقته الملهمة التى اختتم بها المناقشة حيث قال : « إن بعض الأشخاص الذين يشغلون المناصب العليا فى القيادة يقولون لنا ان الحل هو التراجع وان ما هو افضل قد انتهى . لقد عشنا طوال السنين المائتين ، فى المستقبل ، ونحن نعتقد ان الغد سيكون افضل من اليوم وان اليوم كان افضل من امس . ولا يزال هذا هو ما اعتقد . اننى لا أرشح نفسى من اجل الرئاسة لأننى اعتقد ان بامكانى حل المشاكل التى ناقشناها الليلة . اننى اعتقد ان فى امكان شعب هذا البلد ان يجد حلا لهذه المشاكل » .

غير ان المكاسب التى احرزها فى ضوء انطباعات الجماهير عنه ، بالنسبة لأسئلة مثل : (هل يفهم المشكلات المعقدة للبيت الأبيض ؟) قد تقلصت الى حد كبير فى أواخر اكتوبر . ولقد اثير جدل واسع النطاق بين معسكر ريجان حول قبول دعوة جديدة من رابطة الناخبات لعقد مناظرة بين ريجان وكارتر . فقد كان البعض لا يرى اى مبرر للموافقة على هذه المناظرة ، بينما كان البعض الآخر ، ومنهم ريجان خاصة ، يرون انه لا يوجد اى مبرر يدعو الى الخوف من الدخول فى مناظرة مع كارتر .

والواقع ان مساعدى كارتر ومستشاريه كانوا طوال عام كامل يستعدون لأن يشترك الرئيس ، بما يتمتع به من سيطرة على تفاصيل السياسة ، فى مناظرة مع ريجان . وكانوا واثقين من ان كارتر سيبدو مناسبا لتولى منصب الرئيس فى حين ان ريجان سيبدو أحمق ولا يهم ان (جورج بوش) و (هوارد بيكر) كانا يعتقدان نفس الاعتقاد . وأيا كان الأمر ، ففى ليلة المواجهة فى (كليفلاند) كان كارتر لديه المزيد من التفاصيل ، وكان اكثر دقة فى تناوله للقضايا ، غير ان سلوك ريجان كان أكثر فعالية . فقد بدا معقولا ، ومتمالكا زمام نفسه ، بينما بدا كارتر قلقا .

ولقد كانت المناظرة عرضا طيبا للسياسة القومية . ولقد ولم يكن استشهاد كارتر بابنته (ايمى) باعتبارها حجة بالنسبة لتقرير اهمية الأسلحة النووية باعتبارها احدى قضايا الحملة الانتخابية ولم يكن تشبيه ــ على سبيل لاستعارة ــ وجود قطار على اتساع قارة يحمل ١٥ طنا من المواد شديدة الانفجار (تى . ان . تى) فى كل عربة من عرباته وهى المواد اللازمة لقنبلة نووية تبلغ قوتها التدميرية ١٥ ميجاتون ــ لم يكن هذا التشبيه ملهما مثل تشبيه ريجان للعاطلين عندما قال : « لو أن كل العاطلين اليوم وقفوا فى صف واحد ، لوصل هذا الصف ما بين مدينة نيويورك حتى لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا .

غير ان النقاط التى كانت مطروحة للنقاش كانت ، فيما يبدو ، أقــل اهمية من انطباعات الشخصيات المشتركة فى المناظرات وهو الأمر الذى حــدث عام ١٩٦٠ و ١٩٧٦ . فلقد كان المنافس يؤكد نفسه خــلال المناظــرة مــع الرئيس او نائب الرئيس الذى يضطلع بالسلطة .

والى جانب اسلوبه ، نجح (ريجان) فى النهاية ، بعد ثمانية اسابيع القشل اكثر من النجاح فى جعل الاقتصاد موضوعا للمناقشة . والواقــع ان التضــخم والبطالة لم يكونا الامــرين اللذين اثرا فى اختيار المرشــح للرئاســة . فمــن الواضح انهمــا ــ الى جــانب فقــدان كارتر عددا كبيرا مــن الناخبين الديمقراطيين والمستقلين الذين اعتقــدوا ان حــالتهم المالية قــد تدهــورت عما كانت عليه من عام خلا ــ اثرا على اختيار الناخبين للمــرشح للرئاســة . وقد تحدث ريجان عن القرار الذى سيتخذه الناخبون يوم الانتخابات بقــوله : « فى اعتقادى انه عندما تتخذون هذا القرار قــد يكون مــن المفيد ان تســألوا انفسكم هل انتم فى وضع افضل الآن مما كنتم فيه منذ ٤ ســنوات خلت ؟ هــل شراءكم ما تحتاجونه من الحوانيت اسهل مما كان عليه الأمر منذ ٤ سنوات مضت ؟ هل توجد بطالة اكثر ام اقل فى البلاد مما كانت عليه منذ ٤ سنوات ؟ .

والواقع ان حلول ريجان التى قال عنها كارتر انهــا حلول تتســم بعــدم المسئولية كلية ، سوف تتمخض عن ضغوط تضخمية مــن شــأنها انه تدمــر البلاد ــ لم تكن موضع اهتمام احد . فقد دعا الأمة الى ان تقدم اســتفتاء على جيمى كارتر . وبعد ذلك باسبوع واحد وضعته الأمة فى قمتها ، فقد تم انتخاب رونالد ويلسون ريجان ، بأغلبية ســاحقة ، وهــو الرئيس الأربعــون للولايات المتحدة .

مستر ريجان
يذهب الى واشنطن

بقلم : هدريك سميث

فى يوم الانتخابات العامة ، اقترع رونالد ريجان وقرينته نانسى ريجان فى دائرتهما الانتخابية بباسفيك بالبساديس . وقد اقترع (لورانس ويلك) قائد الفرقة الموسيقية قبلهما بوقت قصير ، بينما لم يكن الممثل والمخرج السينمائى (سيلفستر ستالون) قد وصل الى مكان الاقتراع ، فى الوقت الذى غادر فيه ريجان وقرينته المركز الانتخابى .

وبعد ذلك بوقت قصير حلق ريجان شعره وقلم اظافره فى صالون الحلاق (دروكر) فى (بيفرلى هيلز) . ثم تناول غداء مكون من سلطة (التونا) والشاى المثلج واللبن المثلج مع اثنين من اوثق مساعديه السياسيين وهما (أدميز) و (مايك ديفر) . وعندما كان احدهما يشرع فى الحديث عن انتصار ريجان او الخطط الخاصة بالفترة الانتقالية ، كان ريجان « يمسك الخشب » او يرفض الاشتراك فى الحديث حتى لا يصاب « بالنحس » .

وبعد ظهر ذلك اليوم ، زار (ريتشارد وريثلين) المسئول عن استطلاعات الرأى العام فى فريق ريجان منزل ريجان حيث ابلغه بأنه يتجه الى تحقيق انتصار انتخابى ساحق . وبعد ذلك بوقت قصير ، وبعد ان اوشكت مراكز الانتخابات فى الشاطىء الشرقى على الانتهاء من مهمتها اتصل جيمى كارتر تليفونيا بريجان الذى كان يأخذ حماما . وتلقى (ديفر) مكالمة كارتر . وخرج ريجان من الحمام وهو يلف جسمه فى منشفة وتناول التليفون بيده ليتلقى اعترافا شخصيا من الرئيس التاسع والثلاثين بفوزه وتهنئته لذلك .

وفى هذه اللحظة الحاسمة ، أصبح ابن بائع الأحذية من مدينة (تامبيكو) بولاية (اللينوى) ، الممثل السابق الذى كان اقصى طموحه فى شرخ شبابه ان يصبح مذيعا لمباريات نوادى شيكاغو ــ اصبح اقوى شخصية سياسية فى العالم . وكانت هذه هى ذروة الملحمة السياسية غير التقليدية التى بدأت منذ خمسة عشر عاما ، عندما كان فى الرابعة والخمسين من عمره . ففى ذلك

الحين اقنعه رجال الأعمال من اصدقائه فى كاليفورنيا بأن يدخل الساحة السياسية وان يرشح نفسه لمنصب حاكم الولاية . وقد رشح نفسه بعد ذلك ثلاث مرات من اجل الفوز بمنصب رئيس الجمهورية . وفشل فى مرتين منهما . اما الآن ، وبعد ان بلغ التاسعة والستين من عمره ، فقد اصبح أكبر الرجال سنا فى التاريخ الأمريكى ، الذين وقفوا على عتبة هذا المنصب المروع .

لقد حققت حملته الانتخابية نجاحا مذهلا . فقد استحوذ على قاعدة الولايات الجنوبية التى كان يعتمد عليها جيمى كارتر . وحطم القوة المتوقعة لكارتر فى الشرق . وسيطر على ساحة المعركة فى ولايات الوسط الغربى . فقد صوت الغرب كله لصالحه ، على نحو ما كان متوقعا لتكتمل بذلك الهزيمة المنكرة التى حاقت بكارتر . بل ان ما هو اكثر من ذلك ، انه فى اعقاب انتصار ريجان وفى اطار الموجة العاتية لاقتراع الاحتجاج الساحق ضد كارتر والديمقراطيين ، تمكن الحزب الجمهورى من السيطرة على مجلس الشيوخ لأول مرة منذ ستة وعشرين عاما ، حيث حصل على اثنى عشر مقعدا جديدا من مقاعد مجلس الشيوخ الى جانب ثلاثة وثلاثين فى مجلس النواب . وعلى الرغم من ان الديمقراطيين لا يزالون يسيطرون على مجلس النواب ، يتوقع ريجان وجود اغلبية من المؤمنين بالاتجاه الفلسفى المحافظ فى المجلس . وهكذا ، أعيد خلال يوم واحد رسم الخريطة السياسية للولايات المتحدة . ويسيطر الآن ريجان على الساحة القومية .

وفى تلك الليلة ، وعندما بدأت احتفالات الانتصار فى القاعة الكبرى بفندق (بلازا) بلوس انجلوس ، كان الرئيس الجديد المنتخب المتألق الذى تعلو الابتسامة شفتيه فكر مع مساعديه فى امور الرئاسة .

وقال ريجان لمؤيديه وانصاره المبتهجين « هل تعلمون ان (لينكولن) اجتمع فى مكتبه ، فى اليوم التالى لفوزه فى انتخابات الرئاسة ، مع الصحفيين الذين غطوا حملته الانتخابية وقال لهم : حسنا لقد انتهت الآن متاعبكم ، اما متاعبى انا فقد بدأت . » وفى اعتقادى اننى ادرك ما كان يعنيه . ربما كان لينكولن قلقا بشأن الأوقات العصيبة التى قد يواجهها ابان تولية الرئاسة . ولكننى لا اعتقد انه كان خائفا . وانا كذلك لا اشعر بأى خوف مما قد اواجهه فى المستقبل . واعتقد ان الشعب الأمريكى لا يخشى شيئا مما ينتظرنا مستقبلا . فمعا سوف نفعل ما ينبغى علينا ان نفعله . سوف نتجه لاعادة النشاط والفعالية لأمريكا .

ولقد كانت مخاطرة اقدم عليها ريجان باثارته مثل هذه المقارنات التى

تلهب الخيال ، وان يحرك مثل هذه التوقعات العالية . ذلك ان الذين يهتمون بالتاريخ السياسى الأمريكى ، لم يسمعوا فقط صوت (لينكولن) فحسب ، وانما استمعوا كذلك الى صدى صوت فرانكلين وروزفلت ، بطل ريجان فى ايامه الأولى ، وهو يدعو جيلا من الأمريكيين المحبطين منذ قرن مضى الى استجماع شجاعتهم « لأننا لا نخاف من شىء الا من الخوف نفسه » ، وإلى (جون كيندى) وهو يعلن فى عام ١٩٦٠ أن الوقت قد حان لأن تتحرك امريكا مرة اخرى .

ولقد كان ريجان ابان حملته الانتخابية من اجل الرئاسة ، يثير فى كثير من الأحيان الشبه بينه وبين روزفلت ، حيث كان يطلب من الجماهير ان تنظر اليه باعتباره زعيما لثورة سياسية جديدة ، وباعتباره الرائد المنوط به بعث الاتجاه المحافظ الذى سيغير المفهوم الأمريكى عن الحكم تغييرا جذريا كما فعل روزفلت بانتهاجه السياسة الاقتصادية الجديدة (نيوديل) ولقد اشار ريجان مرارا وتكرارا ، الى ايمانه العميق والحقيقى بأفكار روزفلت الأصيلة ، روزفلت الذى خاض حملته الانتخابية عام ١٩٣٢ على اساس وعده بأن الحكومة « تكلف كثيرا » وانه يتعين علينا ان نلغى المكاتب الحكومية التى لا فائدة منها ولا جدوى . ولكن ما ان تولى روزفلت السلطة حتى غير اتجاهه هذا وبدأ عهدا من النشاط والنمو الحكومى وامضى ريجان الجزء الأخير من حياته يعارضه ويتصدى له .

والواقع ان مؤيدى ريجان يحبذون فكرة انه سيغدو بمثابة الجمهورى المحافظ الممثل لروزفلت . ويقول السناتور هوارد بيكر من تنيسى ، والزعيم الجديد للأغلبية الجمهورية « اننى اقسم الرؤساء الأمريكيين الى رؤساء بارعين يضطلعون بتسيير جهاز الحكم ، ورؤساء ملهمين يضطلعون باجراء تغييرات جذرية . ولقد كان (فورد) و (كارتر) وحتى (ترومان) و (جونسون) رؤساء بارعين ، بينما كان (روزفلت) و (نيكسون) من الرؤساء الملهمين . فقد اقدم (نيكسون) على اجراء تغييرات حاسمة فى مجال السياسة الخارجية . لقد كان يحاول اعادة ترتيب العالم وتغيير الوضع الراهن . اما (روزفلت) فقد اجرى تغييرات جوهرية فى مجال الشئون الداخلية الى ان اندلعت الحرب العالمية الثانية . وفى اعتقادى ان ريجان سيكون رئيسا ملهما . وانه سوف يبذل جهدا قويا لتغيير حجم الحكومة وتكلفتها . واعتقد انه سيغير نظام الخدمات الحكومية ، وتقديم المساعدات الفيدرالية والهيئات الفئوية للمحليات . كما ان سياسته الضريبية تختلف اختلافا جوهريا . وان ما يدل على شخصيته التى تختلف عن شخصيات

الآخرين ، هو قدرته على التوجه الى الشعب وتعبئة التأييد الشعبى . ولم يكن نيكسون ولا روزفلت يحظيان بهذه القدرة .

غير ان بعض الدارسين المعنيين بشئون الرئاسة مثل (جيمس ديفيد باربر) من جامعة (ديوك) يقللون من اهمية خطبه المتفائلة ، ويصفونها بأنها بسيطة وغير واقعية وتثير التصفيق دون ان تنطوى على غرض محدد او رؤية واضحة . ومن ثم يتوقعون ان يكون رئيسا سلبيا ، على غرار الرؤساء المحافظين الموالين لرجال الأعمال مثل دارين هاردنج ووليام هوارد تافت . ويقول باربر (ان ريجان رجل لديه مواهب فنية حيث يسعى لتشجيع الناس ، ويريد ان يحظى باعجابهم . وان مكمن الخطر فيه انه يكون عرضة لأسماك القرش السياسية . ورغم ذلك يرى دارسون آخرون مثل (توم كرونين) من كلية (كولورادو) ان الحضور السياسى لريجان واسلوبه الخطابى ينطوى على مسحة من وهج وسحر كيندى .

ويقول (كرونين) ان جون كيندى كانت لديه طريقة خاصة فى نطق الكلمات ، وفى الحديث عن القضايا باسلوب بسيط ، مما يثير اهتمام الناس بها ويجعلهم يستمعون اليه . ويتمتع ريجان بنفس الموهبة كما انه مثل كيندى فى اتسامه بتفاؤل معد . والواقع انه فى مناظرات انتخابات الرئاسة لم يفز كيندى وريجان بسبب مضمون احاديثهم والقضايا التى اثاروها ، وانما بسبب ظهورهما وحضورهما فقد كان الناس يحبون كيندى . وفى اعتقادى انهم سيحبون ريجان . فهو يدرك ان البلاد تعانى من مشكلة تتعلق بالروح المعنوية ، ويعنى بالتصدى لها . والواقع ان البلاد سوف تؤخذ بالرجل الذى يتحدث حديثا وديا وبروح وثابة تدعو الى العمل .

والواقع ان ريجان مزيج من سمات بعض اسلافه ، كما انه ينطوى على سمات جديدة تماما . وهو اقرب ما يكون الى الرئيس السابق (الجنرال دوايت ايزنهاور) فى نغمته واسلوبه وربما نظرته للأمور . ذلك ان كليهما يتسم بالنظرة البسيطة للأمور التى تعكسها المدن الصغرى فى امريكا ، ويؤمن ايمانا مطلقا بالمشروع الحر ، وبثقة كبرى فى تقدير رجال الأعمال وازدراء المواطن السياسى لتزايد دور الحكومة .

وعلى غرار الجنرال البطل ايزنهاور ، يود ريجان ان يضع الخطوط الفلسفية العريضة التى تسير عليها ادارته ، وان يعمل به ، باسلوب مدير مجلس ادارة الشركات او باسلوب القائد الأعلى الذى يصدر الأوامر فى شركة تتآلف من مجموعة صغيرة من المستشارين المقربين منه ، وان يكلف كبار

المسئولين فى الحكومة وكبار مساعديه بقدر كبير من سلطاته، بحيث يكون بصفة عامة بعيدا عن المشاكل السياسية اليومية.

ولا يوجد ما يصور استعداد ريجان وأسلوب آدائه الذى يتمثل فى تفويض سلطاته التنفيذية لمساعديه اكثر من المفاوضات التى اجراها مع الرئيس السابق جيرالد فورد خلال المؤتمر الحزبى الذى عقد فى يوليو ١٩٨٠ من اجل الاتفاق على دور اكبر لنائب الرئيس كوسيلة لاغراء فورد للموافقة على ترشيح نفسه نائبا للرئيس فى التذكرة الانتخابية لريجان وكان فورد يرى ان ريجان عندما يغدو رئيسا سيكون بمثابة المسئول التنفيذى فى الحكومة الذى يضطلع بسلطة اصدار القرارات النهائية وأن فورد عندما يتولى منصب نائب الرئيس سيكون بمثابة المسئول الرئيسي عن تسير اعمال الادارة، وان يضطلع بتنفيذ القرارات الرئاسية، ويشرف على هيئة العاملين فى البيت الأبيض، وتسيير النشاط الحكومي.

ومن حيث المبدأ، كانت فكرة فورد هذه تتفق مع مفهوم ريجان الخاص بالتنظيم التنفيذى لادارته المرتقبة، ولرغبته السياسية العملية فى أن يكون نائب الرئيس الذى يرشح نفسه معه شخصية قوية. غير انه اعرب عن حسن ادراك للأمور عندما اعترض على الاقتراحات الخاصة بالمشاركة فى السلطة اذ كانت تنطوى على تهديد بتفكك الرئاسة قبل ان يفوز بها. بيد ان المفهوم يعود الى اسلوب ايزانهاور فى تفويض السلطات الهامة لمستشاريه الأساسيين مثل (شيرمان ادامز) رئيس اركان الجيش، و (جون فوستر دالاس) وزير خارجيته، واللذين كانا يتعرفان فى كثير من الأحيان باعتبارهما نائبين للرئيس ويتمتعان بسلطة رئاسية.

والواقع ان ريجان يبدو مقنعا، مثل ايزنهاور، بتحمله المسئولية الشخصية الجوهرية للرئاسة. فهو لم يجهد نفسه، فيما يبدو، مثلما كان يفعل كارتر فى كثير من الأحيان، وانما كان يبدى ثقة داخلية طبيعية بقدرته على الاضطلاع بالزعامة. وتمتد جذور ريجان، مثل جذور ايزنهاور، فى قلب الأرض الأمريكية، فى ريف ولايات الوسط الغربى، وان هذه الجذور لم تكن قط بعيدة جدا عن السطح. ذلك ان ريجان بالرغم من ماضيه فى هوليود وجماعة (اصدقاء المليونيرات) فى كاليفورنيا، فانه، مثل ايزنهاور، يتسم بالبساطة والود. للمخالطين له والمجاورين له.

ويحظى ريجان بتأثير ساحر سواء عندما يقف امام الكاميرا) أو عندما يلقى خطبه فى الاجتماعات او ابان جولاته الانتخابية، فهو يبدو كشخص

يتمتع باخلاق عالية ، وبالشرف وبالاخلاص ، وتصميم المواطن السياسي على بلوغ هدفه . وهو يشيع جوا من الفضيلة البسيطة ويد حض سلوكه اللبق ومظهره الأخاذ اولئك اللذين يعتقدون ، عن بعد ، انه شخص يميني متعصب . فهو يبدو - ايا كان ما يقوله - واضحا دون خبث او رياء . ويحظى - عندما يتحدث الى الجمهور وجها لوجه ، ربما يتمتع به من قدرة على تبسيط المشاكل - باستجابة من يستمعون اليه .

ومن الناحية السياسية ، نجد ان ريجان شخص مباشر وغير معقد ، بل انه يبدو بسيطا وساذجا ، بالرغم من انه ، مثل ايزنهاور ، يمكن ان يكمن المكر والخداع وراء اسلوبه الذى يبدو بسيطا وغير مصطنع والواقع ان وده الظاهر وبساطته الواضحة قد سببا له المتاعب وليس ادل على ذلك من ان تصريحاته التى ادلى بها عن فيتنام وتايوان قد جلبت له المتاعب ابان الحملة الانتخابية كما عانى من حيرة وارتباك سياسى ابان مفاوضاته مع جيرالد فورد عندما كانت هذه المفاوضات تتقدم او تتعثر على نحو درامي ، ولو كان سياسيا يدقق فى حساباته لأبقى هذه الدراما وراء الكواليس دون ان يتابعها الجمهور .

وأيا كان الأمر ، فان نجاح ريجان لا ينبع من لغز عظيم اكتنف مناورة سياسية قام بها ، ومن اقامة ائتلاف وتحالف سياسى من خلال علاقاته وصلاته الطويلة بالسياسيين المحترفين ، وانما ينبع ، مثل ازنهاور من دوافعه السياسية السليمة ، وتمتعه بالاخلاص السياسى ، وقدرته على الاتصال مع الجماهير من رؤوس السياسيين الآخرين .

وفى البداية ، كان مستشارو ريجان يعتزمون ان يجعلوه يحقق انجازات سريعة فى البيت الأبيض تتجاوز جزئيا ، ما قام به ايزنهاور بيد أن ريجان يحبذ ، فيما يبدو ، وبصفة مؤقتة ، انتهاج اسلوب الرئيس ايزنهاور الخاص بالايقاع المتواضع فى انجاز الأمور تحبيذاً اكثر من ميله الى اسلوب روزفلت اولينديون جونسون الذى يتسم بالأداء النشط .

ورغبة من جانب ريجان فى تبديد ما يعترى الجماهير من قلق بشأن سنه ، قام بحملات انتخابية طويلة وشاقة اعتبارا من يوم الاحتفال بعيد العمال وحتى يوم اجراء الانتخابات . وعندما كان ريجان يتولى منصب حاكم كاليفولنيا ، كان يواصل العمل مع رجال الهيئة التشريعية حتى ساعة متأخرة فى كثير من الأحيان ، بيد ان مواعيد عمله المعتادة كانت تبدأ من الساعة التاسعة صباحا وحتى الخامسة بعد الظهر ، مع فترة راحة تكون حوالى الساعة الحادية عشر ظهرا ، بيد ان الرئاسة الحديثة نادرا ما تتبع مواعيد

عمل بسيطة كهذه . ومع مرور الوقت ، كان ريجان يتحرك بحذر ، ويتخذ معظم القرارات بسرعة . وعلى عكس كارتر ، يترك ريجان التفاصيل لمساعديه ، ويخلد الى الراحة بعض الوقت .

والواقع ان اسلوب ريجان يتوافق مع نظرته للأمور ، فمن الناحية الفلسفية ، ترتكز وجهة نظر ريجان تجاه الحكومة على القول المأثور الليبرالى بأن افضل حكم هو الذى يحكم بدرجة اقل . ولقد كانت الدعوة التى كررها حماس وبتأكيد كبير خلال حملته الانتهابية تتمثل فى تعهده المستمر بان يزيح الحكومة من فوق كاهل الشعب ، ولقد قال : انه لا يعجب بايزنهاور فحسب ، بل يعجب كذلك بالرئيس الأسبق كوليدج الذى كان يطلق عليه « كول الصامت » والذى كان شعاره المعروف خلال العشرينات هو . « ان شئون امريكا هى المشروعات للتجارية » .

وقد قال ريجان فى حديث ادلى به فى الصيف الماضى ان عددا كبيرا من الأشخاص قد تولد لديهم انطباع خاطىء بأن هذين الرئيسين (ايزنهاور ، وكوليدج) قد امضيا فى لعب الجولف والاسترخاء اكثر مما امضيا فى عملهما كرئيسين . « وأضاف ان هؤلاء الأشخاص قد نسو القاء نظرة على انجازاتهما خلال سنوات حكمهما ـ وهى : الرخاء والسلام وعدم وجود اى تضخم . وربما يمكننى تلخيص ذلك فى كلمات اصفها فى لوحة على مكتبى « يمكنك ان تنجز الكثير من الأعمال اذا لم تعبأ بمن يفوز بشرف ادائها . »

غير ان ريجان يختلف مع ايزنهاور فى نقطتين حاسمتين على الأقل . ففى مجال السياسة الخارجية ، يفتقر ريجان حاكم كاليفورنيا السابق الى الخبرة الطويلة ، التى كان يتمتع بها ايزنهاور بسبب انحرافه فى الحرب وحققت ثقة الشعب به فى امور الحرب والسلام ، وهى الخبرة التى منعت ايزنهاور من الدخول فى حرب فيتنام الأولى عام ١٩٥٤ عندما كان بعض كبار المسئولين فى وزارة الدفاع (البنتاجون) يدعون الى الدخول فيها ، والتى جعلت ايزنهاور يشعر بقلق دائم من نفوذ المجمع الصناعى العسكرى فى الولايات المتحدة .

أما الاختلاف الأساسى الآخر ، فهو ان ايزنهاور قد دخل مجال العمل السياسى باعتباره بطل حرب قوميا ، فى وقت كان فيه الشعب يتطلع الى فترة راحة تسودها حياة عادية ، اما ريجان فقد وصل الى الرئاسة الأمريكية باعتباره المتحدث باسم الحملة الحربية السياسية فى وقت يسوده الاضطراب القومى ، والسخرية الشعبية ، والتشكك فى ان يكون فى وسع الأمة ان تسيطر على مصيرها . ومن ثم ، اعاد كل من ريجان وايزنهاور الاطمئنان الى الأمة .

غير ان ايزنهاور لم تكن لديه قضية شخصية ، بينما كان ريجان يدافع عن قضية منذ حوالى عقدين .

إن هدف ريجان يتمثل فى ايقاظ العملاق الأمريكى النائم بحيث يعود الى ادراك قدرة العظيم ، وان تستعيد الامة نشاطها فى الساحة الدولية عن طريق قوتها الاقتصادية والعسكرية . ويشعل البطولة والكبرياء الوطنى لجون واين . وتستهدف استراتيجية الحد من المؤسسة الفيدرالية عن طريق خفض الضرائب ، وخفض الانفاق الحكومى وخفض عدد الموظفين الحكوميين ، والتقليل من اللوائح الحكومية اعتقادا منه ان ذلك من شأنه اطلاق الطاقات الانتاجية للمشروع الحر . ويؤمن بأن فى وسع هذه الأمة ان تشق طريقها متجاوزة التضخم الذى يشبع الضعف فى اقتصادها ، وبأسرها فى براثنه ، وهو يدعو المواطنين الى محاربة المؤسسة الفيدرالية الضخمة . ويرى البعض ان دعوته هذه غير واقعية ، وغير سليمة ، ولكن تلك هى الرؤية التى تحرك رونالد ريجان .

وقد قال ريجان عشيه انتخابه فى واحدة من اكثر خطبه بلاغة وفصاحة . « يشعر الكثيرون من الأمريكيين اليوم ، مثلما كانوا يشعرون منذ ٢٠٠ عام مضت ، بأنهم مثقلون ومخنوقون ، بل يشعرون فى بعض الأحيان بأنهم مضطهدون من جانب حكومة تزداد ضخامة ، وبيروقراطية وتبديدا للموارد ، حكومة لا تتجاوب ولا تعبأ بالجماهير وبمشاكلهم » .

ويستطرد ريجان قائلا : « فى اعتقادى اننا يمكننا ان نبدأ عهدا جديدا من الاصلاح فى البلاد ، عهدا جديدا من التجدد القومى » . وأضاف : « عهد نعيد فيه تنظيم العلاقة بين المواطن والحكومة ، بحيث تعود الحكومة الى التجاوب مع الشعب ، عهد تتجدد فيه قيم العائلة والعمل والجيران ، ونستعيد فيه مؤسساتنا الاجتماعية المستقلة والخاصة . ولقد اضطلعت هذه المؤسسات دائما بدور الحاجز والجسر بين الفرد والدولة . وان هذه المؤسسات ، لا الحكومة ، هى المصدر الحقيقى لما احرزناه كشعب من تقدم اجتماعى واقتصادى .

ويواصل ريجان كلامه قائلا : « ولهذا قلت خلال هذه الحملة الانتخابية : انه يتعين علينا ان نراقب ونحد من الانفاق الحكومى المتزايد ، وانه ينبغى علينا ان نخفض معدلات الضرائب لتشجيع الانتاج والادخار والاستثمار . ولهذا قلت : انه يمكننا ان نخفف الأعباء التى تثقل كاهل الانتاج والمشروعات التجارية ، وان نتخلص من اللوائح الحكومية غير الضرورية ، وان نحتفظ فى الوقت ذاته بمعايير عالية لضمان سلامة البيئة والأمن المهنى .

ويضيف ريجان : « ولهذا قلت ان فى وسعنا ان نخفض التكاليف الحكومية عن طـريق التخلص مـن مليارات الدولارات التى تبددهـا البيروقـراطية فى الأسراف والاحتيال ـ وهى مشكلة تعد الآن فضـيحة قـومية فـظة . ولما كنا اتحادا من ولايات تتمتع بالسيادة ، فـانه يمـكننا ان نعيد الصـحة والحيوية للولايات وللحكومات المحلية بأن نجعلها تشرف على برامجهـا الخـاصة التى من الأفضل ان تدار على مستويات حكومة اقرب الى الشـعب وفى وسـعنا ان نكافح الفساد ، بينما نعمل على ان يدخل فى حـكومتنا نسـاء ورجـال ممـن يتمتعون بالكفاءة والنزاهة » .

وهكذا يتضح ان ريجان يضـع نصـب عينيه تنفيذ اصـلاح ذى اتجـاه محافظ ، على عكس ثورة السياسة الاقتصادية الجديدة (نيوديل) التى قادها فرانكلين روزفلت ، والتى كان ريجان نفسه معجبا بها فيما مضى . ورغم ذلك ، توجد ورطة تكمن فى تأكيده على الزعامة الرئاسية من اجل تحقيق قضيته ، وفى الفردية العنيفة التى يصطبغ بها تفكيره . ذلك ان دافعه الفلسفى يتمثل فى دعم القوى المركزية الطاردة التى تزيد من صعوبة ممـارسة الزعامـة القـومية فى الوقت الحاضر ، فى الوقت التى تتطلب فيه استراتيجيته السياسية انتهاج مبدأ بسيط لتنفيذ السياسات ـ وخاصة السياسات الاقتصادية ـ وهو الأمر الذى ثبت تعذر تحقيقه حتى الآن بالنسبة للادارات والكونجرس .

وقد اشار ريجان ، خلال مؤتمر الحزب الجمهورى الى ثغرة اسـاسية فى النظام الأمريكى ، وهى الثغرة التى تتحـول على نحـو رمـزى الكثير مـن المسئوليات لرجل واحد يقبع على قمـة السـلطة ، ولكنهـا تطـوقه بتوازنات دستورية ، يعقدها فى الوقت الحاضر تشرزم قوة الكونجرس واستياء الجمهور من السلطة ، وهو الأمر الذى عبر عنه ريجان منذ وقـت طـويل ، وعندمـا قبل ترشيح الحـزب له ، دعا الناخبين الى رفض حـكومة كارتر التى تطـالب بان نعلق آمالنا واحلامنا على رجل واحد ، وان نثق فى انه سيفعل ما هـو افضـل بالنسبة لنا : « وقد قال ريجان على نحو يتسم بمزيد من الغمـوض ان وجهـة نظره فى الحكومة تتمثل فى الا نضع ثقتنا فى شخص واحـد او حـزب واحـد ، وانما نضعها فى قيم تتجاوز الأشخاص والأحزاب ، نضع ثقتنا فيمن ينبغى ان توضع فيه وهو الشعب » .

والواقع ان الاختبار الجـوهرى الذى سـيتعرض له ريجـان هـو كيفية تفسيره لثقة الشعب ، هذا التفسير سيكون عريضا او حنيفا ، وكيفية ممارسته للحكم ، وهل هذه الممارسة عريضة او حنيفة . هـل يدعم سـلطات الرئاسـة

بالعمل الدائب على توسيع نطاق الائتلاف الحاكم او سيدفع الى تضسييقه وقصره على الأغنياء الجدد الأمر الذى يقلص قاعدته ؟ هل يتواءم ريجان على نحو عملى (براجماتى) مع الحقائق السياسية ام يشرع فى تنفيذ افكاره الأثيرة وان كانت غير سياسية ؟ هل سيبرهن على انه يتمتع بما يكفى من الحزم بحيث يعرب عن رؤية واضحة ومتسقة تتسم بالمرونة الكافية فى الوقت نفسه ، حتى لا يؤدى جمود العقائد الى الجمود العام ، الأمر الذى من شأنه تهديد اهدافه الأساسية ؟

والواقع ان ثمة اغراء يدفع فريق ريجان والجناح اليمينى فى الكونجرس الى الزعم بأنهم قد حصلوا على تفويض انتخابى لاتخاذ اجراءات محافظة فى كل الميادين . كما انه ثمة اغراء يجعلهم يؤكدون ان الانتصار الانتخابى الساحق الذى حصل عليه ريجان وتغير المناخ فى الكونجرس سيمكنهم من التصدى لمعارضة الأعضاء الديمقراطيين ، الأمر الذى يبدو واضحا من الهزيمة النكراء التى لحقت بالعناصر الليبرالية البارزة مثل السناتور جورج ماكجفرن من داكوتا الجنوبية ، الذى كان مرشحا للرئاسة عام ١٩٧٢ ، و (السناتور فرانك تشيرش) من (اداهو) ، ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ، وحوالى ستة آخرين . وفى ظل حصول الحزب الديمقراطى على اغلبية فى مجلس الشيوخ تتراوح من ٤٣ إلى ٤٧ مقعدا ، تستطيع الادارة الجديدة ان تتطلع للعمل مع جمهوريين محافظين مثل (ستروم ثورموند) من (كارولينا) الجنوبية الذى يرأس اللجنة القضائية بمجلس الشيوخ و (بارى جولد ووتر) من (اريزونا) ، رئيس لجنة المخابرات ، و (بيت دوميتيشى) ، رئيس لجنة الميزانية ، و (جيمس هيلمز) من (كارولينا) الشمالية رئيس لجنة الزراعة ، و (جاك جارن) من (اوتاه) ، رئيس لجنة البنوك .

ولقد ادت هزائم الليبراليين فى مجلس الشيوخ ، ودخول المجلس لأعضاء محافظين جمهوريين من (الاباما) و (اداهو) و (فلوريدا) و (اوكلاهوما) ومن كل مكان الى التحدث بحماس بالغ عن الانتصار الانتخابى الساحق للاتجاه المحافظ الذى يضفى على الرئيس الجديد قوة سياسية بحيث يمكنه ان يفعل الكثير مما يريد . بيد ان ريجان لا يمكنه تحمل ترف مثل هذا التفسير البسيط .

والواقع انه اذا ما نظرنا عن كثب الى نتائج الانتخابات تكشف لنا ان شعبية ريجان الانتخابية تبلغ فى مجموعها ٥١ فى المائة وهى اصغر حصيلة

لأصوات الناخبين من حيث النسبة المئوية منذ عام ١٩٤٨ ـ ٥٢,٤ فى المائة من اصوات الناخبين الذين يتمتعون بحق الانتخاب . وهذا يجعل ريجان بمثابة الاختيار النشط من جانب ٢٦,٧ فى المائة فقط من السكان البالغين . ومن ثم تعد النسبة المئوية للتصويت الشعبى الذى حصل عليه ، تعد اقل سابع نسبة خلال انتخابات الرئاسة العشرين فى غضون القرن الحالى ، وقد كشفت استطلاعات الرأى العام ان اكثر من ٣ أفراد من كل عشرة افراد قد صوتوا لصالح المرشح الجمهورى فى انتخابات الرئاسة ، وان الدافع الأساسى لتصويتهم هذا كان يستهدف الحاق الهزيمة بجيمى كارتر اكثر مما يستهدف انتخاب ريجان وفضلا عن ذلك ، لا يزال الديمقراطيون يحتفظون بواحد وخمسين مقعدا فى مجلس النواب ، وان الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ ضئيلة بحيث يحتاج ريجان الى تأييد الجمهوريين المعتدلين بل الى تأييد الليبراليين فى بعض الأحيان فى كل من المجلسين ، حتى يتسنى له الانتصار بالنسبة للقضايا الحاسمة . ولم يغفل مستشارو ريجان الأذكياء عن ملاحظة اهمية قوة اعضاء ليبراليين فى مجلس الشيوخ فى ولايات مثل (كاليفورنيا) و (كولورادو) و (فيرمونت) و (اوريجون) و (ميرلاند) ، وان المعتدلين من الحزب الجمهورى قد فازوا فى (جورجيا) و (انديانا) و (وسكونسين) و (واشنطن) والواقع ان جوهر الأمر ، كان انتصارا للحزب الجمهورى اكثر منه انتصارا كاسحا ايديولوجيا . والى جانب وجود رؤوساء لجان محافظين جدد فى مجلس الشيوخ ، يوجد العديد من الجمهوريين الآخرين الذى يؤمنون بآراء سياسية واجتماعية معتدلة فى مواقع هامة : اذ يتولى (تشارلز بيرس) من ولاية (اللينوى) رئاسة لجنة العلاقات الخارجية ، ويتولى (مارك هاتفيلد) من ولاية (اوريجون) لجنة المخصصات المالية ، ويتولى (بوب دول) من (كينساس) اللجنة المالية . ومن ثم ، كان فى وسع ريجان ان يتجاهل هؤلاء الجمهوريين المعتدليين ، والا يهتم بالديمقراطيين ، ولكن ذلك سيكون خطرا عليه .

ويعلق (هوارد بيكر) زعيم الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ على هذا الوضع بقوله : « لو أن فى إمكان ريجان أن يتوجه إلى الشعب ويعبئه وأن يوسع نطاق إئتلافه الحاكم ، لكان قد قام بعمل جيد . ولكن اذا ما كنت مخطئاً بشأن تقديرى لخطواته القادمة ، وتحولت إلى التمسك بالسياسات المحافظة المحدودة ، فان ذلك لن يكون سياسة فعالة » .

وتلك نقطة تلقى ريجان بشـأنها تدريبا معقـولا . ففـى غضـون الحملة الانتخابية ، حثه مستشاروه على ابداء التفهـم والاعتدال . ولذلك بذل جهـدا متعمدا لتخفيف موقفه الايديولوجي الجامد والسيء للحصول على تأييد القواعد الحزبية . وقد اعلن ريجان فى خطبته التى القـاها امـام مـؤتمر الحـزب الجمهورى : « ان رسالتنا ستكون : ان علينا ان نتحرك الى الأمام ، والا نترك احدا متخلفا وراءنا . اننا نحـن الجمهـوريين نؤمـن بان مـن الضرورى ان نحافظ على قوة دفع النمو الاقتصادى وقوة شبكة الامان لمن يكون فى حـاجة الى ان نمد له يد المساعدة فى المجتمع وتعهد ريجان ـ فى محـاولة مـن جـانبة لتبديد مخاوف النساء والمسنين من انه سوف يتجاهلهم ـ بالكفاح ضد التمييز ضد النساء وحماية نظام الضمان الاجتماعى .

ورغم ذلك ، كان من الطبيعى ان يتساءل الشعب : الى اى مدى يعتبر كلام ريجان هذا ووعده ، ضرورة سياسية يمليها احتدام الحملة الانتخـابية ، والى اى حد يمثل اعتدالا وتفهما دائما من جانبه ؟ وايا كان الامر ، فـان القضـية الحقيقية ، قد تكون قضية قدرة ريجان على التوائم السياسى تبعـا للحقـائق ، اقل من اهميتها من الثغرات الماثلة فى تجـربته الشـخصية . ذلك ان النجـاح المستمر والسـهولة التى اقترنت بهـا حياته ربمـا تجعله لا يرى الاشـخاص المعوزين الذين يعـانون مـن ضآلة الموارد الاسـاسية التى تعينهـم على الحياة ،وهو الامر الذى يحدد بعض مواقفه واقتراحاته السياسية الجـوهرية والاساسية .

ولقد عانى ريجان من بعد الشدائد والحظ العـاثر ، بيد انه لم يتسـبب فى القليل منها . فهو يتحدث بطريقة عابرة عن ادمان والده للخمـر ، وكيف علم فى احد ايام الكريسماس ابان فترة الكساد العظيم ان والده قد فقد وظيفته . وهو يتحاشى بصفة عامـة ، ذكر ان زواجـه الأول مـن الممثلة السـينمائية (جين وايمان) قد انتهى بالطلاق ، وانه يعد بذلك اول رئيس امـريكي يطلق زوجته . وهو نادرا ما يشير الى ان اولاده قد اصطدموا معه شخصيا وسياسيا وانهـم قد تخلوا عن قيمة التقليدية ومارسوا اسـاليب حياة الجيل الجـديد المختلفـة للغاية عن اسلوب حياته .

والواقع ، ان ريجان قد حقق النجاح خلال مسيرة حياته بسهولة ودون ان يتعرض لمعاناة من جراء فشـل خـطير . وعلى الرغم مـن انه بدأ حياة عائلية متواضعة وانه كافح للحصول على الوظائف الأولى التى عمل فيهـا ، فتحـت هوليود ابوابها له بعد اول اختبار سينمائي اجراه ورغم ذلك لم يصبح نجمـا سينمائيا كبيرا . ومن ثم سرعان ما أصبح زعيما لنقابة الممثلين السـينمائيين

الأمر الذى جعله يدخل عالم « اباطرة » هوليود . وقد تمكن خلال العقود الثلاثة الماضية من تكوين ثروته وحيازة ممتلكاته ، وانتقل الى طبقة الموسرين من رؤساء مجالس ادارات الشركات واصبح يغشى حفلات ومجتمعات كاليفورنيا الجنوبية ، ونادرا ماصادق فى اى فترة ، من هم اقل ثراء من هذا .

ولذلك ، يخشى البعض ، ومنهم (جون سيرز) المدير السابق لادارة حملته الانتخابية ، من ان تغدو حياة ريجان الموسرة هذه عقبة سياسية تعترض سبيله بعد توليه الرئاسة . وهم يرون ان هذه الحياة تجرده من التعاطف الحقيقى مع الفقراء والمعوزين الذين يعيشون فى الجانب الاخر ، ومن التفهم الغريزى الرحيم للناس البسطاء ، وهو الامر اللازم لبناء الثقة فيه كرئيس ، والذى من شأنه ان يسهم فى صياغة وتكوين اجماع الرأى الدائم ، ويحد من غلواء الاتجاه لاجراء خفض كبير فى الميزانية ، مما يسبب آلاما اجتماعية للاخرين .

ورغم ذلك ، اثبت ريجان ، فى مجال التكتيك السياسى انه يتحلى بمرونة وسعة افق تبعثان على الدهشة ، بالرغم من النغمة المتشددة التى تبدو فى خطبه . وليس ادل على ذلك من انه فى عام ١٩٧٦ ، عندما اقترح عليه (سيرز) ان يختار (السناتور ريتشارد شيزويكر) كنائب للرئيس فى محاولة للحصول على تأييد عدد من المندوبين الذين كانوا يؤيدون فورد ، وافق ريجان على هذا الاقتراح دون ان يمتقع لونه بسبب الاتجاه الليبرالى لشيزويكر . غير ان هذا التكتيك لم ينجح ، مما اثار انتقاد المحافظين لريجان . بيد انه اعاد تعيين (سيرز) مديرا لحملته الانتخابية عام ١٩٨٠ ــ الى ان فشلت تكتيكات (سيرز) فى دعم (ريجان) فى ولاية (ايوا) .

ومرة اخرى ، وفى عام ١٩٨٠ ، عندما ابلغت مجموعة جديدة من المستشارين ريجان بان منافسه القديم جيرالد فورد ، ومنافسه الحالى جورج بوش يتمتعان بصورة معتدلة من شأنها ان تساعده على الفوز فى الانتخابات ، تغاضى ريجان عن كبريائه وحاول اولا ان يقنع فورد بالاشتراك معه كنائب للرئيس ، ثم تمكن بعد ذلك من اقناع بوش . وتنازل بذلك عن اختياره الشخصى للسناتور (بول لاكزالت) ، بطل المحافظين ، وصديقه المقرب وحليفه المحافظ لفترة طويلة .

ولقد استمر تفتحه العملى هذا خلال المراحل الأولى من ادارته ، حيث قاوم ضغوط اليمين الجديد من اجل الالتزام بالنقاء الايديولوجى بالنسبة للمناصب الاساسية . ففى اليوم التالى لفوزه فى انتخابات الرئاسة ، حذر

شخصان بارزان من اليمين الجديد هما (بول وبرتش) رئيس لجنة بقاء الكونجرس الحر و (تيرى دولان) المدير التنفيذى للعمل السياسى المحافظ القومى ، جورج بوش من ان يتنكب عن الخط الايدلوجى ودعوا الى عدم اختيار (السناتور هوارد بيكر) ، وهو معتدل اخر ، زعيما للاغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ . وكان من الواضح انهما يعكسان راى بعض المحافظين المتشددين فى مجلس الشيوخ الذين يدعون الى ان يصبح السناتور (لاكزالت) الزعيم الجديد للاغلبية الجمهورية .

وايا كان الاغراء الذى قد يبدو لريجان فى هذا الصدد ، فانه قد اختار بذكاء ـ وبتشجيع حكيم من (لاكزالت) ـ ان يساند (بيكر) مساندة قاطعة . واعلن (لاكزالت) خلال اربع وعشرين ساعة انه لايعتزم الاعتراض على اختيار بيكر ، والقى ريجان بثقله وراءة . وفى مؤتمر صحفى عقده ريجان فى ٦ نوفمبر ١٩٨٠ انتقد اية مخططات محافظة ترمى الى الاطاحة ببيكر ، وقال : « اننى لا أثق فى هوارد بيكر فحسب وانما ابلغنى اعضاء مجلس الشيوخ انه لايوجد اى خلاف او تحرك لتغيير منصبه باى حال من الأحوال . . انه سيصبح زعيم الاغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ » .

ومن ناحية أخرى ، قرر ريجان ـ بعد أن حذرت الصحافة من أن جيمى كارتر قد شكل الرئاسة عن طريق دائرة ضيقة من زملائه من جورجيا ـ قرر قبل انتخابه أن جبار المسئولين فى البيت الأبيض لن يكونوا تسعة أفراد من كاليفورنيا ، على حد تعبير (ادوين ميس) مساعده منذ فترة طويلة ، وفى منتصف نوفمبر حقق ريجان هذا الأمر بسرعة . وعين (ميس) مستشارا للرئيس بدرجة وزير يدخل فى اختصاصاته الاشراف على مجلس الشئون الداخلية ومجلس الأمن القومى . وعين (جيمس بيكر) رئيسا لهيئة العاملين فى البيت الأبيض . ويبلغ بيكر خمسة وخمسين (٥٥) عاما وهو محام من تكساس تولى قيادة العناصر المؤيدة لفورد ضد ريجان خلال المؤتمر القومى للحزب الجمهورى الذى عقد عام ١٩٧٦ ، كما تولى المراحل الأولى لحملة بوش الانتخابية ضد ريجان عام ١٩٨٠ ، وذلك قبل أن ينضم إلى حملة ريجان فى الخريف كأحد كبار مستشاريه .

ولقد أثر جيمس بيكر ـ وهو سياسى شديد المراس لديه خبرة بالجو السياسى فى واشنطن منذ أن عمل وكيلا لوزير التجارة فى إدارة ، الرئيس فورد ، ويتمتع بسمعة طيبة لنزاهته واعتداله ـ اثر جيمس بيكر فى ريجان وقرينته ناسنسى . وقد اقنع بيكر ريجان بالدخول فى مناظرات انتخابات الرئاسة التى جرت عام ١٩٨٠ . وكان العقل المدبر وراء استراتيجية مناظرات

ريجان . وقد قاد الجهود التى بذلت لاقناع ريجان بالاشتراك فى مناظرة جيمى كارتر . وقد كان لهذه المناظرة نتائج طيبة . وقد احتل بيكر وصفا طيبا فى فريق ريجان بسبب ولائه ، وقيادته الحازمة والسليمة بتمويل الحملة الانتخابية ، ولادارته الحازمة والحاسمة لكل ما يكلف به من مهام . ومن ثم كان اختياره لبيكر سديدا .

ويقول أحد أفراد المؤسسة السياسية فى الولايات الشرقية الذى انضم إلى قيادة حملة ريجان فى الصيف الماضى (عليك أن تفكر فيما يعنيه هذا الاختيار . انه يجعل ريجان أول رئيس منذ سنوات مضت يختار رئيس العاملين فى البيت الأبيض لا من ولايته أو من جماعة أصدقائه القدامى . إنها لبادرة صحية للغاية) .

كما صدق ريجان ، خلال الفترة الانتقالية التى سبقة توليه السلطة رسميا ، على تعيين (ادوين ميس) مديرا للعملية الانتقالية حتى يحقق التوازن بين المحافظين مثل (وليام فان كليف) خبير الدفاع المتشدد من جامعة كاليفورنيا ، و (لورنس سيليرمان) السفير الأمريكى السابق فى يوجوسلافيا ، وغيرهما من المسئولين السابقين الذين تثير سمعتهم جدلا أقل ، وحظوا بخبرة عن الأوضاع السياسية فى واشنطن من العمل فى إدارتى نيكسون وفورد .

ومن بين هؤلاء (كاسبار واينبرجر) وزير الصحة والتعليم والشئون الاجتماعية ومدير الميزانية الفيدرالية السابق و (ان ارمسترونج) السفيرة الأمريكية السابقة لدى بريطانيا العظمى ، و (وليام كاسى) المدير السابق للجنة السندات المالية والبورصة ، و (جيرالد بارسكى) المساعد السابق لوزير الخزانة ، و (ريتشارد شبوبرت) الوكيل السابق لوزير العمل ، و (اليزابيث دول) المسئول السابق عن التجارة الفيدرالية و (ريتشارد ويلى) الرئيس السابق للجنة الموصلات الفيدرالية ، و (ريتشارد فيربانسكى) و (سانتون اندرسون) وهما محاميان من واشنطن ولديهما خبرة بشئون البيت الأبيض . وعموما ، وهذه المجموعة كانت من المتخصصين الذين يتمتعون بخبرة أكبر ممن اعتمد عليهم الرئيس كارتر خلال السنوات الأربع الماضية .

وكانت التعينات الأولى تشير إلى ميل رجيان إلى الاعتماد على الموهبة والخبرة أكثر من اعتماده على الحلفاء الايديولوجين بالنسبة لشغل مناصب حكومته . ولقد كشف ريجان منذ وقت عن مرونته حتى فيما يتعلق بجوهر الأمور . وليس أدل على ذلك من أنه عندما بدأ الجمهوريون فى مجلس الشيوخ

خلال الفترة الانتقالية فى المطالبة باقرار مجموعة مشروعات لاجراء تخفيضات ضريبية تختلف عن مقترحات ريجان الأثيرة من حيث مضمونها لا من حيث حجمها ، قال « اننى سأكون سعيدا أن أراهم يفعلون ذلك » .

والواقع أن كل هذا يتمشى مع سجل ريجان عندما كان حاكما لكاليفورنيا . ولقد خاض حملته الانتخابية باعتباره محافظا يبشر بسياسات جديدة ، ولكنه حكم باعتباره معتدلا على حد قول البعض . وقد وصفه (لين نوفزيجار) سكرتيره الصحفى وهو يمزح بأنه « محافظ فابى » .

وإذا ما أخذنا السنوات الثمان التى قضاها ريجان حاكما لكاليفورنيا ، كدليل على تفسير سلوكه السياسى ، فانه سوف يفاجىء الكثير من الناخبين باعتباره رئيسا (براجماتيا) ومعتدلا على نحو أكثر مما أعلن عن نفسه خلال الحملة الانتخابية . فلقد بدأ توليه سلطته كحاكم ، بداية عنيفة تتسم بالتخبط ، ولكنه تعلم تدريجيا فن الحكم ، وتوصل فى النهاية إلى حلول وسط تشريعية ، وقبل المواءمات الايديوليوجية التى كان من العسير أن نتصور انه سيقبلها إبان الحملة الانتخابية الأولى . فقد سن تشريعات تقضى بزيادة ضريبية مرتفعة ، ودافع عن البرامج الاجتماعية ، وضاعف ميزانية الولاية ، واسهم فى ميزانية التعليم ووقع على قانون صارم لحماية البيئة ، وأصدر قانونا يقضى باباحة الاجهاض ومما لاشك فيه أن كافة هذه الاجراءات تتناقض مع الخطب السياسية التى ألقاها إبان الحملة الانتخابية . وكان برنامجه الخاص بالرعاية الاجتماعية يعتبر مزيجا من اتجاهه لتحقيق الكفاءة عن طريق الحد من عدد الذين يحصلون على الرعاية وسخاء البرامج الديمقراطية التى تقضى بتوفير المزيد من المزايا الليبرالية للذين يستحقون هذه الرعاية . غير أن عدم الاتساق الفلسفى ، الذى يندرج تحت مصطلح الواقعية ، لم يسبب لريجان أى متاعب منذ ذلك الحين وحتى الآن . فهو لا يزال يشعر بأنه حقق انجازات محافظة تتسم بالقوة والرسوخ ، ومن أكثرها مدعاة لفخره انه استطاع تخفيض الضرائب بما قيمته ٥,٧ مليارات دولار بالنسبة للحكم المحلى .

ويقول ريجان ، فى معرض وصفه للانتقادات التى يوجهها اليمين الايديولوجى « يوجد بعض الأشخاص الذين يعتقدون أنه يتعين عليك ، بسبب التزامك بمبادئك أن ترتقى صخرة مرتفعة وأن تلوح بعلم فى يدك احتجاجا إذا لم تستطع أن تحصل على كل ما تريده » . ويضيف قائلا : « وإذا كنت لم استطع عندما كنت حاكما لكاليفورنيا أن أحصل على ما أريد بنسبة ١٠٠ فى المائة ، فاننى قد حصلت على ٨٠ فى المائة مما طلبت .

والواقع أن ريجان يتمتع بقدرة تعينه على التحرك بسرعة وتخليص نفسه من المواقف ، ويكون ذلك في بعض الأحيان باللجوء إلى الدعابة والمرح الأمر الذى يخفف من حدة الآلام السياسية .

فلقد خاض حملة عنيفة في كاليفورنيا ضد مسألة الضريبة المحتسبة أى أن تقوم المؤسسات باحتجاز الضريبة من دخل الموظفين والمستثمرين وتسديدها للولاية مباشرة . ويقول بشأن هذه المسألة السياسية الرمزية انه كان مصمما على معارضته لهذه الضريبة . غير أن ميزانية الولاية تعرضت عام ١٩٧١ لضائقة شديدة ، وان مستشاريه الماليين أبلغوه أن الأسلوب الوحيد للتصدى لهذا الوضع هو اللجوء إلى فرض الضريبة المحتسبة . ولذلك عقد جلسة طارئة للهيئة التشريعية واقترح عليهم الأخذ بنظام الضريبة المحتسبة .

وعلى غرار ذلك ، أوقف ريجان خسائره السياسية بسرعة خلال الصيف الماضى عندما اخفقت جهوده لاقناع جيرالد فورد بترشيخ نفسه نائبا للرئيس في تذكرته الانتخابية في وقت متأخر من الليلة الثالثة لمؤتمر الحزب الجمهورى الذى كان منعقدا في ديترويت . فقد وافق على إجماع آراء مستشاريه السياسيين ، وتحرك بسرعة لاختيار جورج بوش نائبا له . وعندئذ وبهدى من فطنته السياسية ، ورغم نصحية (بيل تيمونز) مديره لشئون المؤتمر ، وصديقه (السناتور بول لاكزالت) كسر التقاليد السياسية وظهر في قاعة المؤتمر في منتصف الليل حيث كان الجميع يترقبون تصريحا له حول اشتراك فورد في تذكرته الانتخابية . غير أن ريجان أعلن أنه اختار بوش نائبا للرئيس بدلا من فورد ، مما أصاب قاعة المؤتمر بالدهشة البالغة . بيد أن إعلانه هذا كان ينذر بتمرد العناصر المحافظة المتذمرة عليه ، ولكنه منع الصحف من أن تركز على النهاية غير السعيدة للمفاوضات التى لم يسبق لها مثيل مع فورد بشأن توليه منصب نائب الرئيس .

وربما مما يثير الدهشة أن ريجان لم يكن قط سياسيا محترفا يولع بالمناورات فهو ، في الواقع ، خطيب ، وحامل العلم ، وممثل يجاهد للحصول على إعجاب الجماهير ، وراوية قصص يجد متعة في النكتة الجيدة وهو لم يكن بطبيعته عضوا في جماعة السياسيين المحترفين . ففى كاليفورنيا ، لم يكن يجد أية متعة ، فيما يبدو ، بالمساومات السياسية وكان مساعدوه يحثونه على الاشتراك في حفلات الاستقبال السياسية حتى يكثر الجليد الذى قد يتراكم حوله . فلقد كان ريجان ، لفترة طويلة وحيدا ، مثله في ذلك مثل جيمى كارتر .

ويقول (بيل باجيلى) ، وهو جمهورى معتدل شغل منصب رئيس الهيئة

التشريعية فى كاليفورنيا لفترة واحدة : « ان العام أو العامين الأولين من إدارة ريجان فى كاليفورنيا كانا كارثة . لقد كان فريق ريجان يعادون الحكم المحلى وسكرامنتو والهيئة التشريعية . وكان الأشخاص الذين يحيطون بالحاكم لا يحبوننا . ولقد كانوا يرون أننا أناس مأجورون وأن ريجان قد خاض الانتخابات فى الولاية ضدنا . ولم نكن نحب أن ، يعاملونا كذلك » .

غير أن ريجان بدأ ، فى النهاية ، يختلط قليلا بهؤلاء الأشخاص ، وعقد فى بداية فترته الثانية كحاكم اتفاقا مع (بوب موريتى) الرئيس الديمقراطى للجمعية الوطنية الجديدة ، حول برنامج إصلاح الرعاية الاجتماعية . ولقد كان هذا الاتفاق نموذجا للعديد من اتفاقات حلول الوسط التشريعية الأخرى التى خدمت ريجان خدمة كبيرة ومثلما قال كارتر من قبل قال ريجان للجماهير خلال حملته الانتخابية للرئاسة : انه يشعر أن بوسعه التعامل مع الكونجرس مثلما تعامل بنجاح مع الهيئة التشرعية فى ولاية كاليفورنيا .

والواقع أن كارتر سخر من نفسه يوما لأنه كان ساذجا . فقد قال أن أصدقاءه نصحوه بأن يعامل الكونجرس مثلما كان يعامل الهيئة التشريعية فى ولاية جورجيا ، ويضيف : لقد حاولت ذلك غير أن الكونجرس عاملنى كما لو كنت حاكم جورجيا . وبعبارة أخرى ، لم يستطع أن يحقق أى شىء من جراء هذا الأسلوب .

وأيا كان الأمر ، فانه ثمة فرقا كبيرا بين تجربة ريجان فى كاليفورنيا ، وتجربة كارتر فى جورجيا . إذ يوجد فى كاليفورنيا حزبان سياسيان نشطان ، وهيئة تشريعية تعمل كل الوقت تقريبا ، بينما كان يتعامل كارتر أساسا ، فى جورجيا ، مع حزب واحد وهيئة تشريعية تعمل نصف الوقت . وخلال ست من السنوات الثمانى التى قضاها ريجان حاكما لكاليفورنيا كان يتعامل مع هيئة تشريعية يسيطر عليها الحزب المعارض ، وهو ما يوجهه الآن فى مجلس النواب بالكونجرس . وفضلا عن ذلك ، كانت كاليفورنيا ـ باعتبرها أكثر الولايات ليبرالية ـ كانت مكانا اضطر فيه ريجان المحافظ إلى الموافقة على العديد من البرامج الاجتماعية على نطاق لم يكن له مثيل فى جورجيا . ورغم ذلك ، لا يزال يواجه هيكلا قويا متنوعا وكفئا فى الكونجرس بدرجة أكبر مما تعامل معه فى كاليفورينا .

غير أن سيطرة الجمهوريين على مجلس الشيوخ من شأنها أن تساعد ريجان على السيطرة على الأغلبية فى المجلس ، أما فى مجلس النواب ، فهو يتمتع بأغلبية فلسفية من المحافظين . وفى البداية على الأقل قد يدعو

الديمقراطيون الذين يشعرون بحساسية تجاه نتائج الانتخابات قد يدعون ريجان إلى أن يشق طريقه ، إلى حد كبير ، حتى لا يتوجه إلى الناخبين شاكيا من أن الديمقراطيين يعرقلون برامجه ويتحدون الارادة الشعبية .

ولعل المناورة المبكرة للكونجرس الجديد قد أشارت إليها تكتيكات لجنة الميزانية التابعة لمجلس النواب خلال الفترة الانتقالية عام ١٩٨٠ . ذلك أن إدراج اللجنة بعض تعهدات ريجان بشأن التخفيضات الضريبية فى قرار الميزانية الذى أعدته ، مع ترك الأمر لريجان لتقرير التخفيضات الفعلية ، كان يشير إلى شعور الديمقراطيين بتحقيق ميزة لهم بمحاولة إحراج ريجان ليفى بالوعود التى قطعها على نفسه إبان الحملة الانتخابية . وكان بعضهم يتشكك فى قدرة ريجان على الوفاء بهذه الوعود غير أنه إذا حفز هذا التكتيك ريجان على إجراء تخفيضات ضخمة فى البرامج الاجتماعية الشعبية أو اندفع بسرعة لتنفيذ الخطط الرامية إلى إجراء استقطاعات فى ميزانيتى وزارتى التعليم والطاقة ، فان ذلك قد يؤدى إلى أن يستجمع الديمقراطيون قواهم بسرعة ، وان يكون اختبارا للطريقة التى سيتعامل بها ريجان مع معارضة تشريعية حازمة .

وأدركا من ريجان لحاجته إلى الحصول على تأييد الفريق السياسى الآخر ، بدأ بتجريد خصومهم المحتملين من أسلحتهم ، عندما تحدث عقب فوزه فى الانتخابات مباشرة عن ضرورة انتهاج سياسة خارجية يتفق عليها الحزبان : الجمهورى والديمقراطى . ومن ثم ، عين ثلاثة من الديمقراطيين المحافظين وهم (السناتور هنرى جاكسون) من واشنطن ، و (السناتور ريتشارد ستون) من (فلوريدا) الذى هزم مؤخرا ، و (جين كيركياتريك) ، استاذ العلوم السياسية بجامعة (جورج تاون) ، فى المجلس الاستشارى للسياسة الخارجية التابع له . وفى أول زيارة قام بها لواشنطن ، اجتمع مع الزعماء الديمقراطيين فى الكونجرس وكذا مع الزعماء الجمهوريين ، وكان هذا الاجتماع يشير إلى إيمانه منذ أيام (سكرامنتو) بالمزايا السياسية التى يمكن أن تتحقق من التودد إلى المعارضة وإلى أنصاره الحزبيين .

ويبدو الأمر متناقضا ، من أن ريجان ربما يكون قد فاز بالكثير عندما سيطر الجمهوريون على مجلس الشيوخ ، ولذلك لا يمكنه أن يوجه اللوم للديمقراطيين لأى فشل قد يحيق بمشروعاته فى هذا المجلس وأن الأمر سوف يتطلب بذل جهدا كبيرا لتوحيد المواقف الايديولوجية للخمسة والثلاثين جمهوريا بحيث يشكلون أغلبية فعالة ونشطة من أجل تحقيق أهدافه الرئيسية .

ذلك أن الجمهوريين قد كانوا أقلية لفترة طويلة ولذا قد تظل عادات الانشقاق والمعارضة كامنة فيهم على نحو يتسم بالعناد . ولقد أبدى عدد قليل من الليبراليين والمعتدلين ، مثل (السناتور هاتفيلد) من (اوريجون) ، دلائل مبكرة على عدم ارتيحهم لمنهاج ريجان الخاص بالدفاع وخفض الميزانية . غير أن المحافظين من الجمهوريين قد يثيرون الكثير من المتاعب ، باثارتهم لمناقشات تتسم بالجدل وتؤدى إلى الانقسام حول موضوعات ثانوية بالنسبة لريجان .

وليس أدل على ذلك من أنه عقب إعلان نتائج الانتخابات تحدث بحماس بعض الجمهوريين من المحافظين مثل (ستروم ثرموند) و (جاك جارن) و (أورين هاتش) عن ضرورة إعادة فرض عقوبة الاعدام وإعادة الصلاة فى المدارس وإلغاء معدلات الأجور المضمونة فى مواقع البناء الفيدرالية . وقد بادر (ثرموند) و (جيمس هيلمز) من (كارولينا) الشمالية إلى تقديم فقرة قانونية لمجلس الشيوخ لالحاقها بقانون المخصصات المالية تحظر على وزارة العدل رفع قضايا بشأن الاتوبيسات المدرسية لاثبات التوازن العنصرى فى المدارس .

والواقع أن قائمة القضايا الثانوية المثيرة المحتملة تعد قائمة لا نهاية لها تقريبا . وإذا ما انزلق ريجان إلى هذه الطرق الفرعية السياسية ، فقد يبدد رصيده السياسى مما يؤدى إلى اضطراب مبادراته الأساسية لأنه سيجعل بذلك من أنصاره المحافظين الحقيقيين والمعتدلين الذين يعد تأييدهم له أمرا حيويا ، يشعرون بالغربة .

وأيا كان الأمر ، فان كثير من المخطط التفصيلى لرئاسة ريجان قد تم استعارته من سنواته فى كاليفورنيا . وقد بعث ريجان الحياة فى القضايا التى نادى بها عام ١٩٦٦ عندما أصبح حاكما لكاليفورنيا . فقد تعهد بتجميد عدد الموظفين الحكوميين ، وإجراء خفض يتراوح من ٧ إلى ١٠ فى المائة فى الميزانية الفيدرالية خلال أربع سنوات عن طريق تحقيق مزيد من الكفاية . ومثلما فعل فى كاليفورنيا ، تحرك لتشكيل فرق عمل من المواطنين لتطهير النظام الفيدرالى من سوء الادارة والاسراف والاحتيال وبادر بتعيين (كاسبار وايتبرج) مدير المالية السابق فى كاليفورنيا للاضطلاع باجراء التخفيضات اللازمة فى الميزانية الفيدرالية لعام ١٩٨١ .

ولقد كان ريجان ، إبان الحملة الانتخابية للرئاسة ، يحلو له أن يشير إلى أن كاليفورنيا تتمتع بسابع أكبر اقتصاد فى العالم ، وانه إبان توليه منصب

حاكم كاليفورنيا ، كان يشغل ثانى أكبر وظيفة تنفيذية فى السياسية الأمريكية . غير أنه توجد اختلافات هائلة بين (سكرامنتو) وبين واشنطن . ففى كاليفورنيا ، لم يكن ريجان مضطرا إلى أن يتعامل مع الشئون الخارجية ، وإدارة المؤسسة الدفاعية ، أو الاضطلاع بمسئولية الصحة العامة والاقتصاد الوطنى ، وهى المهام الثلاث التى تستغرق معظم وقته وجهده كرئيس للبلاد . كما أن الرخاء الذى تحقق فى كاليفورنيا إبان حكمه وتخفيضه للضرائب كان نتيجة لأوقات الازدهار التى لم تكن سياساته مسئولة عنها إلا بقدر ضئيل . ولذلك لا يمكن تبسيط الاختيارات السياسية التى يتعين عليه اتخاذها كرئيس للبلاد وحتى إذا ما كان الاقتصاد قد بدأ يتحرك إلى الأمام على نحو معتدل عندما تولى السلطة ، فان الأمر الآن متروك لريجان ولمستشاريه السياسيين لتحقيق نمو مدعم بحيث يتسنى له تنفيذ كل ما وعد به .

والواقع أن حجم المؤسسة الفيدرالية الآخذ فى التضخم وتعقدها والمصالح المتضاربة لوزارتها ، يتحدى المراقبة السهلة والتنسيق . ولقد كان فى وسع ريجان عندما كان حاكما أن يعترض على بعض بنود الميزانية ، غير أنه لا يتمتع بهذه السلطة وهو فى البيت الأبيض . إذ يتعين عليه أن يجرى مساومات فى الوقت الذى تعرض فيه الميزانية فى الكونجرس للتصديق عليها ، ثم عليه أن يقبلها أو يرفضها . كما كان ريجان يتمتع بالمزيد من السلطة القانونية والمزيد من المرونة فى التعامل مع الخدمات المدنية إبان توليه حكم كاليفورنيا ، وهو لم يتمتع بمثل هذه السلطة وتلك المرونة على المستوى الفيدرالى . وعلى الصعيد السياسى ، يواجه الآن تحالفات قوية من البيروقراطيين الفيراليين ، ولجان الكونجرس ، والمصالح الخاصة ـ التى أطلق عليها حاكم سابق « المثلث الحديدى » ـ وهى على استعداد للتصدى لخططه الخاصة بخفض البرامج ، وتجريد الوكالات الحكومية من سلطتها ، وإحالة بعض الوظائف والمهام الفيدرالية للولايات .

وأيا كانت العقبات ، فان ريجان قد صمم على ممارسة أسلوبه فى الزعامة فى واشنطن . فهو ينقل إلى واشنطن عنصرا أسياسيا من عناصر تجربته فى سكرامنتو ـ ألا وهو استخدام مجلس وزراء صغير كجهاز أساسى لصنع السياسة ـ وباعتبار ريجان رئيسا سياسيا لمجلس إدارة ، يجب أن يلتقى بانتظام بخمس من الوزراء الأساسيين إلى جانب رئيس أركان الجيش ، وأن يقدم له الوزراء الاثنان والثلاثون الآخرون تقارير عن أعمالهم من خلال مراكز السلطة القريبةمنه . وتعد اجتماعات مجلس الوزراء المصغر المجال

الذى تتم فيه مناقشات الاختبارات السياسية مع مستشاريه المقربين . وبعد أن يتخذ ريجان قراراته . يفوض الوزراء مسئولية تنفيذها .

ويتفق ريجان ومساعدوه على الأسلوب الحالى لاجتماعات مجلس الوزراء الفيدرالى ـ الذى يشترك فيه ، فى بعض الأحيان ، ٢٥ شخصا ، وفى ذلك الوزراء ، ومدير الميزانية ومدير المخابرات الأمريكية المركزية ، والممثل التجارى للرئيس ، والمندوب الأمريكى لدى الأمم المتحدة ، والمستشار الاقتصادى للرئيس ، ورئيس هيئة العاملين فى البيت الأبيض ، وغيرهم من المساعدين ـ غير أنهم قرروا أن الاجتماع بصورته هذه كبير جدا بحيث يتعذر أن يتم خلاله الأسلوب الصريح للمباحثات ، والأخذ والعطاء ، الذى يريده ريجان . ولذلك قرروا تطبيق نموذج سكرامنتو حيث يقتصر الاجتماع على اللجنة التنفيذية لمجلس الوزراء ، أى أن يشترك فيه ٧ أو ٨ من المسئولين الأساسيين مثل نائب الرئيس والمدعى العام ووزراء الخزانة والدفاع والزراعة والصحة والخدمات العامة ـ إلى جانب (دوين ميس) مستشار الرئيس ومنسق النشاط الوزارى والمسئول عن هيئة العاملين التى تعد الخيارات السياسية لمجلس الوزراء .

وحتى يؤكد ريجان الطابع المدرسى لمجلس الوزراء وأن المهمة الأساسية لاعضائه هى تقديم النصح للرئيس حول المسائل السياسية لا الدفاع عن وزراتهم ـ دعا ريجان الوزراء إلى ممارسة مهامهم من مكاتب فى مبنى المكتب التنفيذى المجاور للبيت الأبيض تماما . ويعلل أحد مساعدى ريجان هذا بقوله : « أن الموقع الجغرافى هام فى واشنطن . ومن ثم نجد أن أماكن مكاتبهم عد تحركا رمزيا » .

وفضلا عن ذلك ، يأمل (ميس) فى أن تؤدى خطة ريجان هذه إلى تقليل المنافسة والصراع بشأن صنع القرار بين مجلس الوزراء وبين هيئة العاملين القوية بالبيت الأبيض ، وهو الصراع الذى عرقل إدارات سابقة . ويرى (وليام فرنش سميث) صديق ريجان المقرب ومحاميه الشخصى أن مجلس الوزراء المصغر من شأنه أن يوفر التنوع فى وجهات النظر بينما يمكن فى الوقت نفسه إدارته لأنه ليس مجلسا كبيرا . « ويضيف أنه بعد أن يدلى الوزراء بوجهة نظرهم ، يلتزمون بالاخلاص لكافة القرارات الرئاسية .

ولم يوجد شخص أقل خبرة من الرئيس الأسبق نيكسون الذى كان يجند ذات مرة ، فكرة أن يكون هو بمثابة مجلس وزراء أعلى . وهو أمر مشكوك فيه . وقد قال نيكسون أنه من غير الواقعى أن نتوقع وجود مسئولية وزارية

جماعية طبقا للنموذج البريطاني . وقد كتب مقالا في خريف ١٩٨٠ في مجلة « تايم » يقول فيه : « أن كل رئيس جديد يتولى مهام منصبه يعد بتشكيل وزارة قوية تضم أعضاء مستقلين ، وأن بعض الرؤساء الجدد يؤمنون حقا بهذا الوعد . بيد أن كل منهم سرعان ما يتعلم أنه يجب أن توجد ثمة حدود على استقلالية أعضاء الوزارة ، وأن الوزارة كجهاز جماعي لا تتلائم مع اتخاذ القرار . . . ذلك أن كل وزارة تعد إقطاعية قائمة بذاتها . ومن ثم ، ينبغي تحقيق التماسك والاتجاه بالنسبة لسياسات الادارة ولذا كان على الرئيس أن يفرض هذا الاتجاه من أعلى ، ويقطع بذلك الطريق على المصالح المتضاربة للوزارات المختلفة . وبالطبع يتعين على الرئيس أن يتشاور مع أعضاء وزارته ، مثلما يتشاور مع زعماء الكونجرس . ولكن عليه وحده أن يتخذ القرارا بشأن المسائل الكبرى وبذلك وحده يمكنه أن يدير دفة الأمور » .

ولقد كان منهاج ريجان ، في الماضي ، يركز على كفاءة وخبرة مستشاريه الأساسيين . ويؤكد بعض الذين عملوا معه ، مثل (جون سيرز) أن اعتماد ريجان على مجلس وزرائه وهيئة مكتبه جعله أسيرا لدائرته الداخلية . فقد كانوا ينظرون إليه باعتباره زعيما يصدق على ما يجمع عليه رأى مستشاريه المقربين بالنسبة للكثير من القرارات ، بدلا من أن يتخذ قراراته بنفسه وبعد تدبر وتفكير في عزلته ، كما كان يفعل نيكسون ، أو باثارة صدام الآراء المتصارعة بين مستشاريه ، كما كان يفعل فرانكلين روزفلت .

ويعلق سيرز على ذلك بقوله : ان ريجان يجلس في أى اجتماع يضم مستشاريه المقربين باعتباره مشتركا يعنيه الأمر ، لا باعتباره زعيما يدير دفة المناقشة . وليس معنى ذلك أنه رجل غبي . فهو يقدر الآراء التي تقترح عليه . ولكنه لا يبتكر الأفكار . إنه شخص لين العريكة ومعتدل أكثر مما يظن الكثيرون عامة . وهو لا يقدم المفاهيم ، ولكنه يقترحها ويصدق عليها . ومن العدل أن نقول أنه يختار في بعض الأحيان واحد من الخيارات التي تقترح عليه . ولكن من الصحيح كذلك أنه في أحيان أخرى يتطلع ببساطة إلى شخص ما ليشير عليه بما ينبغي عمله .

وتستند رؤية (سيرز) ونظريته هذه على أن ريجان قد تعلم قبول نصيحة الأشخاص الذين كان يعمل معهم طوال سنوات طويلة كممثل في هوليود ، حيث كان المنتجون والمخرجون يعطونه (السيناريو) ويحددون له الدول الذى يمثله . ويتذكر (سيرز) تجربته في اقناع ريجان بالموافقة على اختيار (السناتور شيزويكر) نائبا للرئيس في تذكرته الانتخابية عام ١٩٧٦ ، أو في

انتهاج أسلوب حذر ومترفع في بداية الحملة الانتخابية عام ١٩٨٠ وعند فشل هذا الأسلوب طرد ريجان الذى استبد به الغضب (سيرز) بناء على الحاح العناصر المحافظة . وبعد ذلك حدث أن (جماعة مستشارى ريجان) دفعته إلى الابقاء على (بيل بروك) رئيس الحزب الجمهورى ، ثم اقنعته بالتخلص منه ، غير أنها أبقته معها في النهاية عندما اعترض المحافظون على محاولة التخلص منه كما كان المسئولون عن حملته الانتخابية هم الذين أقنعوه - بالرغم من اعتراضه المبدئى - بأن يحاول أولا اقناع فورد ثم بوش بأن يكون نائبه للرئيس في انتخابات الرئاسة . وهكذا ، نجد أن ريجان في كل الحالات يتحرك تبعا لاجماع رأى هيئة العاملين معه من مساعديه ومستشاريه أو أصدقائه المقربين .

وقد كتب (سيرز) مقالا في صحيفة « واشنطن بوست » في صيف عام ١٩٨٠ قال فيه « أن عملية التصديق على القرارات هى التى تفسر الفرق بين ريجان أثناء الحملة الانتخابية ، وريجان صاحب سجل الانجازات المعتدلة للغاية التى حققها وقت توليه منصب حاكم كاليفورنيا ذلك أن الخطب السياسية المفعمة بالوعود تعبر عن ريجان الممثل الذى يؤدى دوره أمام جمهور معروف يريد جذب انتباهه ويجعله يشعر بالرضا عن آدائه ، أما عندما يصبح ريجان حاكما ، فلن يوجد أمامه جمهور ، وإنما مجرد قرارات يتعين عليه اتخاذها ، وأن القليل منها فحسب يتسم بالاثارة . وليس أدل على ذلك من أن ريجان كان يجلس مع وزرائه في كاليفورنيا باعتباره واحداً منهم أكثر منه زعيما لهم . وعندما يتم التوصل إلى إجماع في الرأى ، أو تتم تسوية نزاع يبرز ريجان باعتباره متحدثا رسميا .

غير أن البعض الآخر ممن عملوا مع ريجان خلال تلك الفترة يختلفون اختلافا شديدا مع هذه الصورة التى رسمها سيرز لريجان . ويقول وليام فرانش سميث « انه إذا ما كان الأمر يتعلق بقرار روتينى ، فمن المحتمل أن يوافق ريجان على إجماع الرأى تجاه القرار ، ولكن صدقونى أنه أى شىء آخر إلا أن يكون مجرد موقع على القرارات . وما هو أكثر من هذا أنه يتخذ قراره بسرعة وبحسم دون أن يلتفت ثانية إلى الوراء » .

ويقول البعض الثالث أن ريجان كان يواجه في كثير من الأحيان مجلسا من المستشارين المنقسمين فيما بينهم ، غير أن هذا لم يعرقله عن اتخاذ القرارات . فعندما كان حاكما لكاليفورنيا حثه بعض مساعديه على أن يصدر أمرا لبناء (سد دوس ريو) في شمال كاليفورنيا ليتحكم في منسوب المياه والفيضانات في منطقة الوادى المستدير . غير أن البعض الآخر من مساعديه

اعترض على المشروع على أساس أنه من شأنه أن يدمر منطقة ذات طبيعة رائعة للغاية ، وينهك اتفاقية مبرمة مع الهنود الذى يعيشون فيها . ومن ثم قرر ريجان فى النهاية عدم بناء السد . وقال (ادوين ميس) ان ريجان لم يشأ أن ينتهك الاتفاقيات الهندية » .

ولقد أصر ريجان ، خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٨٠ ، على الاعتراض على نصيحة مساعديه الأساسيين بشأن مساندة التعديل الدستورى الذى يحظر الاجهاض . وعندما حثه بعض مستشاريه بعد ذلك على التراجع عن خطته الخاصة باجراء خفض سنوى فى ضرائب الدخل بنسبة ١٠ فى المائة تمسك ريجان بخطته . وأخيرا ، تلقى نصائح متضاربة حول كونه يتعين عليه أن يشترك فى مناظرة مع كارتر فى خريف ١٩٨٠ . غير أن ريجان أيد رأى أغلبية مساعديه الذين كانوا يحبذون المناظرة .

والواقع أن ريجان ــ مثله فى ذلك مثل ايزنهاور ــ يفضل الحصول على المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات شفهيا من مساعديه أو فى مذكرات مختصرة جدا . ويقول (ادوين ميس) « أنه يفضل أن يجلس ويستمع إلى المناقشات . ويشعر بأنه من الممكن استخلاص أفضل الأفكار الممكنة ومجال أوسع ، ومجموعة متنوعة من الاجراءات من خلال تصارع الأفكار مع بعضها . أما إذا كنت تقرأ المذكرات فان ذلك لا يدخر سوى بعدين اثنين فقط . أما الحديث مع مستشاريه فينتج له طرح أسئلة عليهم . وأن فكرة واحدة توحى بفكرة أخرى . ذلك أن الاجتماع مع المستشارين والاستماع إلى أفكارهم من شأنه أن يؤدى إلى إيجاد النقطة الأساسية لصنع القرار .

وكان ريجان إبان توليه منصب حاكم كاليفورنيا يحبذ أن تكون المذكرات التى تقدمها له هيئة مكتبه من صفحة واحدة . وقد ابتكر (وليام كلارك) مساعده التنفيذى آنذاك نظام « المذكرات المختصرة » التى لا تزيد عن أربع فقرات ، على أن تتضمن الفقرة الأولى الموضوع ، والثانية الحقائق المتعلقة به ، والثالثة تحليلا له ، والرابعة خاتمة أو توصية . ولم يكن عدد كلمات المذكرة يزيد على ٣٠٠ أو ٤٠٠ كلمة . وكان ريجان يوقع فى الجزء السفلى منها بالموافقة . أما فيما يتعلق بالمسائل السياسية الحساسة والدقيقة ، فان مساعديه يقدمون له فيضا من المذكرات المختصرة ، التى قد يبلغ عددها مائة أو أكثر ، حتى يمكنه متابعة الموقف المتغير . وقد يرفق بهذه المذكرات فى بعض الأحيان ، دراسات مطولة تعدها هيئة مكتبه .

ويقول ريتشارد واهلين مستشار ريجان وكاتب خطبه « أن ريجان يطلع

على هذه المذكرات ثم يطرح أسئلة على مساعديه تنم عن أنه أمعن الفكر فيما قدمته له هيئته » وهو يحدد اهتماماته أثناء القراءة . غير أنه يحبذ الحصول على معلوماته وجها لوجه أى من خلال الحديث المباشر مع مساعديه . وهو يفضل التطلع إلى الأشخاص وطرح الأسئلة عليهم » .

غير أن ثمة وجهة نظر معاكسة عن ريجان ، ولو أن الذين يؤمنون بها يعدون أقلية . وتشير إلى أن ريجان لا يطلب فى بعض الأحيان المزيد من الايضاحات ممن يقدمون له ملخصا عن مشكلة أو موقف . وقد قال أحد مساعديه السابقين « أن ريجان يريد إلى حد كبير تأكيدا لآرائه الخاصة . وهو لا يسأل عن الجانب الآخر من المشكلة والدقائق المتعلقة بها . فهو قد قرأ الكثير خلال سنوات عديدة ويعتقد أنه يعرف » .

ويرى هذا المساعد السابق أن الخطأ يكمن فى مساعديه الذين يحجمون عن إبلاغه بالأنباء السيئة . ويقول هذا الرجل « ان معظم الأشخاص الذين يحيطون بسياسى كبير ترهبهم السلطة ، وان الأشخاص الذين يحيطون بريجان ليسوا استثناء . والواقع أن ريجان سيأخذ بالنصيحة المعاكسة لرأيه إذا ما قدمت له بصورة جيدة .وعليك أن تكون حازما ومقنعا . وسوف يفقد أعصابه ، أو تشخص عيناه ويجمد بصره إذا ما تحدث الأشخاص المحيطون به كثيرا عن العموميات . فقد كان يشعر بالملل من ذلك . ان عليك أن تدفعه . إن عليك أن تكون حازما إن عليك أن تقول له « سيدى الحاكم انك مخطىء » ، أو « إن عليك أن تدخل ذلك فى اعتبارك » أو « سيدى الحاكم إن عليك أن تعالج الأمر هكذا » . صحيح أن ذلك الأسلوب لن يروق له ، ولكنه سيأخذ به . وإننى غير واثق من أن بعض الأشخاص المحيطين به يفعلون ذلك دائما » .

والواقع أن لريجان عدة دوائر من المستشارين . وأن أقرب هذه الدوائر بالنسبة له ، وأكثرها تمتعا بثقته المجموعة الخاصة بمجلس وزارته إبان كاليفورنيا . وتتكون من أصدقائه الاجتماعيين والسياسيين القدامى الذين يشعر معهم بالراحة ، والذين يلجأ إليهم إذا واجه ضائقة أو أزمة وهم : (جوستين دارت) رجل الصناعة ، و (هولمز تاتل) صاحب عدة متاجر للسيارات فى (لوس انجلوس) و (وليام فرانش سميث) محاميه الخاص وغيرهم . ولقد كانوا هؤلاء هم الذين أغروه بالانخراط فى السياسة ، وساعدوه فى اختيار أعضاء وزارته فى سكرامنتو عام ١٩٦٦ ، وفعلوا نفس الشىء مرة أخرى بعد انتخابه للرئاسة . كما حثوه على اختيار جورج بوش نائبا له ، وهى حركة سياسية رقيقة من شأنها أن تحظى بترحيب مجتمع رجال الأعمال .

وتلك هى المجموعة التى يثق فيهـا ريجـان ثقـة كبيرة ، والتى تنزع إلى تعزيز وتدعيم وجهة نظره عن العالم ، وخاصة إيمانه بالمشروع الحر وكراهيته للحكومة الكبيرة ، وشكه القلق تجاه الشيوعية الدولية . ويوجد فى نهاية طـرف هذه الشخصيات (جوستين دارت) وهو معروف بصراحته فى القـول ، وهـو مقاول عصامى ولا يزال نشطاً رغم بلوغه ٧٢ عاما . وفى الطرف الآخر يوجـد (وليام فرنش سميث) وهو دقيق ومفكر ومولع بقراءة الكتب وهـو محـام له سمعة عالمية ، وتمتد جذوره إلى ولاية بوستون .

أما مستشارو الحملة الانتخابية لريجان فهم من جيل أصغر من جيل تلك المجمـوعة الوزارية الخـاصة . فمعـظمهم فى منتصـف الأربعينات وأوائل الخمسينات ، ولكل منهم مشروعاته التجارية الخاصة التى تركوها من أجـل العمل فى الحملة الانتخابية ، ولكنهم لم يتخلوا عنها من أجل الانضـمام للبيت الأبيض . ومعظم هؤلاء من الفنيين ورجال التكتيك السياسى ، وهـم إلى هـذا أقرب من كونهم من المستشارين السياسيين . ويعد (مايكل ك . ديفر) مـدير الجولات الانتخابية لريجان نموذجا لهم . فهو هادىء ويتمتع بقـدرة فـائقة فى السيطرة على انفعـالاته ، ويكن لريجـان الولاء والاخـلاص ، وله مـؤسسة علاقات خاصة فى لوس انجلوس ، وتربطه بريجان علاقات وثيقـة ترجـع إلى اشتغاله ضمن هيئة مكتبه إبان كان حـاكما لكاليفـورنيا . وهـو يعمـل الآن مساعدا شخصيا للرئيس .

غير أن (ادوين ميس) الرئيس السـابق لهيئة العـاملين فى مـكتبه بكاليفورنيا ، يعد من أهم شخصيات هذه المجموعة بالنسبة لريجـان ويعمـل (ميس) محاميا ويتمتع بمقدرة إدارية ، ويهتم بالعمل السياسى ، وقد حصـل على اجازة من عمله كمدير لمركز سياسة وإدارة العدالة الجنائية بكلية القانون بجامعة (سان ديجو) .

ويبلغ (ميس) الآن التاسعة والأربعين من عمره ، وهو ودود ومنهجـى . غير أن زملاءه ينتقدونه أحيانا ، ويصفونه بأنه غير حاسم ، ومحايد ، ولا يميل إلى إعطاء الصورة الأخرى للأمور لريجان . بيد أنه يحظى بحضور جماهيرى طيب ، ويتمتع بسلوك ودى ، وذهن حاضر البديهة ، ومهارة تنظيمية . ويشـعر ريجان بارتياح تجاه (ميس) ، باعتباره قادرا على آداء العديد مـن الأعمـال والمنسق للخيارات . وقد قال (ميس) يوما عن دوره كمستشار للرئيس مكلف بالعمل مع مجلس الوزراء أنه « النقطة المحورية » للادارة الجديدة . ولا يضـع ريجان ثقة كبيرة فى أى مساعد آخر مثلمـا يضـعها فى ميس . ولهـذا اختاره ليكون بالقرب منه .

وقد تأثر أحد المسئولين فى البيت الأبيض إبان حكم كارتر عندما اجتمع مع ميس وغيره من المسئولين الآخرين فى فريق ريجان المكلف بشئون الفترة الانتقالية ـ تأثر بكفاءتهم وسعة اطلاعهم وثقتهم بأنفسهم .

وقال عنهم هذا المسئول الديمقراطى : « انهم أناس جيدون . ومحنكون . وهم يعرفون ما يفعلون . ويعرفون ما يريدون . وهم مطلعون على تطورات الأحداث أكثر مما كنا منذ أربع سنوات خلت . وهم أكبر سنا مما كنا آنذاك ، وأقل خوفا وقلقا من تولى السلطة . وعدد كبير منهم من قدامى العاملين فى واشنطن . وتوجد امرأتان فقط من بين ٣٤ شخصا . ولا يوجد بينهم سود أو أية أقليات أخرى . وهم يمارسون عملهم بطريقة تتسم بالراحة أكثر مما كنا نمارسه . وانى لأشعر بأن البيت الأبيض فى ظلهم سيشهد من المرح أكثر مما شهده وقت تولينا السلطة . وسوف يحتسون النبيذ على الغداء . وسوف يحققون تغييرا أفضل داخل الحكومة . والآن ، علينا أن ننتظر لنرى . هل سيحقق عملهم مصلحة البلاد ؟ » .

ومن بين السياسيين ، يعد السناتور (بول لاكزالت) من أوثق أصدقاء وخلصاء ريجان . ولو أنه كان لريجان مطلق الحرية ـ دون أن يساروه القلق عن التوازن الجغرافى والتنوع الايديولوجى ـ لاختار (لاكزالت) نائبا له . ولقد كان هذا الاختيار من شأنه أن يبعث البهجة فى قلوب أنصاره المحافظين .

غير أن السياسة أملت اختيار بوش ، الذى برهن بجهده الدؤوب وحماسه على أنه كان من أكثر المرشحين تحديا لريجان . والواقع أن خبرة بوش كمندوب لدى الأمم المتحدة ، وكدبلوماسى فى بكين ، وكمدير للمخابرات المركزية الأمريكية من شأنها أن تعوض ما يفتقر إليه ريجان من خبرة فى الشئون الخارجية . وقد تحدث ريجان بعد انتهاء الانتخابات ، عن استخدام بوش فيما هو أكثر من مجرد منصب شرفى والاشراف على شئون مجلس الشيوخ . وقد قال ريجان فى أول مؤتمر صحفى عقده بعد فوزه فى الانتخابات : عدم اشراك بوش فى وضع السياسات وصياغتها وفى مجلس الوزراء يعد مضيعة لرصيد قيم . والواقع أن كليهما يتحدث عن نمو صداقتهما ، واتصالاتهما التليفونية المنتظمة خلال الحملة الانتخابية ، ورغم ذلك لم يتم تحديد دور بوش فهما رجلان مختلفان . فبوش تمتد جذوره إلى المؤسسة الشرقية ، بينما تمتد جذور ريجان إلى ولايات الوسط الغربى وأن حياته قد شكلتها هوليود . ويتطلب الأمر وقتا حتى يكونا علاقة عمل كاملة

ومن ناحية أخرى ، كانت صداقة ريجان مع (لاكزالت) تنبع من زمالتهما

الشخصية ومن أيديولوجيتهما المحافظة . وقد التقيا عام ١٩٦٦ باعتبارهما محافظين لولايات مجاورة . وسرعان ما أصبحا صديقين ، ولاكزالت ـ وهو ابن راعى غنم من أقليم الباسك الأسبانى هاجر إلى هذه البلاد ـ يعد شخصا صريحا واجتماعيا ، وله شعر فضى . وقد قاد المعارضة فى مجلس الشيوخ ضد معاهدة قناة بنما ، بدافع من قلقه على الدفاع الوطنى ، ولكنه تجنب فى معارضته الأسلوب المثير الذى لجأ إليه خصوم المعاهدة الآخرون . ويشتهر فى مجلس الشيوخ بسلوكه المعتدل وحرصه على مشاعر الآخرين .

ولقد تحدث (لاكزالت) مرتين مع ريجان بشأن جعله نائبا للرئيس ، وأصبح رئيسا لحملات ريجان الانتخابية . أما فى مجلس الشيوخ ، فان (لاكزالت) يعد الزعيم غير المتوج للمحافظين . وكان يمكنه بسهولة أن يصبح عضوا فى مجلس وزراء ريجان ، غير أنه يرى أن بوسعه خدمة ريجان أكثر وذلك بموقعه فى مجلس الشيوخ . وبسبب قرب (لاكزالت) الوثيق من الرئيس ريجان قال (هوارد بيكر) ان (بول لاكزالت) هو الشخص الوحيد الذى يحظى بوضع آمن يجعله لا يحتاج إلى لقب فى الادارة الجديدة » .

وعندما بدأ ريجان عملية اختيار أعضاء وزارته ، كان يتطلع إلى مزيج من المسئولين ممن لهم خبرة بالعمل فى واشنطن ، والوجوه السياسية الجديدة وخبراء شئون الادارة من عالم رجال الأعمال . ولقد قال (ميس) انه يريد لاعبين مستقلين يعربون عن آراء معارضته ولكن فى إطار فلسفته المحافظة « . ويضيف (ميس) : « من الواضح أن ريجان لا يريد أن تجرى مناقشات حول المسائل الأساسية فى اجتماعات الوزارة . ان ما يريده هو أشخاص يتحدثون عن افكارهم ــ هم فريق متكامل من اللاعبين ، لا منشقون يسربون إلى الصحف الخيارات المختلفة التى لم يتم اتخاذ قرار بشأنها » .

أما السياسة الاقتصادية ، وهى أكثر المجالات إثارة للجدل ، فان ريجان قد اقتبس الكثير من « اقتصاديات العرض » التى يعبر عنها (جاك كيمب) و (أرثر لافير) من جامعة كاليفورنيا الجنوبية . غير أن الدور الأساسى فى جماعته الاستشارية الاقتصادية يضطلع به محافظون تقليديون جدا مثل (جورج شولتز) وزير الخزانة السابق ، و (الن جرين سبان) رئيس مجلس المستشارين الاقتصاديين ، و (وليام سايمون) وزير الخزانة السابق الذى يعد أحد الأشخاص المؤثرين فى المجموعة الوزارية المصغرة لريجان وعندما سعى ريجان لاستطلاع الآراء التمس النصيحة بشأن خفض الانفاق الحكومى ، اختار (كاسبار واينبرجر) المدير السابق للميزانية الفيدرالية الذى كانت تؤهله خبرته ومؤهلاته لشغل منصب وزارى .

ولقد جعل ريجان (وليام كاسى) ـ وهو محام متخصص فى شئون الضرائب وقضاياها من نيويورك ويبلغ السابعة والستين من عمره ـ رئيسا للمجلس الاستشارى الخاص بالسياسة الخارجية . و د . (كاسى) خبرة طويلة بالمسائل الخاصة بالمخابرات وقد شغل منصب وكيل وزارة الشئون الاقتصادية . ولكن كلما مضي الوقت ، كلما اتجه ريجان إلى الاعتماد على مسئولين سابقين فى إدارتى نيكسون وفورد مثل (الكسندر هيج) القائد السابق لحلف الاطلنطى والذى شغل منصب رئيس هيئة العاملين فى البيت الأبيض فى إدارة نيكسون ، و (هنرى كيسنجر) وزير الخارجية السابق ، و (جون كونللى) وزير الخزانة وحاكم تكساس السابق و (دونلد رمسفيلد) وزير الدفاع السابق ، والسناتور (جون تاور) من (تكساس) ، وأحد الأعضاء الجمهوريين البارزين فى لجنة الخدمات المسلحة . كما أصر على ضم (السناتور الديمقراطى هنرى جاكسون) من واشنطن إلى مجلس السياسة الخارجية .

وقد واجه فريق ريجان مشكلة تتمثل فى إيجاد الكثير من السود والنساء لشغل مناصب كبرى . ولكن من بين السود الذين تم اختيارهم لهذه المناصب (توماس سويل) ، وهو اقتصادى محافظ من جامعة كاليفورنيا . بلوس انجلوس ، و (والتر وليامز) ، وهو اقتصادى آخر من جامعة (تمبل) . أما النساء اللاتى تم اختيارهن لشغل مناصب عليا فكانت منهن (آن ارمسترونج) السفيرة الأمريكية السابقة لدى بريطانيا ، و (جين كيرك باتريك) ، وهى استاذة علوم سياسية وديمقراطية محافظة و (اليزابيث دول) ، العضو السابق بلجنة التجارة الفيدرالية .

وأيا كان الأمر ، فان أفضل مستشارة معروفة لدى ريجان هى زوجته (نانسى) ، التى تلازمه باستمرار . وقد أثار تقاربهما من بعضهما التكهنات والجدل حول تأثيرها السياسى على ريجان . ولقد نفت نانسى أنها لم تمارس أى تأثير بالنسبة لتحول ريجان من الليبرالية الديمقراطية إلى الاتجاه المحافظ الجمهورى فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، أو أنها أثرت على وجهات نظره بشأن المسائل السياسة ، أو أنها كانت وراء التغييرات العديدة التى طرأت على هيئة مكتبه خلال السنوات الأخيرة . وقد قالت نانسى فى حديث لصحيفة « نيويورك تايمز » ان زوجى يتخذ قراراته بنفسه . وربما اقترح عليه فكرة ، بيد أن زوجى هو الذى يتخذ قراراته » .

غير أن بعض السياسيين ، وخاصة أولئك الذين عملوا بالقرب من

ريجان ، يعتقدون أن نانسى عززت معارضته لتعديل قانون الحقوق المتكافئة للمرأة ، والاجهاض . غير أن تأثيرها ، فيما عدا ذلك ، يعد محدودا . ومع ذلك يعرب الكثيرون عن اعتقادهم بأن نانسى كانت أكثر رغبة من ريجان فى أن يرشح نفسه لانتخابات الرئاسة عام ١٩٧٦ . ويقول تشارلز بلاك المدير السياسى القومى لريجان قبل أن يتم اقصاؤه من هيئة مكتبه فى فبراير ١٩٨٠ « ان نانسى تشترك فى اتخاذ أهم قرارات الحملة الانتخابية ، باعتبارها مستشارا رئيسيا لريجان . صحيح انه رجل لا يسيطر عليه أحد ، ولكن من المرجح أن لننانسى أهم تأثير عليه . وهى طموحة للغاية بشأن مستقبله . كما أنها تكرس كل وقتها من أجله » .

ويصف (جون سيرز) دورها الأساسى بأنه بمثابة الموجه ، فهى لا تشير على ريجان بما يفعله أو لا يفعله ، وإنما تعرب عن رأيها تجاه البدائل العديدة التى تطرح عليه . ويقول سيرز « انها تساعده كثيرا على أن يتحدث عما يجيش بنفسه لأنها تعرفه أفضل مما يعرفه أى شخص آخر » . غير أن البعض يصفونها بأنها متوقدة الذكاء ولديها القدرة على الحكم على الناس وهى فى هذا أسرع من ريجان ، وهنا يكمن تأثيرها الهام بالنسبة لاختياره لكبار مستشاريه أو نائبه للرئيس « ويقولون أنها قامت بدور هام فى القرار الخاص ، مثلا ، باقصاء سكرتيره الصحفى (لين نوفزيجار) ، بل إقصاء (سيرز) وبلاك ، وجيم ليك) خلال الحملة الانتخابية التمهيدية بعد الهزيمة التى لحقت بريجان فى (أيوا) . ويقول أحد مساعدى ريجان « أنها سريعة وواثقة من تقديرها للأشخاص وهى فى هذا أكثر من ريجان . وهو أمر يستمع إليه ريجان ويعجب بتقديراتها . وهى إذا قدرت شخصا ما ، فان ذلك يفيد ، أما إذا لم تقدر شخصا ما آخر ، فان ذلك يضر » .

ولقد قال ريجان عندما سئل : هل نانسى تؤثر عليه ؟ قال : « هل هى تؤثر على ؟ أجل ، لانني لم أكن سعيدا فى حياتى بقدر سعادتى منذ عرفتها . فهى رقيقة . وتكن اخلاصا حادا للأسرة . وانى افتقدها كثيرا عندما لا نكون معا . ونحن سعداء جدا . وانى لا أتصور إذا ما كنت أبيع أحذية كما كان يفعل والدى ، انها كانت ستساعدنى فى بيع الأحذية . وهى شخصية ذكية جدا . واننى لا أعرف شيئا لم نتحدث عنه معا .

ولقد وعد (رونالد ويلسون ريجان) الشعب الأمريكى بعهد جديد من التجديد القومى . وقد وفرت له انتخابات عام ١٩٨٠ م وضعا ملائما من أجل بدء تجربة جسورة بالنسبة للاتجاه المحافظ على نحو لم يكن هو أو أنصاره يحلمون بها . ويدرك الجمهوريون ، الذين فاجأهم نجاحه فى الانتخابات أن ثمة

فرصة ثمينة لا يتعين تبديدها بالاهتمام بأهداف غير أساسية من شأنها إثارة الجدل والخلاف . أما الديمقراطيون ، الذين تتعبهم هزيمته فى الانتخابات فهم على استعداد لاعطاء الرئيس الجديد الفرصة بشرط ألا يذهب بعيدا بالنسبة لالغاء البرامج الاجتماعية التى وضعت خلال العقدين الماضيين . والواقع أن ريجان نفسه ، قد أعرب خلال تحركاته الأولى عن رغبته فى تجاوز دائرة كاليفورنيا الخاصة بكبار المستشارين والمسئولين ، مبديا اهتماما عاجلا بتكوين ائتلاف عريض بقدر الامكان من الحزبين الجمهورى والديمقراطى لتنفيذ أهدافه .

وقد حظى ريجان باعجاب المؤسسة السياسية فى أول زيارة قام بها لواشنطن بعد فوزه فى الانتخابات . فقد اشبعت هذه الزيارة غرورها وكبرياءها . وقال السناتور (توماس أونيل) رئيس مجلس النواب « اننى أحبه . لقد ترك انطباعا وديا لدى ، بتلك اللفته الرمزية التى أقدرها والتى تجعله يفترق عن جيمى كارتر الذى خاض الانتخابات من أجل الرئاسة باعتباره غريبا ، وظل غريبا بالنسبة للكثيرين فى المدينة أما ريجان فقد مد بسرعة يد الصداقة لزعماء المدينة وللديمقراطيين المحليين عندما أقام مأدبة عشاء للشخصيات البارزة من السياسيين والمثقفين ورجال الأعمال فى نادى شارع فكتوريا .

ولقد قال (أونيل) مازحا لريجان « انك الآن تجلس بين عصبة كبيرة من الأشخاص » . ويشير (أونيل) إلى أنه قد اندهش قليلا عندما قلت له ذلك . ولن تكون تلك هى المرة الأولى التى ستعتريه فيها الدهشة » .

والواقع أن ريجان قد أيقظ توقعات وآمال نهمه من سباتها . ولذلك ، وحتى يتسنى له النجاح فى تحقيقها ، لن يكون فى حاجة إلى حزب يقف خلفه ويسانده فحسب ، وإنما سيكون فى حاجة إلى الوقت ، ليحاول كبح جماح التضخم ، وتحقيق القوة الانتاجية بالنسبة للاقتصاد ، واستعادة شعور الأمة بالأمن العسكرى ، وتخفيف اعتمادها المتزايد والمخيف على البترول الأجنبى ، وتجديد دور الحكومة الفيدرالية فى الحياة الأمريكية . ذلك أن المشكلات التى يواجهها يحتاج حلها إلى سنوات ، وأن الحلول التى يقترحها تستغرق سنوات حتى تصبح فعالة ــ وهو وقت ربما يكون أكثر مما يسمح به ويقدر عليه الجمهور النافذ الصبر وغير المنضبط ، وأكثر مما قد يسمح به عالم مضطرب .

ولذلك يضغط عامل الوقت الملح هذا ، على ريجان لاشاعة شعور عاجل بأنه هناك تقدما للأمام ، شعور بأنه يسيطر على الموقف ، وأن شيئا ما يتم اتخاذه للتصدى لعدم اليقين والشك الذى سبب مثل هذا الاحباط المتفجر لدى

الناخبين الذى تمثل فى تصويتهم ضد جيمى جارتر والديمقراطيين يوم ٤ نوفمبر ١٩٨٠ .

وفى ظل هذا الادراك ، نجد الادارة الجديدة تتبع جدولا زمنيا يتضمن الدعوة لتجميد استخدام العاملين فى الحكومة الفيدرالية ، وإجراء تخفيضات حاسمة فى ميزانية عام ١٩٨١ ، وذلك خلال الأيام العشرة الأولى من توليها رسميا السلطة . وقد تبع هذا رسائل بعث بها ريجان إلى الكونجرس يطالبه فيها بأن يوافق بسرعة على إجراء خفض فى الضريبة على الدخل بنسبة ١٠ فى المائة ، وزيادة مخصصات الاستهلاك بالنسبة للمشروعات من أجل تشجيع القطاع الخاص . كما بعث إلى الكونجرس برسالة أخرى يطالبه فيها بتجديد السلطة الرئاسية بشأن إعادة تنظيم الوزارات التنفيذية ، ووضع الأساس اللازم . لتنفيذ تعهد ريجان خلال الحملة الانتخابية الخاص بالغاء وزارة التعليم ، واحتمال الغاء وزارة الطاقة كذلك . كما أن ريجان ووزارته سوف يبدأن بسرعة ، بعد صدور أمر تنفيذى ، بتمزيق عنكبوت اللوائح الحكومية التى تخنق النمو الاقتصادى ، على حد قول ريجان . وربما يتم الاسراع بشأن الاجراءات الخاصة باطلاق حرية تحديد أسعار البترول .

ومن الناحية الرمزية ، يعتقد مستشارو ريجان أن أكثر الاجراءات أهمية هو العمل على خفض الانفاق الحكومى عن طريق تقليل الرحلات التى يقوم بها المسئولون الفيدراليون ، والحد من العقول التى تبرمها الحكومة الفيدرالية مع بيوت الخبرة الاستشارية ، والحد من شراء الأجهزة والمعدات ، وكذا الحد من الانفاق فى بناء الطرق السريعة ، والمطارات ناهيك عن المدخرات التى يمكن تحقيقها من الحد من القواعد التى تتيح للأشخاص الحصول على مساعدات من برامج الضمان الاجتماعى ، والحد من الانفاق على برامج الاعانات الغذائية ، وبرامج الوجبات المجانية فى المدارس ، ومساعدات الاسكان . ويقول (جاك كيمب) عضو مجلس النواب وأحد المدافعين المتحمسين عن الحوافز الاقتصادية : « اننا لن نخفض أسعار الفائدة طويلة الأجل ما لم تبين الأسواق المالية أننا نعتزم العمل بجدية » .

والواقع أن الورطة التى يواجهها ريجان تتمثل فى أنه إذا كانت التخفيضات التى يطالب باجراءها حادة جدا ، فانه سيثير بذلك معارضة متحدة قوية من جانب العديد من مجموعات المصالح الخاصة مما يؤدى إلى عرقلة مقترحاته بسبب المعارك العنيفة فى الكونجرس بين المؤيدين والمعارضين لها وعمليات إرجاء إقرارها ، ولكن إذا لم تكن التخفيضات بدرجة كافية ، فان

ذلك سيؤدى إلى تقويض الاستراتيجية الاقتصادية الأساسية . ويقول (توماس كرات) عضو مجلس النواب من واشنطن محددا رد الفعل الديمقراطى الأساسى : « إذا ما استطاع ريجان تحسين كفاءة الحكومة الفيدرالية دون أن يلحق أى أضرار بالمزايا الثابتة ، فعندئذ لن يوجد أى ديمقراطى لم يكن يود فعل ذلك .ولكن إذا ما انتهجت الادارة أساليب جذرية لالغاء البرامج التى أقرت خلال الجيلين الماضيين ، فان المعارضة ستتصدى لذلك » .

وقد اعترف الخبراء الاستراتيجيون فى فريق ريجان ، حتى قبل توليه السلطة ، بأن خفض برامج الضمان الاجتماعى سيكون بمثابة انتحار سياسى . وفضلا عن ذلك ، فان أودين ميس ، وغيره من مستشارى ريجان ، ذكروا أن جيمى كارتر ، فى فورة طموحه لتحقيق رئاسة نشطة وفعالة ، قد أسهم فى عرقلة انجازاته بسبب إغراقه الكونجرس بالكثير من المهام والمطالب خلال الشهور الأولى من توليه السلطة . ويقول ميس « انه لخطأ فادح أن نحاول عمل الكثير فور تولى السلطة . اننا نريد أن ننظم أنفسنا ، وأن نحدد بحزم أولوياتنا غير أنه إذا ما اقترنت الأولوية الكبرى التى يعطيها ريجان لزيادة الانفاق العسكرى زيادة كبيرة ، باجراء تخفيضات داخلية حاسمة ، فان هذا قد يسبب المتاعب فى الكونجرس ، الأمر الذى يثير تذمره طوال شهور عديدة قادمة .

والواقع أن ريجان نفسه يسعى إلى أن يبدى الشعب مزيدا من الصبر . ولقد قال فى هذا الصدد : « ان الأمر الذى يمكننا أن ننجزه إداريا ، سوف نشرع فى انجازه على الفور ، ولكننى لا اعتقد أننا وعدنا بأن أثر ما نفعله سيظهر على الفور » .

وأن إحدى الصعاب التى ستواجه ريجان تتمثل فى أنه من المحتم أن يتعرض لانتقادات من جانب الديمقراطيين المترددين ، والريجانيين (أى أنصار ريجان) المتحمسين من اليمين الجديد الذين يتطلعون إلى أن يبادر باتخاذ اجراءات قوية ، ويشعرون بالضيق والضجر من أى اشارة إلى أن ريجان يترك ما أسماه يوما « بألوان الباستيل الباهتة تزحف إلى العلم الجسور » للاتجاه المحافظ الذى دافع عنه طوال سنوات . ويقول رئيس تحرير مجلة « كونسير فاتيف دايجست » المحافظة « اننى لا أرى الريجانيين المخلصين يلتفون حول ريجان . وانني أتعجب أحيانا كم بقى من ريجان المخلص للريجانية » .

غير أن الرئيس ريجان فى معركته مع الوقت اللازم لتحقيق انجازاته يتمتع

برصيد كبير لم يكن يتمتع به جيمي كارتر الا وهو قدرته على استخدام ما أسماه (تيدى روزفلت) بـ « المنبر الممتاز » أى القدرة على توصيل رؤيته للجماهير ودعم سلطته السياسية عن طريق حشد التأييد الشعبى » .

ولقد وصف البعض ريجان بأنه أكثر رجال السياسة الذين يستخدمون أجهزة الاتصال فى عصر (ماكلوهان) ـ أكثرهم تأثيرا وفعالية . وحتى الآن ، كان تمكنه السياسى لا يستند إلى وضع الشعب فى الهيكل السياسى وإنما يعتمد على (الكاميرا) والمشهد ، والأساليب الفنية لأجهزة الاتصال الجماهيرى . فهو ممثل بطبعه ، كما اكتشفت ذلك هوليود . ولذلك فانه فى عصر تسيطر فيه أجهزة الاعلام والاتصال على السياسات فى عصر يعد فيه الذين يسعون إلى البحث عن وظيفة أو الذين يشغلون الوظائف وهم ممثلون بدرجة ما ، انه فى هذا العصر يستفيد ريجان من ميزة انه ممثل محترف . وقد اكتشف كارتر خلال المناظرة التليفزيونية المدمرة بالنسبة له فى كليفلاند أن ريجان كان يشعر كأنه فى منزله وهو على المسرح .

غير أن هذا لا يعد رصيدا خالصا لريجان . فهو لا يمكنه تحمل إساءة استخدامه . وقد اتضح أن ذلات لسانه خلال حملته الانتخابية فى الخريف الماضى قد جعلته يتعثر . غير أن العثرات فى البيت الأبيض تنطوى على تكلفة باهظة جدا . ذلك أن الرئاسة تتطلب أن يتحرى الدقة فى كل كلمة يقولها . غير أنه لن يكون فى وسع ريجان أن يتحمل طويلا أن يتصرف بحرية ، وبدون انضباط ، وهو ما كان يفعله خلال السنوات الماضية ـ أن يقوم بدوره أمام جمهور من المشاهدين المحافظين المتعاطفين معه ، ويقدم لهم أحيانا قطعة لحم حمراء فى شكل خطاب سياسى يفيض بالبلاغة الحماسية ، على حد وصف أحد مساعديه . ولكن الموقف قد تغير ، وان أى كلمات غير دقيقة قد تقلب الدبلوماسية الأمريكية فى الخارج رأسا على عقب أو تقلل من الثقة فيه فى الداخل ، وخاصة بالنسبة لزعيم يعتمد اعتمادا كبيرا على خطبة تخلق قوة الدفع اللازمة لبرامجه .

ويقول أحد المسئولين فى البيت الأبيض فى ظل رئاسة كارتر : « من المرجح أن تظل الأمور على ما يرام بالنسبة للمنهاج الذى اتبعه ريجان خلال الحملة الانتخابية خلال السنة الأولى من توليه السلطة أو نحو ذلك ولكن ماذا سيفعل بعد السنة الأولى هذه عندما يدرك الشعب أن المشاكل التى يعانون منها هى مشاكل من صنعه هو وليست من صنع كارتر ؟ وكيف سيتسنى له استخدام أسلوب بسيط ، عند هذه المرحلة ، لشرح تعقيدات الوضع ؟

والواقع أن الجمهوريين الآن يمتلكون قوة الدفع فى الوقت الذى يتولى فيه السلطة ، غير أن مساعدى ريجان يرون بذل جهد خاص للتحكم فى الانقسامات التى يحتمل حدوثها فى صفوف الجمهوريين فى الكونجرس خلال الشهور القادمة . وما هو أكثر من ذلك أن الأحداث التى تتجاوز سيطرة ريجان قد تؤدى إلى ابتعاده عن هدفه الأساسى وليس أدل على ذلك من أن الاضطرابات وأحداث الشغب التى اندلعت بين السود فى ميامى بولاية فلوريدا فى الربيع الماضى تعد مؤشرا على أن الاحباط الذى تشعر به الأقليات ، وخاصة إذا شعروا بأن الزعامة القومية والمحلية تتجاهلهم ، من الممكن أن يندلع فى أى وقت . كما أن أسعار المواد الغذائية من الممكن أن ترتفع فجأة بسبب نقص هذه المواد أو بسبب احتمال أن تزيد منظمة « الأوبك » أسعار البترول مما يؤدى إلى إشاعة الاضطراب فى برنامج ريجان الخاص بمكافحة التضخم . ولقد رفض ريجان ، لأسباب فلسفية ، استخدام الاجراءات المباشرة لوقف الاتجاه المتصاعد على نحو مضطرد فى زيادة الأجور والأسعار فى البلاد .

وعلى غرار ما فعل الرؤساء الآخرون ، اتجه ريجان أول ما اتجه إلى الداخل لايجاد حل للمشاكل الداخلية أولا ، تاركا العالم ينتظر تفرغه لبحث مشاكل السياسة الخارجية . فعندما سألته مجلة « تايم » بعد فوزه فى الانتخابات عن احتمالات مفاوضات الحد من الأسلحة مع السوفيت ، أجاب بقوله : « ان المهمة الأولى هى أن ندعهم يرون المنهاج الذى سنتبعه لحل المشاكل الداخلية حتى ندعم اقتصادنا وللحد من مشاكلنا المتعلقة بالطاقة ، وحقيقة أن لدينا الارادة والتصميم لدعم قوتنا الدفاعية » .

وقد يوافق الكرملين ، أو لا يوافق ، على أن ينتظر ، وأن يقنع بالاستعدادات البطيئة الخاصة بمباحثات الأسلحة ووجود علاقة فاترة مع واشنطن . وفى حالة الانتظار ، قد يصبح السوفيت أكثر استجابة لمنهاج ريجان أو يغدون أقل عدوانية تجاه العالم الثالث ، وأكثر ميلا إلى إثارة الانقسامات داخل التحالف الاطلنطى ، وأقل خشية من التدخل فى بولندا إذا ما تفجر الموقف من جديد . ولكن إذا ما تزرعت موسكو بالصبر ، فان ريجان سيكون فى الواقع رئيسا محظوظا وخاصة إذا لم يتورط فى بعض المواجهات مع إيران ، أو فى اتساع نطاق الحرب بين العراق وإيران ، على نحو استفزازى أو فى التصاعد الحرج للنزاع العربى الاسرائيلى ، أو فى اندلاع اضطرابات فى منطقة البحر الكاريبى أو فى أن يحدث اختبار قوة من جانب منظمة « الأوبك » حول زيادة جديدة فى أسعار بترولها . وأيا كان الأمر فان العالم لن يتعاون مع جدول أعمال الرئيس ، على نحو ما اكتشف جيمى كارتر من قبل .

وفى إيجاز ان الأمر يتطلب ـ إذا ما كان على ريجان أن يفى بوعد انتصاره الانتخابى الساحق المذهل ـ أن يحقق نجاحا طيبا ، ويبدى مهـارة سـياسية فائقة ، ويضع مجموعة واضحة من الأولويات التى تعنى أساسا بالتركيز على الاقتصاد ، ويظهر قدرة على توحيد الائتلاف السياسى فى الكونجـرس والتأييد الشعبى بين الناخبين . وفوق ذلك كله ، ينبغى أن تتمخض الصـيغة الخـاصة التى وضعها لادارة الاقتصاد ، ينبغى أن تتمخض عن نتائج ملموسة ومحـددة خلال العامين القادمين .

ويقول جاك كيمب ، وهـو مـن أكثر المؤيدين المتحمسـين لريجـان « فى اعتقادى أن لدينا الفرصة لأن نفعل ما فعله كونراد اديناور فى المانيا ، وذلك بأن نصبح حزب السلام والرخاء الذى يبقى فى السلطة لمدة جيلين . ولكن حتى الآن يعتبر الأمر كله مجرد بلاغة انتخابية . اننا سنصبح حزب الأغلبية عندما ننفذ السياسات التى من شأنها أن تحقق الرخاء والعمالة الكاملة ، دون تضـخم ، كما وعدنا بذلك . وإذا ما فشلنا ، فلن يكون لفوزنا فى الانتخابات أى معنى » .

رقم الايداع بدار الكتب

٢٠٠٤ / ١٩٨٢



جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
القـــاهرة



